دراسات ووثائق

نضال حزب البلاشفة

ضد التروتسكية
١٩٠٣ — ١٩١٧

ف. غرينكر
ن. ميتكين
س. سوبين
س. شاوميان



تعريب: فارس غصوب

دار الفارابي - بيروت

دراسات ووثائق

نضال حزب البلاشفة

ضد التروتسكية

١٩٠٣ — ١٩١٧

ف. غرينكو
ن. ميتكين
س. سوبين
س. شاوميان

تعريب: فارس غصوب

دار الفارابي — بيروت
كانون الثاني ١٩٧٤



خاض الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، منذ ولادته، نضالا لا هوادة فيه ضد كل مظاهر الانتهازية، خاصة ضد اسوأ اشكالها ، الا وهي التروتسكية .

واشار لينين الى انه نشأ في عصر الامبريالية اتجاهان في الحركة العمالية : الاتجاه الانتهازي البورجوازي ، والاتجاه الثوري البروليتاري ، وانه « في الصراع بين هذين الاتجاهين سيجري حتما من الآن فصاعدا تاريخ الحركة العمالية . »(١) ولم يتوقف الصراع بين هذين الاتجاهين عن التفاقم في الحركة العمالية الثورية منذ بداية القرن العشرين . وعندما انتقل مركز الحركة الثورية العالمية الى روسيا ، استمر هذا الصراع بشكل اكثر حدة واكتسب اهمية عالمية .

وشن لينين ، وهو واضع نظرية الحزب الماركسي الثوري منذ سنة ١٨٩٥ ، كحزب من طراز جديد ، نضالا لا هوادة فيه ضد الشعبيين الليبراليين ، والماركسيين الشرعيين ، وضد عملاء البورجوازية في قلب الحركة العمالية الثورية العالمية والروسية وهم البرونشتاينيون الذين يشكل الاقتصاديون في روسيا واحدا من اشكالهم .

(١) ف. لينين ، المؤلفات باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٣ ص ١٢٨

وشكل بناء الحزب البلشفي ، الحزب الثوري للبروليتاريا الروسية، منعطفا حاسما في تطور الحركة العمالية الروسية والعالمية . وكان الحزب البلشفي حزبا اصيلا للطبقة العاملة، حزب الثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا ، غير متهادن مع كافة اشكال الانتهازية .

وما ان اصبحت البلشفية تيارا للفكر السياسي وحزبا سياسيا ، حتى اتبع مؤيدوها بقيادة لينين خطا حازما باتجاه الحسم مع الانتهازيين ، ان في الحركة العمالية الروسية او العالمية ؛ كما سعوا في نفس الوقت لكسب العمال المضللين الذين كانت تربطهم صلة بالفئات الانتهازية ، الى جانب قضيتهم .

ورأى القادة الانتهازيون في الاممية الثانية ، في الانشقاق الذي حصل في المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي (ح.ع.أ.د.ر.) خطرا محدقا بهم ومثالا يمكن ان تقتدي به العناصر اليسارية في الاحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية الغربية التي يحتمل ان تخوض هي ايضا نضالها الحاسم ضد الانتهازية .

وفي هذه المرحلة بالذات، ظهر تيار جديد، هو الوسطية، وبدأ يتمايز عن الاتجاه البورجوازي الانتهازي في الحركة العمالية . وبذريعة النضال من اجل « وحدة » الثوريين والانتهازيين ، طرحت الوسطية اخضاع الاول للآخرين فيضمنون بذلك انتصار الانتهازية على الاتجاه الثوري . وقد كانت الوسطية ايديولوجية تهدف الى اخضاع مصالح البروليتاريا لمصالح البورجوازية ـ الصغيرة ، والى وضع

الجناح الثوري تحت رحمة الانتهازيين في قلب حزب واحد. ولم تكن الوسطية تختلف في قاعدتها الاجتماعية عن الانتهازية المفضوحة ؛ فكلتاهما تدعمها الارستقراطية العمالية والبورجوازية ــ الصغيرة . وقد كانت الكاوتسكية ، على صعيد الحركة العمالية العالمية ، التيار الرئيسي للوسطية. وكان لينين يقول : « ليست الكاوتسكية وليدة صدفة ، فهي النتاج الاجتماعي لتناقضات الاممية الثانية ، للامانة اللفظية للماركسية المرتبطة بالخضوع العملي للانتهازية . »(٢)

واقترنت الوسطية في روسيا باسم ليون تروتسكي (برونشتاين) واحد من محرضي المنشفية وألد اعداء اللينينية . وبرز تروتسكي منذ المؤتمر الثاني للـ ح.ع.أ.د.ر ، منشفيا(٣) حانقا يحارب خط لينين الثوري حول مسائل البرنامج والتنظيم ، وقد رفض تروتسكي ديكتاتورية البروليتاريا ، ودافع عن تفسير مارتوف للفقرة الاولى في الانظمة الداخلية للـ ح.ع.أ.د.ر ، وراح يعارض خلق حزب ثوري متراص للبروليتاريا الروسية ، كما عارض كذلك ، الانضباط الحزبي الصارم . وبعد المؤتمر ، خاض تروتسكي صراعا نشيطا ضد البلاشفة حول كل المسائل الاساسية ، النظرية والعملية ، في الثورة الروسية .

---

(٢) ف. لينين ، المؤلفات باريس ــ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٢٢٣ .

(الاغلبية بالروسية) ، وحاز الانتهازيون على الاقلية فسموا مناشفة (الاقلية بالروسية) .

(٣) في مؤتمر الـ ح.ع.أ.د.ر الثاني (١٩٠٣) اثناء انتخاب اعضاء الحزب المركزيين ، حاز لينين ومؤيدوه على غالبية الاصوات ، فسموا بلاشفة

وعلى غرار كل المناشفة ، كان التروتسكيون عملاء للبورجوازية في الحركة العمالية الثورية ، فعمدوا الى كل الاساليب لاخضاعها لسيطرة البورجوازية . وكانوا يعرفون ان اتساع نفوذ البلاشفة في الحركة العمالية الثورية سوف يؤدي الى اضعاف مواقع الانتهازيين وعزلهم نهائيا عن الجماهير . كما حاولوا ايقاف تعمق الصراع بين الاتجاه البروليتاري الثوري والاتجاه البورجوازي الانتهازي ، وتحاشي القطيعة النهائية بين البلاشفة والانتهازيين، واخضاع البلاشفة للانتهازيين في قلب حزب واحد اشتراكي - ديمقراطي اصلاحي من الطراز الاوروبي . لذلك اخفى التروتسكيون انتهازيتهم اليمينية بستار الوسطية ، وظهروا بمظهر « وسط خارج التكتلات » يحتل مركزا « وسطيا » بين البلاشفة والمناشفة . ووصف لينين تروتسكي قائلا : « امين دائما لذاته ، يخاتل ويخادع، ويصنف نفسه يساريا، ويساعد جماعة اليمين قدر الامكان . »(٤)

وبعد المؤتمر الثاني للـ ح.ع.ا.د.ر ، وخلال سنوات طويلة ، حارب التروتسكيون البلاشفة بضراوة متمسكين باستمرارية كونهم نوعا من المنشفية ، وهم يدعون دائما انهم «خارج التكتلات» ويتدخلون عندما تقتضي مصالحهم السياسية بالتدخل ، من مواقع يسارية متطرفة « ما فوق - ثورية » . ووصف لينين تروتسكي والذين يقفزون من موقع الى آخر « بخونة توشينو » ، وكتب يقول : يعلن « خونة توشينو »

---

(٤) ف. لينين ، المؤلفات باريس - موسكو ، مجلد ٢٥ ص‌ص ٢٩١- ٢٩٢ .

عن انفسهم انهم فوق التكتلات للسبب الوحيد وهو انهم يستعيرون اليوم آراءهم من فريق وغدا من فريق اخر. وكان تروتسكي ايسكريا عنيفا ما بين ١٩٠١ و ١٩٠٣ واصبح منشفيا عنيفا في نهاية ١٩٠٣ ، اي انه قفز من الايسكريين الى « الاقتصاديين » ؛ وبصرح ان « هنالك هوة ما بين الايسكرا القديمة والجديدة » . وفي سنة ١٩٠٤ – ١٩٠٥، ترك المناشفة وبقي في موقف متذبذب ، يتعاون تارة مع مارتينوف (اقتصادي) ؛ وينادي طورا بنظريته اليسارية المبهمة عن « الثورة الدائمة » . وفي سنتي ١٩٠٦ – ١٩٠٧، اقترب من البلاشفة ؛ واعلن في ربيع ١٩٠٧ تضامنه مع روزا لوكسمبورغ .

وفي فترة التفكك وبعد طول تذبذب «غير تكتلي» ، انحرف مجددا نحو اليمين ... »(٥)

ويوضح الكتاب الحالي كيف ان التروتسكيين ابان الثورة الروسية الاولى (١٩٠٥ – ١٩٠٧) جهدوا في تكريس الوسطية في الـ ح.ع.ا.د.ر. مع انه كان مرتبطا بالمناشفة على الصعيدين الايديولوجي والتنظيمي . وراح تروتسكي يستخدم استقلاليته مع البلاشفة كما مع المناشفة . وبالفعل كان يعارض البلاشفة في كل المسائل الرئيسية في النظرية والتطبيق . وضد نظرية لينين عن تحويل الثورة الديمقراطية البورجوازية الى ثورة اشتراكية ، حاول تروتسكي ترويج نظرية « الثورة الدائمة » التي تنفي مرحلة الثورة الديمقراطية

(٥) ف. لينين ، المؤلفات باريس – موسكو ، مجلد ٢٠ ص ص ٣٦٢ – ٣٦٤ .

البورجوازية في روسيا ودور الفلاحين الثوريين كحلفاء للبروليتاريا .

ووقف تروتسكي ، في هذه السنوات ، معارضا موضوعة لينين حول ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية ، وحول الحكومة الثورية المؤقتة كجهاز سياسي لها. وتحت شعار « لا للقيصر ، بل من اجل حكومة عمالية » ، رفض تروتسكي امكانية انشاء ديكتاتورية البروليتاريا في روسيا ما دام العمال لا يشكلون غالبية الشعب . وربط التروتسكيون انتصار الثورة الاشتراكية في روسيا بانتصار الثورة البروليتارية في الغرب مؤجلين بذلك الثورة الى اجل غير مسمى .

عندما كان تروتسكي واحدا من قادة مجلس النواب العمال في بطرسبورج ، مارس سياسة توفيقية تكبح المبادرة الثورية العمالية وتطمس الخلافات ما بين النواب البلاشفة والمناشفة في السوفياتات .

وجهد التصفوي تروتسكي، خلال سنوات الردة والانطلاق الثوري الجديد ، لجمع العناصر المعادية للبلاشفة ، ونظم تكتلات للنضال ضدهم ، لكنه استمر في تصنيف نفسه ، كما في السابق ، اشتراكيا ـ ديمقراطيا «خارج التكتلات». وفي هذه الفترة، كان التصفويون والاوتزوفيون والتروتسكيون والتوفيقيون ، الموجودون في صفوف البلاشفة ، يجتمعون في جبهة مشتركة ضد لينين ومؤيديه . وشنت برافدا فيينا ، التي يمولها اصدقاء تروتسكي البورجوازيون وعناصر تصفوية اخرى ، حملات الافتراء على البلاشفة . وبدعم من

كامنييف وزينوفييف وريكوف، نجح التروتسكيون في اجتماع اللجنة المركزية لل ح.ع.أ.د.ر كانون الثاني (يناير) ، في التصويت على مقررات معادية للبلاشفة ، وفي منع الجريدة البلشفية « البروليتاري » عن الصدور ، بحجة القضاء على التكتلات .

وهكـذا كان يأمـل الوسطيون والتوفيقيون بان يضطـر البلاشفة الى الخضوع امـام التكتل الانتهازي الذي نظمـه تروتسكي .

وقد اقام البلاشفة ، لمحاربة هذا التكتل ، تحالفا مبدئيـا مع المناشفة الموالين للحزب الذين يقودهم بليخانوف، والذين يؤيدهم قسم من العمال الراغبين بالتعاون مع الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الثوريين. فساعد هذا التحالف البلاشفة لكسب عدد من العمال الذين دعمهم المناشفة سابقا .

وناضل لينين ضد التصفويين والاوتزوفيين والتروتسكيين والتوفيقيين لوضع حد لازمة الحزب، ولعقد المؤتمر السادس. وطهر المؤتمر السادس للحزب (مؤتمر براغ الذي عقد بفضل جهود لينين ومؤيديه) ، طهر الحزب نهائيـا من التصفويين والتروتسكيين ومؤيديهم ، ومن كل الحثالة الانتهازية .

وضاعف التروتسكيون جهودهم بعد مؤتمر براغ. وبمساعدة الانتهازيين ووسطيي الاممية الثالثة ، شن تروتسكي حملـة في صحافة التصفويين والاحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية الغربية ، هدفها اعادة بحث نتائج مؤتمر براغ . لكنه لم يلق دعم المنظمات الحزبية المحلية التي تبنت مقررات المؤتمر . وباءت بالفشل كل محاولات تروتسكي لتجميد مقررات براغ

بشأن الحسم النهائي مع الانتهازيين والوسطيين . ثم حاول التروتسكيون بعد ذلك انشاء حزب وسطي . وفي آب (اغسطس) ١٩١٢ ، عقد مؤتمر للتصفويين التروتسكيين الذين نظموا كتلة آب (اغسطس) ، الكتلة الانتهازية . لكن سرعان ما تفتتت تحت ضربات البلاشفة ومن جراء النزاعات الداخلية .

عندئذ ، وبالتعاون مع انتهازيي ووسطيي الاممية الثانية، قام تروتسكي بحملة « اعادة جمع » البلاشفة في حزب واحد مع كل التجمعات والتيارات الانتهازية بما في ذلك تجمعات المهاجرين الذين لم تكن لهم اية صلة بالحركة العمالية الثورية في روسيا . وبالرغم من دعم كاوتسكي وفاندرفلد وويسمانز وانتهازيي ووسطيي الاممية الثانية الاخرين الذين دعوا في تموز (يوليو) ١٩١٤ لعقد مؤتمر بروكسل المسمى بالتوحيدي ، لم يقبل البلاشفة بأي اتفاق مع الانتهازيين والوسطيين مؤكدين مرة اخرى انهم لا يتهادنون مع الانتهازية بكل اشكالها . اما الكتلة الجديدة المعادية للبلاشفة التي اسست في هذا المؤتمر والتي دعاها لينين « كتلة ٣ تموز (يوليو) » او « كتلة بروكسل لانقاذ التصفويين » ، فقد كان حظها في الحياة كمثل حظ كتلة آب (اغسطس) . وهكذا فالمحاولة الجديدة التي قام بها الوسطيون الروس والعالميون ، عشية الحرب العالمية الاولى لتصفية الحزب البلشفي وخلق حزب وسطي في روسيا ، منيت بفشل ذريع .

ويسلط المؤلفون الاضواء على نضال البلاشفة الطويل ضد التروتسكية وضد كل انواع الوسطية على المسرح السياسي

العالمي ويرفضون الادعاءات الكاذبة لمزيفي التاريخ الذين يزعمون ان لينين والبلاشفة لم يقدروا قبل الحرب ، خطر الوسطية في الحركة العمالية الروسية والعالمية ، ولم يحاربوها بعزم(٦) .

ويوضح هذا الكتاب ، استنادا الى الوثائق ، كيف ان الحزب البلشفي نما وتعزز من خلال الصراع العنيف ضد كل انواع الانتهازيين من الوسطيين الغربيين بقيادة كاوتسكي، الى الروس بقيادة تروتسكي .

وناضل البلاشفة على الصعيد العالمي ، بقيادة لينين ضد التروتسكيين الذين اتخذوا مواقف معادية للبلاشفة اثناء الحرب العالمية الاولى حول المسائل الاساسية في الحرب والسلم والثورة . وخلف ستار من الجمل الثورية ، ايد الاشتراكيون الوسطيون الشوفينيون مساعدي البورجوازية المعلنين، وأهابوا بعمال كل البلدان المعتدية بالدفاع عن وطنهم، وانكروا امكانية قيام العمال بتحركات مشتركة ضد الحكومات المتحاربة .

« لا انتصارات ولا هزائم » ؛ لم يكن هذا الشعار الذي رفعه التروتسكيون ، عمليا ، غير تورية للشعار الاشتراكي ـ الشوفيني المدافع عن الوطن البورجوازي . وقد اشار لينين الى ان من يطرح هذا النوع من الشعارات هو اشتراكي ـ

(٦) نجد افتراءات من هذا النوع في مقال آ. سلوتسكي: « البلاشفة والاشتراكيون ـ الديمقراطيون الالمان اثناء ازمة ما قبل الحرب » ، المنشور سنة ١٩٣٠ في العدد ٦ من مجلة بروليتارسكايا ريفوليوتسيا .

شوفيني ، وعى ام لـم يع ذلـك ، وهو عـدو السياسـة البروليتارية ، ونصير للحكومـات الامبرياليـة والطبقـات الحاكمة(٧) . وبهـدف حرف الجماهير الشغيلة عن النضال الثوري ، رفع الوسطيون المطاب الوهمي في عصرالامبريالية، مطلب « الحرب العادلة » .

لقد كان التروتسكيون الذين استمروا أثناء الحرب العالمية الاولى في ترويج نظريتهم الشهيرة حول « الثورة الدائمة »، من أعند معارضي موضوعة لينـين حول امكـانية انتصـار الاشتراكية في عدة بلدان في البداية، او حتى فيبلد واحد. وكتب لينين فاضحا خطر الوسطية الى عمال كل البلدانقال: « الاتجاه الثاني والمسمى بال « وسط » الـذي يتردد بـين الاشتراكيين ــ الشوفينيين والامميين الحقيقيين ... جوهر المسألة هو ان الوسط غير مقتنع بضرورة الثورة على حكومته بالذات ، ولا يدعو لها ، ولا يمارس نضالا ثوريا لا هوادة فيه، ويخترع للخروج من هذا الموقف المنافذ الاكثر سطحية بالرغم من دويِّها الماركسي المتطرف . »(٨)

وبفضل نضال البلاشفة ضد الوسطية ، ظهرَ مؤيدو هذا الاتجاه امـام الطبقة العاملة كاشتراكيين شوفينيين واتبـاع للبورجوازية الامبريالية . وأفلست محاولاتهم لانشـاء خط وسطي في الحركـة الثوريـة يؤدي الى اخضـاع الثوريين للانتهازيين .

---

(٧) ف. لينين ، المؤلفات باريس ــ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٢٨٨ .
(٨) ف. لينين ، المؤلفات باريس ــ موسكو ، مجلد ٢٤ ص‌ص ٦٨ ــ ٦٩ .

كذلك كانت عديمة الجدوى محاولات الوسطيين في نفس هذا الاتجاه بعد نجاح ثورة شباط (فبراير)١٩١٧ الديمقراطية البورجوازية، عندما فقد قادةالاحزاب البورجوازيةـالصغيرة نهائيا مواقعهم في نظر الجماهير وبرزوا كمتواطئين مع البورجوازية ـ الامبريالية .

ولما تأكد اخفاق التروتسكيين في خلق حزب وسطي في روسيا ، قرر تروتسكي وأقرب انصاره الانضمام الى الحزب البلشفي لكي يتابعوا من الداخل خطهم المنشفي . ومع ان تروتسكي عاد وانتمى للحزب في المؤتمر السادس للـ ح.ع.أ.د.ر ، الا انه في الواقع لم يكن قد عاد عن آرائه المنشفية ؛ فهو وزمرته الصغيرة ، لم يتوقفوا الا مؤقتا عن حربهم المعلنة ضد الحزب . وعاد التروتسكيون الى استعادة الهجمات العنيفة ضد خط الحزب العام ، وانتهوا فيمعسكر الاعداء المفضوحين للدولة السوفياتية .

★★★

ان تاريخ نضال الحزب اللينيني ضد التروتسكية ، قبل وبعد الثورة ، له اهمية راهنة ؛ لان التروتسكية كتيار ايديولوجي لا زالت تعيش في بعض البلدان وتستمر فيجلب الاضرار للحركة العمالية والشيوعية .

وقبل انتصار الثورة الاشتراكية بزمن بعيد ، علّم لينين الثوريين الشباب ان التروتسكية تيار مضر بالطبقة العاملة، تحاول التوفيق بين البلاشفة الثوريين والانتهازيين التصفويين.

وفي مؤلفه « خرق الوحدة من خلال الصراخ » عاشت الوحدة المنشور في ايار (مايو) سنة ١٩١٤ ، كتب لينين يقول :

« المساهمون القدماء في الحركة الماركسية الروسية يعرفون تروتسكي جيداً ، وليس من الضرورة ان نحدثهم عنه . ولكن جيل العمال الشباب لا يعرفه ، ويجب ان نحدثه عنه . . . »(٩)

ورأى لينين ، من الضروري اطلاقا ، ان يعرف البلاشفة العمال الشباب الوجه السياسي لتروتسكي ولمؤيديه، كأعداء حقيقيين لوحدة الطبقة العاملة الملتفة حول شعارات مؤتمر براغ . كان يجب ان يفهم العمال ، أن التروتسكيين ارادوا وضع الحركة العمالية الثورية الروسية تحت رحمة التصفويين الذين ادينوا بشدة في المؤتمر الخامس لـ ح.ع.أ.د.ر. سنة ١٩٠٨ في روسيا . وقال لينين : « يجب ان يعلم جيل العمال الشباب جيداً مع من يتعامل عندما يسمع تركيب ادعاءات خارقة من اشخاص لا يريدون اطلاقا الاعتماد لا على مقررات الحزب التي وضعت وحددت منذ سنة ١٩٠٨ الموقف الحذر تجاه التيار التصفوي ، ولا على تجربة الحركة العمالية الحالية في روسيا التي خلقت بالممارسة « وحدة » الاغلبية، انطلاقا من الاعتراف المطلق بهذه القرارات . »(١٠)

واشارت اللجنة المركزية للحزب مرارا الى ضرورة رفض التروتسكية كتيار بورجوازي ــ صغير كان منذ وجوده معاديا للينينية . وفي كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٥ ، طلب

---

(٩) ف. لينين ، المؤلفات باريس ــ موسكو ، مجلد ٢٠ ص ٣٦٣ .

(١٠) ف. لينين ، المؤلفات باريس ــ موسكو ، مجلد ٢٠ ص ٣٦٤ .

اجتماع اللجنة المركزية ولجنة المراقبة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي الروسي متابعة وتوسيع عمل الحزب، من القاعدة الى القمة ، والمتعلق بتفسير طابع التروتسكية المعادي للبلشفية منذ سنة ١٩٠٣ ، وحتى « دروس اكتوبر » ، وتكليف المكتب السياسي تزويد كل مؤسسات الدعاية (المدارس الحزبية ...) بالايضاحات الضرورية في هذا الموضوع ؛ وتضمين برنامج التثقيف السياسي شروحات تتعلق بالطابع البرجوازي الصغير للتروتسكية الخ ... »(١١)

وهناك ضرورة ماسة، فيالظروف الراهنة ، لجهد تحليلي يهدف الى فضح التروتسكية . ويشير قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي « حول الاجراءات الرامية الى تطوير العلوم الاجتماعية وزيادة دورها في بناء الشيوعية » (آب (اغسطس) ١٩٦٧) الى انمؤرخي الحزب « لا يعملون بنشاط كاف لوضع مؤلفات تعميمية تبين اسهام الـ ح.ش. أ. س. في نظرية بناء الاشتراكية والشيوعية ، ودوره في التطوير العالمي للماركسية اللينينية خلال الخمسين عاما الماضية منذ ثورة اكتوبر ، وموضحا بالتفصيل نضال الـ ح. ش. أ. س. ضد المناشفة والتروتسكيين والانتهازيين اليمينيين ، والانحرافيين القوميين ، وفئات وتيارات اخرى معادية للحزب . »(١٢)

---

(١١) الـ ح.ش.أ.س. في وثائق ومقررات مؤتمراته والكونغرس واجتماعاتاللجان المركزية الموسعة . م ٢ ، موسكو ١٩٥٤ ، ص ١١٤ . (يشار الىهذا المرجع فيما بعد : الـ ح.ش.أ.س. في الوثائق والمقررات ...) .

(١٢) كومونيست ، ١٩٦٧ ، عدد ١٣ ص ٥ .

ويتناول الكتاب الحالي النضـال الذي خاضه الحـزب اللينيني ضد التروتسكية منذ ظهورها على المسرح السياسي الدولي وحتى انتصار ثورة شباط (فبراير) الديمقراطيـة البورجوازية . يعتمد هذا الكتاب على مؤلفات لينين وعلـى وثائق الحزب والمؤلفات التيصدرت سابقا . ويفضح المؤلفون الادعاءات الملفقة من قِبل مزيفي التاريخ البورجوازيين امثال إ. دويتشر ، و هـ. برهم ، و ل. شابيرو ، وغيرهم ، الذين يحاولون احلال التروتسكية محل البلشفية واستصغار دور لينين كمؤسس للحزب وقائد لثورة اكتوبر ، ويرددون بعد تروتسكي بان الحزب البلشفي خرج منتصرا في ثورة اكتوبر لانه تخلى عن سياسته القديمة وتبنى نظرية «الثورة الدائمة» لتروتسكي ، وان تروتسكي وليس الحزب الشيوعي بقيـادة لينين ، هو الذي كان ملهم ومنظم ثورة اكتوبر .

استخدم المؤلفون وثائق واسعة ليثبتوا ان صراع تروتسكي والتروتسكيين ضد لينين والحزب البلشفي ، لم يكن نتيجة اخطاء ومتاهات مؤقتة ، بل هو سلوك عدائي وواع لعمـلاء البورجوازية في الحركة الثورية، وان التروتسكية كانتدائما العدو الاشد ضراوة للينينية، وان انخراط تروتسكي ومؤيديه في الحزب البلشفي في آب (اغسطس) من سنة ١٩١٧ ، لم يكن الا مناورة سياسية . ويؤكد تاريخ صراع تروتسكي والتروتسكية ضد لينين واللينينية قبل الثورة ، ان تحـول التروتسكية الى تيار ثوري مضاد مفضوح ، تركزت جهوده فيالصراع ضد الاتحاد السوفياتي والحزب الشيوعي ومجمل الحركة الشيوعية العالمية ، لم يكن ابدا مجرد مظهر عارض.

الفصل الاول

لينين يفضح انتهازية تروتسكي في المرحلة التحضيرية للثورة الروسية الاولى

نقد آراء تروتسكي المنشفية ــ الاصلاحية
حول مسائل البرنامج والتنظيم
في المؤتمر الثاني للحزب

□ **في** نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، انتقل مركز الحركة الثورية العالمية الى روسيا . في تلك المرحلة ، اظهرت احزاب الاممية الثانية المنغمسة في الانتهازية انها عاجزة اطلاقا عن قيادة الطبقة العاملة في النضال من أجل انتصار ديكتاتورية البروليتاريا . وكان من الضروري انشاء حزب ثوري ماركسي جديد بقيادة الجماهير وبالنضال الحازم ضد كل مظاهر الانتهازية .

كان ماركس وانجلز قد وضعا سلسلة من الموضوعات عن الحزب البروليتاري الثوري . واستنادا الى هذه الموضوعات ، واخذاً بالظروف التاريخية الجديدة ، طوّر لينين العقيدة الماركسية حول حزب البروليتاريا ودوره في الحركة الثورية ؛ وحدد ان حزب الثورة الاجتماعية وديكتاتورية البروليتاريا وحده ، بعد ان يقطع نهائيا مع الانتهازية ، هو المؤهل لقيادة البروليتاريا الى الانتصار .

وأشار لينين مرارا الى ان النضال ضد الانتهازية هو قانون التطور الداخلي لكل حزب ماركسي : « لم يتكون حزب اشتراكي ــ ديمقراطي في العالم (خاصة في مرحلة الثورات البورجوازية) دون صراع شاق ، وانشقاقات متعددة ، مع رفاق طريق البروليتاريا من البورجوازيين . ففي النضال العسير ضد رفاق الطريق ، منذ سنة ١٨٩٨، يصنع حزب العمال الاشتراكي ــ الديمقراطي في روسيا ، وينمو ويتعزز ويصقل هو أيضا بالرغم من شتى المصاعب (١) » .

---

(١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٥٥٤ .

ويحدد المؤتمر الثاني لـ ح.ع.أ.د.ر، الذي عقد في تموز ــ آب (يوليو ــ اغسطس) ١٩٠٣ ، مرحلة جدّ هامة في خلق حزب ماركسي ثوري للطبقة العاملة في روسيا ، حزب من طراز جديد . والصراع الذي وضع لينين ومؤيديه ، أثناء المؤتمر، بوجه الانتهازيين، كان صراعا من أجل انتصار الاتجاه اللينيني الايسكري ، في الحركة العمالية الروسية .

« ان يكون المؤتمر قد عمل بالضبط في هذا الاتجاه ، فالامر كان محددا سلفا في السنوات الثلاث من نشاط الايسكرا ، وبفعل كون هذه الاخيرة معترف بها من غالبية اللجان . كان على برنامج واتجاه الايسكرا ان يصبحا برنامج واتجاه الحزب ؛ وعلى تصاميم الايسكرا في قضايا التنظيم ان تكرس في قوانين تنظيم الحزب »(٢) ، هذا ما كتبه لينين فيما بعد في كتاب « خطوة الى الامـام خطوتان الى الوراء » .

ان مناقشة مشروع لينين لبرنامج الحزب في المؤتمر الثاني ، والذي كان اقراره حاسما لخلق حزب من طراز جديد في روسيا ، قد أثارت هجمات عنيفة من قِبل الانتهازيين المفضوحين والمتسترين والعنـاصر المترددة . وكتب لينين فـي تقرير عن المؤتمر الثـاني لـ ح.ع.أ.د.ر قال : « كانت كل مادة من البرنامج تعالج وتقرّ منفردة . . . وقد كرس المؤتمر ثلثي وقته للبرنامج . »(٣) وكانت كل هجمات الانتهازيين ضد مشروع البرنامج اللينيني تهـدف في الاساس الى ابعـاد موضوعة ديكتاتورية البروليتاريا . ومع ان تروتسكي في تلك الفترة كان لا يزال يعتبر نفسه ايسكرياً ، فقد وقف الى جـانب الاقتصاديين أكيموف ومارتينوف والبونـدي(٤) ليبر ، ضد النقطة المركزية في برنـامج الحزب : ضد ديكتاتورية البروليتـاريـا . ولما لـم يتجرأ على الاحتجاج علناً على موضوعة

---

(٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٧ ص ٢١٩ .

(٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٧ ص ٢٠ .

(٤) البونديون وهم اعضاء البوند ، الحزب القومي اليهودي . وانضم البونـد في سنة ١٨٩٨ الى ح.ع.أ.د.ر لكنه انفصل عنه سنة ١٩٠٣ . كان البوند يمثل في المؤتمر الثاني القومية والانفصالية في الحركة العمالية .

ديكتاتورية البروليتاريا ، أعلن تروتسكي ان هذه الديكتاتورية لن تكون ممكنة إلا « عندما ، يصبح الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي والطبقة العاملة . . . أقرب الى التماثل ؛ عندئذ لن تعود ديكتاتورية البروليتاريا « استيلاء على السلطة » بواسطة متآمرين ، انما تكون السيطرة السياسية للطبقة العاملة المنظمة والمشكلة لغالبية الامة . »(٥)

وفي الوقت الذي كان يتساجل فيه مع أكيموف ، كان تروتسكي قد تخطى هذا الاخير عمليا : فقد دافع عن موضوعة استحالة تطبيق ديكتاتورية البروليتاريا ما دامت الطبقة العاملة لا تشكل غالبية الامة ، وما دام الحزب والطبقة العاملة لم يقتربا بعد من التوحد ، أي عندما تمَّحي الحدود ما بين الحزب والطبقة . وهذا هو الرفض الواضح لديكتاتورية البروليتاريا ؛ من هنا نفهم لماذا كتب أكيموف فيما بعد : « لقد عبّر تروتسكي عن رايه ب « ديكتاتورية البروليتاريا » ، الراي الذي أوافق عليه كلياً . » (٦)

رأى الماركسيون الروس انه من اجل استيلاء البروليتاريا على السلطة تدعمها جماهير الفلاحين ، ومن أجل ضرب الاوتوقراطية ، يجب ان تتحول سلطة الدولة المطلقة الى جمعية تشريعية تتألف من ممثلي الشعب . وبهذا الشأن نص مشروع برنامج الـ ح.ع.أ.د.ر على ان الاوتوقراطية ستحل محلها « اوتوقراطية الشعب » .

وفي الجلسة الحادية والعشرين من المؤتمر ، طلب أكيموف ايضاح ما هو مقصود ب « اوتوقراطية الشعب » . فأجاب تروتسكي محرّفاً المعنى الحقيقي لهذه المادة : « تحصل « اوتوقراطية الشعب » عندما تمارس البورجوازية ديكتاتوريتها . وعندما يحصل الاشتراكيون على الاغلبية تكون عندئذ مرحلة ديكتاتورية البروليتاريا . »(٧) فأكد تروتسكي من خلال هذه المداخلة مفهومه المعادي للماركسية حول ديكتاتورية البروليتاريا ، كما أكد ايضا

---

(٥) المؤتمر الثاني للـ ح.ع.أ.د.ر ، المحاضر ، موسكو ١٩٥٩ ص ١٣٦ .

(٦) ف. اكيموف ، بصدد اعمال المؤتمر الثاني للـ ح.ع.أ.د.ر جنيف ١٩٠٤ ص ٦٨ .

(٧) مؤتمر الـ ح.ع.أ.د.ر الثاني ، ص ٢٥٥ .

تضامنه مع انتهازيي اوروبا الغربية الذين ينفون دور الفلاحين الثوري . وبالفعل ، فقد كان هذا الموقف موجهاً ضد الثورة بمجملها لأنه يجردها من احتياطيها ويحكم على البروليتاريا بالهزيمة .

ليس من قبيل الصدفة اذن ان يعمد مزيّفو التاريخ الى كيل المديح لتروتسكي على « فهمه » لطبيعة ديكتاتورية البروليتاريا ! فالمؤرخ الالماني الغربي هـ. برهم يجهد نفسه ليثبت ان تروتسكي ، في مداخلاته في المؤتمر الثاني لل ح.ع.أ.د.ر ، كان يعبِّر عن ايمانه بانتصار ديكتاتورية البروليتاريا في مستقبل قريب(٨) .

واحتوت مقترحات تروتسكي حول ديكتاتورية البروليتاريا على جنين النظرية التي وضعها سنة ١٩٠٥ ، بمشاركة بارفوس ، والتي كان محورها الشعار الانتهازي « لا للقيصر بل من أجل حكومة عمالية » ، أي الثورة بدون فلاحين ؛ كان يستعمل تروتسكي هذه النظرية سلاحا ضد اللينينية .

ودافع لينين وانصاره ، خلال المناقشات الحادة حول كل مسائل البرنامج ، عن النظرية الماركسية حول ديكتاتورية البروليتاريا ، وتصدوا لتروتسكي وللانتهازيين الآخرين . قال لينين : « لقد عبَّروا عن آراء كانت قد وصفت عن حق انها انتهازية . ذهبوا الى درجة « رفض » نظرية الاملاق ، والى حد التشكيك بديكتاتورية البروليتاريا ... »(٩) وتبنّى المؤتمر بالغالبية الساحقة مشروع لينين لبرنامج الـ ح.ع.أ.د.ر الذي تضمَّن جزئين هما : برنامج الحد الادنى ، وبرنامج الحد الاقصى . ولقد حددت هذه الوثيقة بوضوح أهداف الاشتراكيين — الديمقراطيين النهائية كما حددت مهامهم المباشرة(١٠) .

---

(٨) **Cf. H. BRAHM. Trotzkys Kampf un die Nachfalge Lenins. Koln 1964 S. 18.**

(٩) **ف. لينين ، المؤلفات ، باريس — موسكو ، مجلد ٦ ص ٥١٤ .**

(١٠) **يحرف المزيفون البورجوازيون البرنامج الاول لل ح ع أ د ر . هكذا عندما يعرض هـ. برهم الاحداث المتعلقة بالمؤتمر الثاني ، يحصر كل البرنامج على برنامج الحد الادنى ، ويرمي النقاط المتعلقة بالحريات السياسية والمساواة في الحقوق لكل المواطنين والفصل بين الكنيسة والدولة .**

(Cf. H. BRAHM. Trotzkys Kampf un die Nachfolge Lenins, S. 18)

لقد كان البرنامج الذي أقره المؤتمر الثاني برنامجا ماركسيا أصيلا للحزب البروليتاري الثوري. وخلافا عن الاحزاب الاشتراكية ــ الديمقراطية الاوروبية الغربية، كان الـ ح.ع.أ.د.ر في ذلك الوقت، الحزب العمالي الوحيد في العالم ، الذي أدخل في برنامجه موضوعة ديكتاتورية البروليتاريا . وقد كتب لينين فيما بعد: « ان مسألة ديكتاتورية البروليتاريا قد عولجت في البرنامج بدقة ووضوح وذلك بالارتباط مع النضال ضد برونشتاين وضد الانتهازية . » (١١)

وسجل احتواء برنامج الحزب لهذا المطلب انتصار الماركسية الثورية ، وانتصار اللينينية على الانتهازية في الحركة العمالية الروسية .

وكان البرنامج الذي اقر في المؤتمر الثاني للـ ح ع ادر ثمرة الجهد النظري الكبير الذي بذله الماركسيون الروس . فقد حدّد السياسة الماركسية اللاحقة للحزب وساهم في تربية البروليتاريا تربية ثورية ؛ فناضل الحزب بنجاح ، مستلهما هذا البرنامج، من أجل انتصار الثورة الديمقراطية البورجوازية والثورة الاشتراكية في روسيا .

وأعطى إقرار البرنامج في المؤتمر الثاني قاعدة صلبة للوحدة الايديولوجية في الحزب الماركسي . وكرّست هذه الوحدة على الصعيد التنظيمي بأنظمة الحزب الداخلية. وقد اعتبر لينين الانظمة الداخلية بمثابة القاعدة المادية التي تسمح بتطبيق برنامج الحزب . (١٢)

اثناء مناقشة مشروع أنظمة الحزب ، ايضا ، كما حصل اثناء اقرار البرنامج، اضطر لينين وانصاره الى محاربة العناصر المتذبذبة والمترددة والانتهازية بحزم .

وترتكز أنظمة الحزب على مبدأ المركزية الديمقراطية وعلى فكرة حزب مركزي واحد ذي النظام الحديدي . وقد اعتبر لينين ان كل عضو في الحزب يجب ان يكون عاملا في احدى منظماته ؛ وهذا ما يساعد على تربية المناضلين بروح الماركسية والانضباط الحازم ،

---

(١١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو، مجلد ٣١ ص ٣٥٢ .
(١٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٧ ص ٤٣٤ .

وتأمين مراقبة فعلية لنشاطات كل عضو . ففي هذه الشروط ، يكوّن الحزب نظاماً منسجما من منظمات تعمل وفقاً لخطة موحدة.

وجاء في الفقرة الاولى من صياغة لينين لأنظمة الحزب أنه يعتبر عضواً في الـ ح‌ع‌ادر كل شخص يعترف ببرنامج الـ ح‌ع‌ادر ويدعم الحزب مادياً ، كما من خلال مشاركته الشخصية فياحدى منظماته .

وبعكس لينين كان مارتوف يعتبر أنه يكفي ان يعمل العضو تحت مراقبة احدى المنظمات ؛ واقترح انيقبل في الحزب كلالذين يرغبون في ذلك دون ان يفرض عليهم واجب المشاركة في احدى المنظمات ، ودون الخضوع للتنظيم الحزبي . هكذا كان مارتوف يقفضد مبدأ المركزية الديمقراطية، وضد روح التنظيم والانضباط الحزبي .

وكانت الخلافات ، من حيث الشكل ، حول الفقرة الاولى من النظام الأساسي تتعلق بمسألة الانتساب للحزب . أما من الناحية المبدئية فقد كانت الصيغتان المختلفتان لهذه الفقرة تعكسانخلافات في الرأي حول دور الحزب البروليتاري ، وحول مهامه ومبادىء بنيته ومجموع أعضائه .

بالنسبة للينين ومؤيديه ، ارتبطت صياغة مادة الانخراط في صفوف الحزب ، بالنضال من أجل اقامة ديكتاتورية البروليتاريا. فهم يريدون حزباً قادراً على قيادة الطبقة العاملة نحو النصر. وكان لينين يحذر من خطر اندساس عناصر مختلفة غير ثابتة ومترددة وانتهازية في الحزب . فهذا الخطر يهدد كل حزب عمالي في أي بلد لكنه اكثر جسامة في روسيا التي كانت في عشية الثورة الديمقراطية البورجوازية . لذلك أصرّ لينين على ضرورة الفصل بين الذين يعملون وبين الذين يثرثرون ؛ فكان يقول : « ان عشرة اشخاص يناضلون دون ان يعتبروا اعضاء في الحزب افضل بكثير... من انيعطى لثرثار حقوامكانية العضوية فيالحزب.»(١٣)

ان صياغة لينين التي أملتها مبادىء تنظيم حزب من نوعجديد، قد أكدت على رسالة اعضاء الحزب السامية ، وعلى ضرورة قبول

---

(١٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٦ ص ٥٢٧ .

أفضل عناصر الطبقة العاملة فيه . وقال لينين في المؤتمر : « ان مهمتنا هي الحفاظ على صلابة وانضباط ونقاء حزبنا . يجب ان نجهد لرفع اسم ودور عضو الحزب عالياً ودائما الى اعلى... »(١٤) ان تأكيد لينين على ضرورة انتقاء الاعضاء الجدد في الحزب وعلى تطلُّب الكثير منهم ، أصبح احد المبادىء الأساسية لتنظيم الحزب البلشفي .

وتفتح الصياغة التي اقترحها مارتوف للفقرة الاولى في النظام الاساسي، ابواب الحزب واسعة امام العناصر البورجوازية ـ الصغيرة غير الثابتة وتحوّله الى بنية ضبابية مائعة . وفي هذا الصراع حول مبادىء تنظيم الـ ح ع أ د ر ، كان تروتسكي مجدداً الى جانب مارتوف والانتهازيين الآخرين . وقد أوصله نفيه لضرورة ديكتاتورية البروليتاريا الى الانتهازية في مسائل التنظيم أيضا ، وقد نفى في مداخلاته اثناء مناقشة الفقرة الاولى للنظام الاساسي ، دور الحزب الماركسي كطليعة للطبقة العاملة .

وأكثر تروتسكي من الكلام عن العمال والمثقفين من الناحية الطبقية ومن ناحية الحركة الجماهيرية ، ولكنه تحاشى اثارة الطبيعة العميقة للخلافات القائمة ، ورفض الطابع المبدئي للخلافات في مسألة القبول في الحزب، والى ان يعترف بوجود وجهتي نظر في المؤتمر حول مسألة دور الحزب عامة ودور حزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطي في روسيا خاصة . وعارض تروتسكي صراحة اقتراح التصويت على صياغة لينين قائلا : « كنت أجهل أنه بالامكان طرح تعويذات تنظيمية ضد الانتهازية... ان صياغة الرفيق لينين يجب أن تُرفض . واكرر ذلك : انها مضللة . »(١٥) عمد تروتسكي الى كل الوسائل من أجل تشويه موقف لينين ، معلناً ان لينين كان يريد خلق ليس حزبا بل منظمة متآمرين لا يُقبل فيها سوى المثقفين فقط .(١٦)

---

(١٤) نفس المصدر ، ص ٥٢٨ .

(١٥) مؤتمر الـ ح.ع.أ.د.ر ، الثاني ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

(١٦) ان التهمة التي وجهها تروتسكي ضد لينين في المؤتمر الثاني لـ ح.ع.أ.د.ر ، والتي تقول باننا نسير نحو تاسيس منظمة من المثقفين المتآمرين في روسيا تحت طابع حزب عمالي ، ان هذه التهمة يستخدمها المزيفون البورجوازيون بشكل واسع . وهكذا يماثل ل. شابيرو موقف لينين بموقف الشعبي ب.

وجهد تروتسكي لانجاح تبنّي صياغة مارتوف حول القبول في الحزب معتمداً على حجة النضال ضد الميوعة البورجوازية الصغيرة. ومن خلال الدفاع اللفظي عن حقوق العمال ، حاول عملياً فتح أبواب الحزب للانتهازيين ، ولممثلي فوضى الأسياد الكبار وذاتية المثقفين. لم يناضل تروتسكي اذن في سبيل حزب الثورة الاجتماعية وديكتاتورية البروليتاريا ، بل من أجل حزب اصلاحي من الطراز الغربي .

ونبّه لينين بأن محاولة تروتسكي تحميل الحزب مسؤولية أفراد غير منضمين الى احدى منظماته ، سيؤدي عملياً الى ترك نشاط اعضاء الحزب بدون قيادة ولا مراقبة . ففي ظل شروط كهذه ، تصبح وحدة التحرك مستحيلة، وقد قال لينين: « لن تصبح اللجنة المركزية أبدا قادرة على بسط رقابتها الفعلية على كل الذين سوف يعملون دون ان يكونوا اعضاء في المنظمة . فمهمتها هي ضمانة رقابة **فعّالة** من قبل اللجنة المركزية . »(١٧)

وكان يعني في الواقع اتجاه تروتسكي ومارتوف ومؤيديهم لقبول أي كان عضواً في الـ ح ع ا د ر ، رفض الانضباط في الحزب. ففي كتابه « **خطوة الى الامام خطوتان الى الوراء** » ، أشار لينين الى أنه اثناء مناقشة الفقرة الاولى من النظام الأساسي اصطدم

تكاتشيف نصير الاستيلاء على السلطة من قبل زمرة من المثقفين . ففي مدخل كتابه ، يقول شابيرو عن نظرية تكاتشيف : « انها من عدة جوانب تشبه بشكل غريب البلشفية في الوضع الذي وصلت اليه ، وغالبا ما لقب تكاتشيف ، على غير حق ، بواضع افكار لينين . » (ل. شابيرو) الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ـ لندن ١٩٦٠، ص ١٩ .

يتهم برهم لينين بانشاء منظمة متآمرين في روسيا ويعلن ان لينين قد وقع تحت تأثير برونشتاين وفقد الايمان بالوحدة السياسية وباستقلالية الحركة العمالية في روسيا . وكتب برهم يقول : « توصل لينين الى استنتاج ضرورة منظمة من المتآمرين المحترفين يطلعون بصعوبات وحمل التحضير للثورة ، مكان العمال المثقلين كليا بصراعهم من اجل العيش اليومي » ان حياة وتاريخ حزبنا دحضت أكثر من مرة كل هذه الاكاذيب .

(H. BRAHM. Trozkys Kampf un die Nachfolge Lenins S. 20.)

(١٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٦ ص ٥٢٨ .

انصار فردية المثقفين البورجوازيين... بأنصار التنظيم والانضباط البروليتاري . »(١٨)

وأثناء مناقشة الفقرة الاولى من النظام الاساسي ناضل لينين من أجل حزب غير متهاون تجاه كل انتهازية ، وأشار في مداخلته الثانية الى ان تروتسكي ، في دفاعه عن صياغة مارتوف ، كان يساهم في تسريب عناصر انتهازية الى داخل الحزب، بينما تتوجب حماية الحزب من هذه العناصر بشتى الأساليب . « كي ننقض هذا الاستنتاج البديهي والواضح ، يجب ان نثبت ان مثل هذه العناصر غير موجودة ، ولكن الرفيق تروتسكي لم يفكر ببرهان ذلك ، اذ أنه من المستحيل اثباته ، لأن كل واحد يعرف ان هذه العناصر ليست قليلة ، وأنها موجودة حتى في الطبقة العاملة . »(١٩)

ومن المعروف ان لينين في كتابه « ما العمل ؟ » قد أوضح وحدّد بنى الحزب العضوية . فيجب ان يتكوّن الحزب من عنصرين : حلقة ضيقة من المناضلين المسؤولين معظمهم من الثوريين المحترفين، وشبكة واسعة من المنظمات الحزبية المحلية تحظى بتأييد ومساندة الجماهير . وكتب لينين بأن منظمة الثوريين «بالضرورة... لا يجب ان تكون واسعة الانتشار ، ويجب ان تكون سرية قدر الامكان . »(٢٠) ولكن ، في نفس الوقت ، لم تكن لديه نيّة اقامة حاجز بين الحزب وبين الطبقة العاملة وجماهير الكادحين . فقد أشار دوماً الى أن الحزب الماركسي الثوري لا يمكن ان يقوم بدوره كفصيلة طليعية للطبقة العاملة ولكل الكادحين الا اذا كان مرتبطاً بالجماهير .

كان كل اتجاه تآمري غريباً عن لينين . فمنذ بداية نشاطه الثوري ، ثار ضد كل محاولات حرف حركة التحرر الى طريق المؤامرات والمغامرات . وكتب سنة ١٨٩٧ بصدد النضال من أجل الاشتراكية ، ان الاشتراكيين ـ الديمقراطيين « اعتقدوا دائماً وما زالوا يعتقدون ان هذا النضال يجب ان يقوده ، لا المتآمرون انما

---

(١٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٧ ص ٢٨١ .

(١٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٦ ص ٥٢٦ .

(٢٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٥ ص ٤٦٤ .

حزب ثوري يستند على الحركة العمالية . »(٢١) يجب ان يحاط حزب الطبقة العاملة ، بالنسبة للينين ، بمنظمات اخرى تابعة له تكون اكثر اتساعاً وتنوعاً قدر الامكان ؛ والحزب ، بصفته الشكل الأعلى للتنظيم الطبقي ، هو مدعو لقيادتها كلها .

ولقد حدد لينين ، في مؤتمر الاممية الشيوعية الثاني سنة ١٩٢٠ ، مفهوم « الحزب السياسي للبروليتاريا » . وصرح قائلا : « ... هل هو حقاً حزب سياسي عمالي ؟ لا يتوقف ذلك فقط على مسألة معرفة ما اذا كان مؤلفا من عمال ، ولكن أيضا ، من هم الذين يقودونه ، وما هو طابع نشاطه وتاكتيكه السياسي . العنصران الاخيران فقط يسمحان لنا بالحكم ما اذا كنا أمام حزب سياسي حقيقي للبروليتاريا . » (٢٢)

وفي مرحلة انعقاد المؤتمر الثاني للـ ح ع أدر ، كان يضم الحزب بضع عشرات الالوف من الاعضاء ، ولكن تأثيره الايديولوجي كان يمتد الى مئات الالوف من العمال.(٢٣) وبتبنّيه لبرنامجه ، أكد نفسه حزباً بروليتارياً طبقياً غايته النهائية اقامة ديكتاتورية البروليتاريا وتأمين الحاجات الحيوية للطبقة العاملة .

وفضح الماركسيون الحقيقيون بقيادة لينين، في المؤتمر الثاني، الانتهازية المتسترة بالجمل الثورية لهجمات تروتسكي على صياغة لينين للفقرة الاولى في النظام الأساسي . فبيَّن لينين في مداخلته بأن تروتسكي قد شوّه فكرة كتابه ما العمل ؟ المركزية ؛ عندما يزعم تروتسكي انه في حالات الاعتقالات تكون المنظمات العمالية هي أول من يعاني من ذلك ، وأن فقط المثقفين يبقون في الحزب ؛ وبيَّن لينين ان تروتسكي يحل مفهوم الطبقة محل مفهوم الحزب، وذلك خطأ فادح . فقد كان لينين يقول : إن « الحزب ، يجب ان يكون فقط، الفصيلة الطليعية ، وقائد الجماهير الواسعة في الطبقة العاملة التي تعمل كلها (أو تقريباً كلها) « تحت رقابة وقيادة » منظمات الحزب،

---

(٢١) ف. لينين ، المؤلفات ـ باريس ـ موسكو ، مجلد ٥ ص ٤٦٤ .

(٢٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣١ ص ٢٦٧ .

(٢٣) « تاريخ تأسيس حزب من طراز جديد » تقرير البلاشفة في المؤتمر الاشتراكي العالمي سنة ١٩٠٤ ، موسكو ، ١٩٦٣ ص ٦٢ .

ولكنها لا تنضم كلها ، ولا يجب ان تنضم كلها الى الحزب . »(٢٤)

والذين دافعوا عن صياغة لينين للفقرة الاولى في النظام الأساسي هم س. غوسيف وب. كراسيكوف وآخرون، مشيرين في مداخلاتهم الى أن هذه الصياغة لا تخلق اطلاقاً عوائق عسيرة لدخول الحزب، كما ادّعى تروتسكي ومارتوف وسواهما من الذين اخترعوا هذه العوائق بقصد تغطية الطابع الانتهازي للصياغة التي أرادوا فرضها.

وعارض أنصار لينين بشدة صياغة مارتوف التي تؤدي الى خلق حزب اصلاحي غير ثوري. وكانوا يدافعون عن فكرة الحزب البروليتاري المتراص ، المقاتل ، الجيد التنظيم والانضباط ؛ بينما أراد تروتسكي ومارتوف الابقاء على حزب مائع التنظيم وغير متناسق بقصد البلبلة. لذلك ساندت كل العناصر الانتهازية ـ البوند ، الاقتصاديون ، الوسطيون ، الإيسكريون المترددون ـ صياغة مارتوف . وأدى تحالف الانتهازيين ضد اللينينيين الى فرض تبنّي صياغة مارتوف للفقرة الاولى في النظام الأساسي .

وعلى الرغم من ان غالبية المؤتمر لم تؤيد مشروع لينين للفقرة الاولى في أنظمة الحزب ، فقد تابع الاشتراكيون ـ الديمقراطيون الثوريون نضالهم ضد الانتهازيين حول موضوعات النظام الاخرى، ونجحوا في اقرارها حسب صياغة لينين . واضطر ، فيما بعد ، مارتوف للاعتراف بأن « هزيمة لينين هذه ، أضحت عديمة التأثير بعد اقرار النقاط الاخرى من النظام ...(٢٥) »

وكان لنضال الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الثوريين بقيادة لينين من أجل أنظمة الحزب أهمية بالغة. فقد دافع الماركسيون الحقيقيون في المؤتمر الثاني عن تصميم التنظيم الإيسكري الذي وضع وفقاً لمبادىء الحزب البروليتاري الثوري في روسيا .

وكان من الضروري ترسيخ انتصار المبادىء الإيسكرية في مسائل البرنامج والتكتيك والتنظيم ، وذلك من خلال إزالة روح

---

(٢٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٦ ص ٥٢٦ .

(٢٥) ل. مارتوف ، تاريخ الاشتراكية ـ الديمقراطية في روسيا ، موسكو ـ بتروغراد ، ١٩٢٣ ص ٧٦ .

التكتلات ، وانتقاء قيادة قادرة على توجيه كل نشاط الحزب في الطريق الثوري .

ان انتخاب الهيئات القيادية فيالحزب (اللجنة المركزية والجهاز المركزي) فتح المجال لصراع عنيف أدى الى الانشقاق النهائي للإيسكريين . فعندما رأوا المبادىء اللينينية لبناء الحزب تفرض نفسها ، آثر مارتوف ومؤيدوه الانشقاق عن الإيسكرا . وعارض الانتهازيون اقتراح لينينبانتخاب مجموعتين منثلاثة أعضاء ، الاولى في اللجنة المركزية، والثانية فيهيئة تحرير جريدة الحزبالمركزية، مع ان هذا الاقتراح كان قد وضع قبل المؤتمر الثاني واقره محررو الايسكرا الآخرون : بليخانوف ومارتوف وأكسلرود وزاسوليتش وبوتريسوف .

وقدّم النقاش حول انتخاب هيئات الحزب المركزية اثباتات جديدة على موقف تروتسكي الانتهازي. فقبل المؤتمر كان تروتسكي قد أيد فكرة المجموعتين من ثلاثة أعضاء ، وفي الجلسات الاولى وقف مدافعاً عن مبدأ المركزية ضد حملات «الاقتصادي» أكيموف. ولكن أثناء انتخاب هيئات الحزب المركزية ، نزع تروتسكي قناعه واتخذالموقف المضاد، ان منقضية المركزية، أم من قضيةالمجموعتين من ثلاثة أعضاء . وانضم تروتسكي الىمارتوف في تزييف الوقائع، فأكد ان اقتراح المجموعتين من ثلاثة اعضاء قدّم بناء على اقتراح لينين وحده دون أن يقرّ في هيئة التحرير بمجملها . وقال في الجلسة الثالثة عشرة من المؤتمر : « أكد الرفيق روسوف(٢٦) بأني، كما يقال ، قد دافعت عن فكرة المجموعتين من ثلاثة أعضاء . وهذا غير صحيح ... وتردد هنا مراراً ان مشروع انتخاب « مجموعتين من ثلاثة اعضاء » قد وضعته هيئة التحرير . هذا أيضاً غيرصحيح؛ إنه من وضع واحد فقط من اعضائها . »(٢٧)

عندما لم يستطع مؤيدو مارتوف النيل من اقتراح انتخاب هيئات الحزب القيادية وفق مبدأ المجموعتين من ثلاثة أعضاء ، حاولوا الاستئثار بهيئة تحرير الإيسكرا بهدفالاستيلاء علىالتوجيه

---

(٢٦) الاسم المستعار للبلشفي ب. كنونيانتز .

(٢٧) المؤتمر الثاني للـ ح ع ا د ر . ص‌ص ٣٦٤ — ٣٦٥ .

السياسي في الحزب . وبالرغم من الأنظمة التي أقرت ، أصروا على أن يعاد انتخاب المحررين الستة للإيسكرا والذين كان أربعة منهم مؤيدين لمارتوف واصر تروتسكي أيضا على ضرورة الابقاء على التركيب القديم لهيئة التحرير، وانكر حتى صلاحيات المؤتمر، معلناً انه لا يملك « أي حق ، لا سياسي ولا معنوي لتغيير هيئة التحرير . »(٢٨)

ووجه لينين انتقادات قاسية الى معارضي المجموعتين من ثلاثة أعضاء . وبيَّن بالاستناد الى تاريخ هذه المسألة أن مارتوف وتروتسكي قد شوّها الوقائع لإرضاء الانتهازيين : ان فكرة انتخاب مجموعتين من ثلاثة أعضاء ، قد قدمتها هيئة التحرير ولم يعارضها أي من الأعضاء . « والرفيق مارتوف مع الرفيق تروتسكي وغيرهما، قال لينين، دافعا فيما بعد مرارا عن هذا النظام لانتخاب مجموعتين من ثلاثة أعضاء في سلسلة من الاجتماعات الخاصة للإيسكريين . »(٢٩)

ان الملاحظات حول مشروع « برنامج المؤتمر الثاني العادي لل ح ع أدر » ، التي وضعها لينين (تموز (يوليو) ١٩٠٣ جنيف) (٣٠) والتي دوّنها مارتوف ، ليست سوى تأكيد لأقوال لينين . فهذه الوثيقة ، وخاصة الملاحظات حول المادة الرابعة والعشرين من جدول أعمال المؤتمر ، والتي أعدّها لينين ، تظهر بأن مارتوف كان يعرف من قبل المؤتمر تصميم لينين القاضي بانتخاب مجموعتين من ثلاثة أعضاء لهيئات الحزب القيادية، وأشكال الاختيار المتبادل من المراكز . ويظهر ايضا من هذه الوثيقة ان مارتوف كان قبل المؤتمر موافقاً كلياً على اقتراح لينين ، وكان قد شارك بنشاط في المناقشات الأولية وفي وضع مبدأ إرساء أسس مؤسسات الحزب المركزية .

وعلى اثر ملاحظات مارتوف ، أضاف لينين الى التعليقات على المادة الرابعة والعشرين من مشروعه ، ملحقات مكتوبة بالحبر الاحمر بعد الكلمات : « بعد الموافقة . »(٣١) وأشار لينين في مداخلته في

---

(٢٨) نفس المصدر . ص ٣٦٥ .

(٢٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٦ ص ٥٣١ .

(٣٠) الكراس السادس ، لينين ، ص ص ٦٤ ـ ٦٥ .

(٣١) نشر نص التصحيحات حرفيا للمرة الاولى في مؤلفات لينين الكاملة . (مجلد ٧ ص ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ ، الطبعة الروسية الخامسة .)

الجلسة الواحدة والثلاثين من المؤتمر الى ذلك فقال : « ... قبل المؤتمر بأسابيع صرّحت له بكل وضوح (لمارتوف) ولعضو آخر من هيئة التحرير، بأنني سوف اشدد في المؤتمر على ان تنتخب هيئة التحرير بحرية . واذا كنت قد تخليت عن هذا التصميم ، فذلك فقط لأن الرفيق مارتوف بالذات قد اقترح عليّ ، عوضاً عن ذلك التصميم الأفضل لانتخاب مجموعتين من ثلاثة أعضاء ... وقد دوّنت هذا التصميم علىورقة وأعطيته أولا للرفيق مارتوف بالذات الذي أعاده لي مع بعض التصحيحات. ان هذه الورقة موجودة معي الان وعليها تصحيحات مارتوف بالحبر الأحمر . وقد شاهد عدد من الرفاق هذا المشروع عشرات المرات واطلع عليه كل أعضاء هيئة التحرير أيضا ، ولم يعترض أحد أبداً على هذا المشروع ولو شكلياً . »(٣٢)

وأشار لينين الى أن مارتوف ومؤيديه اختاروا أحد الاتجاهين اللذين برزا فيالحزب أثناء المؤتمر، أي الاتجاه الانتهازي بالذات،(٣٣) وساروا في طريق الاهمال وانعدام التنظيم والانقسام .

وبعد لينين ، قام بالدفاع عن مشروع المجموعتين من ثلاثة أعضاء ، كل من أ. ستوباني و س. غوسيف و م. ليادوف وج ميشينيف وب. كراسيكوف وف. نوسكوف ون. بومان ، وصرّح بومان بأن الأمر يتعلق بمسألة مبدئية وليس بعلاقات شخصية مبنيّة على ردّات فعل ، كما يحاول أنصار مارتوف ان يظهروا ذلك لكي يخفوا آراءهم الانتهازية والمعادية للماركسية . وقال بومان أيضا : « لقد ذكرونا عدة مرات أننا هنا أعضاء حزبيون ويجب أن تقودنا بالتالي اعتبارات سياسية . ولكننا في هذا الوقت ، نرى ، في مسألة الثقة التي ستولى لهذا أو لذاك من المحررين ، كل شيء تحدده المصالح الشخصية. »(٣٤) واستنكر بومان ادعاءات تروتسكي بأن المجموعتين من ثلاثة أعضاء هي فكرة اقترحها لينين بمفرده دون موافقة المحررين الآخرين ، وذكّر بحواره مع مارتوف الذي قال له

---

(٣٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس - موسكو ، مجلد ٦ ص ٥٣٠ .
(٣٣) نفس المصدر ص ٥٣٢ .
(٣٤) المؤتمر الثاني لل ح ع أ د ر ، ص ٣٦٧ .

أن مشروع المجموعات الثلاثية قد أيده هو ومحرر آخر ، وهو لا يعود الى لينين وحده .(٣٥)

وأشار ب. كنونيانتز، فيمداخلته حول انتخاب لجنة التحرير من المجلس المركزي ، الى أن تروتسكي والانتهازيين الآخرين حاولوا أن يحلوا محل القضية المبدئية مسألة الموقف الواجب اتخاذه من بعض الاعضاء في هيئة التحرير القديمة للإيسكرا . بالنسبة لكنونيانتز ، كان هذا الاسلوب في حسم مسألة معرفة من يقود الحزب ومن يحدد خطّه السياسي ، « موقفاً غاية في الحقارة بالنسبة لشؤون الحزب » .(٣٦) ودعا كنونيانتز مندوبي المؤتمر « الى عدم الانخداع بخطب البورجوازية الصغيرة المتملّقة حول التخوف من غير المنتخبين ، وعندما ينبغي الاختيار ، وتجاه كل تصرّف أيضا ، يجب الانطلاق من وجهة نظر مصالح الحزب، ومصالح القضية المشتركة . »(٣٧) وأضاف : « أتعجَّب أن يكون الرفيق تروتسكي نفسه هو الذي يهاجم فكرة المجموعتين من ثلاثة أعضاء . أليس هو نفسه الذي دافع بشدة اثناء الانتخابات الأولية ، عن جدول الاعمال المعتمد ؟ فهو لم يتفوّه بكلمة حينذاك عن لا معقولية انتخاب مجموعتين من ثلاثة أعضاء ! »(٣٨)

وأيد س. غوسيف كنونيانتز فقال: « اذا كان اقتراح المجموعتين من ثلاثة أعضاء يثير تروتسكي اليوم الى هذه الدرجة ، فكيف حصل أنه ، من قبل ، لا لم يغضب فحسب بل على العكس ، ألقى خطباً ملتهبة لصالح الاقتراح ؟ »(٣٩)

لقد فضح ب. كنونيانتز و ن. بومان و س. غوسيف وب. كراسيكوف و أ. ستوياني في مداخلاتهم ، وبالاستناد الى أمثلة حسيّة ، سياسة تروتسكي الملتبسة حول قضية هيئات الحزب المركزية . ورفض المؤتمرون محاولات تروتسكي الهادفة الى إيصال

---

(٣٥) نفس المصدر .
(٣٦) نفس المصدر ، صص ٣٦٣ — ٣٦٤ .
(٣٧) نفس المصدر ، ص ٣٦٤ .
(٣٨) المؤتمر الثاني للـ ح ع ا د ر ، ص ٣٦٤ .
(٣٩) نفس المصدر ، ص ٣٦٥ .

العناصر الانتهازية الى قيادة الحزب ، والى إغراق الاشتراكيين ــ الديمقراطيين الثوريين بجمع مــن الانتهازيين ، وأيدوا بغــالبيتهم مشروع لينين لتشكيل هيئات الحزب القيــادية . وكما ذكر لينين فيما بعد : « بعد نقاش عاصف وحاد ، **قرر المؤتمر عدم تأكيد هيئة التحرير القديمة .** »(٤٠)

وانتُخب الى هيئة تحرير الإيسكرا لينين وبليخانوف ومارتوف الذي رفض المشاركة فيها مؤكداً مرةاخرى طابع الخلافات المبدئي. وانتخب المؤتمر الــى اللجنة المركزية ج. كرجيجانوفسكي و ف. لينجنيك و ف. نوسكوف . أما مجلس الحزب الذي يضم ممثلين اثنين عن اللجنة المركزية واثنين عن هيئة التحرير المركزية ورئيساً انتخبه المؤتمر ، فقد اعتبر الهيئة العليا فيالحزب. وانتخب المؤتمر الثاني بليخانوف رئيساً لمجلس الحزب، ولينين ممثلا للإيسكرا فيه.

لقد أكد المؤتمر انتصار المبادىء اللينينية بانتخاب هيئاتالحزب القيادية . منذ ذلك الحين ، سمِّي مؤيدو لينين بلاشفة (أغلبية) لأنهم حازوا على غالبية المراكز القيادية ، وسمِّي أعداؤهم بالمناشفة (أقلية) . فكانت « الاغلبية » تشكل الجناح الثوري في الحزب، وتمثل « الأقلية » الجناح الانتهازي .

لم يكن الانشقاق الذي حصل أثناء انتخاب الهيئات القيادية في المؤتمر الثاني ، مجرد صدفة . انما كان نتيجة الاختلافات المبدئية العميقة بين الفئة الثورية الأصيلة والفئة الانتهازية في المؤتمر، في مناقشات برنامج الحزب، ومبادىء التنظيم، ومسائل اخرى.(٤١)

---

(٤٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٧ ص‌ص ٢٦ ــ ٢٧ .

(٤١) تبنى مزيفو التاريخ الاكاذيب التروتسكية ـ المنشفية ، مظهرين الانشقــاق الذي حصل في المؤتمر الثاني لل ح ع أ د ر وكأنه نتيجة للخلافات الشخصية بين قادة الحزب . وكتب شابيرو قال : « في الحــادث الذي كان بالفعــل سبب الانقسام ، يصعب كشف اية مظاهر اعتبارات مبدئية . »

(ل. شابيرو ، الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، ص ٤٩ .)

ويتجاهل برهم الصراع الحاد الذي دار حول كل مادة من البرنامج ، ويقدم للقارىء ادعاءات اكثر خطأ ، فقد كتب يقول : « بالنسبة لبرنــامج الحزب ، لم يظهر اي خلاف بين الايسكريين في المؤتمر . »

(H. Brahm, Trotekys Kampf un die Nachfolge Lenins)

واعتمد الحزب البلشفي منذ البداية ، مواقف ثورية منسجمة. أماالمناشفة ، فقد تابعوا سياستهم الانشقاقية بعد المؤتمر الثاني وكذلك الآراء المنشفية الاصلاحية التي طرحها اثناء المؤتمر، سجّلت بداية التروتسكية كشكل من أشكال المنشفية . ويظهر هذا الاتجاه أن في الحركة العمالية صراعاً يدور بين الجناح الثوري والجناح الانتهازي ، في الاشتراكية ـ الديمقراطية . لم تكن التروتسكية سوى الكاوتسكية منقولة الى روسيا . وقد أظهر تروتسكي ، في المؤتمر الثاني لل ح‌ع‌أدر ، ميلا نحو أخطر أنواع الانتهازية ، نحو الوسطية . فقد سعى بدأبٍ لاعتماد خط متوسط بين الثوريين والانتهازيين متردداً ومتذبذباً دوماً .

وبالواقع ، فقد شكل تروتسكي جبهة واحدة مع الانتهازيين ، من أكيموف الى مارتوف . ودافع مع هؤلاء عن محاولات نزع الدور الطليعي من الحزب البروليتاري الروسي ، وتحويله الى منظمة تلهث وراء الفئات المتخلفة بدلا من رفع مجمل الطبقة العاملة الى مستوى فصيلتها المتقدمة . وكان تروتسكي يخفي ميوله الانتهازية خلف جمل ثورية ، وأفضل تحديد لطبيعة موقف تروتسكي في المؤتمر، أعطاه لينين وهو : « شعار ثوري+(زائد) جوهر اصلاحي». (٤٢)

في ذلك الوقت بدأ تروتسكي نشاطه كإنتهازي ، يجهد دون أن ينفي هذه الموضوعة أو تلك ، أن يحولها الى شيء تافه دون معنى بأي شكل من أشكال التعديلات . فأثناء مناقشة برنامج الحزب ، لم ينفِ تروتسكي الموضوعة الأساسية، أي ديكتاتورية البروليتاريا، بل على العكس ، أيدها ضد الاقتصادي أكيموف . ولكن تعديلاته كانت تفرغ البرنامج من محتواه الكفاحي . وظهرت ، بالوضوح التام ، اتجاهات تروتسكي الوسطية في مسألة الانتساب للحزب.

كان انتقاد تروتسكي ، الموجه الى لينين ومؤيديه في المؤتمر ، يساري المظهر ويمينياً في جوهره ، لأنه كان يوجه الحزب في طريق الاصلاحية .

هذه محاولة بسيطة لاعادة الاعتبار لتروتسكي وللانتهازيين الاخرين الذين تداخلوا في المؤتمر ضد الماركسية الثورية .

(٤٢) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٤٩ ص ٣٥٦ .

ان دراسة مداخلات تروتسكي في المؤتمر الثاني وموقفه المنشفي من مسائل البرنامج والتنظيم، يعدمان فائدة ادعاءات المزيفين القائلة بأن تروتسكي كان إيسكرياً صلباً ونصيراً للينين دون تحفظ. وتظهر مداخلات لينين والبلاشفة الآخرين أن تروتسكي كانت تجمعه بالمناشفة الآخرين قضية مشتركة في الموقف من المسائل الأساسية في البرنامج وفي النظام الأساسي، وأنه كافح بشدة ضد خط البلاشفة الثوري . وتفضح هذه المداخلات الوسائل الدنيئة التي كان يستخدمها تروتسكي لاقرار آرائه الانتهازية : تأرجح بين الانتهازيين والماركسيين الأصيلين، ورياء وجمل ثورية « يسارية »، وافتراءات على الثوريين الحقيقيين .

ان فضح الماركسيين الروس، بقيادة لينين، لآراء تروتسكي المنشفية الاصلاحية حول مسائل البرنامج والتنظيم، قد أسهم بشكل واضح في خلق الحزب الماركسي الثوري في روسيا ؛ الحزب البلشفي . واعتمد هذا الحزب المبادىء الايديولوجية التنظيمية التي وضعتها الإيسكرا اللينينية ؛ وقد شكل الثوريون المحترفون المجربون في النضال، كوادر الحزب الرئيسية .

فكان تأسيس حزب الطبقة العاملة الثوري حدثاً عميق الأثر في مصير روسيا . فمنذ ١٨٩٥ اثبتت الطبقة العاملة الروسية أنها قوة سياسية جديّة، ولكنها بعد خلق الحزب بدأت تصبح رائدة كل الشغيلة . فقد وجدت الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين والقوميات المضطهدة في برنامج الـ ح ع أ د ر التعبير عن أعمق تطلعاتها ؛ واتضح ان الـ ح ع أ د ر هو الحزب الوحيد الذي تستجيب نشاطاته كلياً لمصالح البلاد والشعب .

لقد تكوّن الحزب البلشفي، منذ البداية، حزباً من نوع جديد، حزب الثورة الاجتماعية وديكتاتورية البروليتاريا، غير المهادن للانتهازية، والثوري ضد البورجوازية . وبرز الحزب البلشفي الفصيل الاكثر ثورية في الحركة العمالية العالمية . وقد كتب وليام ز. فوستر : « كان الحزب حقاً جنين الأممية التقدمية الجديدة التي ظهرت على أثر الاحداث الثورية . »(٤٣)

---

(٤٣) و. ز. فوستر، تاريخ الامميات الثلاثة، موسكو ١٩٥٩ ص ١٩٥ .

وشكل المؤتمر الثـاني لك حعأدر ، الذي سبّب ولادة حـزب ماركسي ثوري من نوع جديد ، منعطفاً في الحركة العمالية العالمية.
وكان انتصار اللينينية ، في المؤتمر الثاني لك حعأدر علـى كل مظاهر الانتهازية من « الاقتصادية » الى التروتسكية ، تكريسـاً للماركسية الثورية في الحركة العمالية الروسية . وبقيادة حزب من نوع جديد ، مسلّح بالنظرية الاشتراكية ، انطلقت الطبقةالعاملة في الصراع الضاري ضد القيصرية والرأسمالية ، من أجل اقـامة ديكتاتورية البروليتاريا .

نضـــال البلاشفة
ضد نشاط تروتسكي الانقسامي
بعد المؤتمر الثاني لك ح ع أ د ر

خاض البلاشفة بقيادة لينين ، بعد المؤتمر الثاني لك حعأدر ، نضـالا حاسمـاً من أجل تطبيق البرنامج والانظمة الاساسية التي تبنّاها المؤتمر، من أجل تحضير الطبقة العاملة للمعركة الثورية ضد الاوتوقراطية .
وقد حاول المناشفة ، بعد الهزيمة التي اصيبوا بها في المؤتمر، ضربمقرراته والرجوع بالحزب الىالوراء ، الىالبلبلة الايديولوجية والتنظيمية ، والانحراف به الى الاصلاحية . كانوا يخفون عملهـم التخريبي وراء تصريحات مدوّية عن الأمانة للماركسية والرغبة في الحفاظ على « الوحدة » و « السلام » في الحزب .
حاول البلاشفة تطويق الأزمة الكبيرة التي بدأت في الحزب ، مستخدمين لذلك التفسيرات ، والاقناع ، والنقاش مع المنشقين. وكان لينين يرغب في اطلاع أعضاء الحزب الموجودين في روسيـا على كيفية سير أحداث المؤتمر الثاني لك حعأدر ، وعن نتائج هـذا المؤتمر ، لتبيان المعنى السياسي ، والأهمية المبدئية للنضـال الذي خاضه بعد المؤتمر لفضح الانتهازية والنشاط الانقسامي المعـادي للتنظيم الذي مارسه القادة المناشفة ، ولجمع كل اللجان الحزبية حول المواقف البلشفية . لذلك كان لينين يدفع هيئة التحرير لنشر

محاضر جلسات المؤتمر ؛ وبمبادرة لينين ومساهمته ، أعدّت اللجنة المركزية للـ حعأدر ، في منتصف تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٣ « تقريرا اعلامياً عن المؤتمر الثاني العادي للـ حعأدر » ، لم يصدر في الإيسكرا ، بسبب معارضة المناشفة وخاصة بليخانوف ، الا في الخامس والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٣، ثم فيما بعد في كرّاس في روسيا .

وعادت جماعة من البلاشفة المندوبين الى المؤتمر ، الى لجان الحزب المحلية ، أمثال : ر. زيميلياتشكا و ن. بومان و أ. ستوباني و د. اوليانوف و س. غوسيف و ب. كنونيانتز وآخرون غيرهم ؛ وأشار لينين في عدة نشرات صدرت بعد المؤتمر الى (« تركيب المؤتمر » ، و « تناقضات وتذبذب مارتوف » و « علاقات المؤتمر الثاني للـ حعأدر » وسواها ...) وأشار الى ان الانشقاق لم يكن مفاجئاً ؛ ومن خلال دراسة الوسائل المعادية للتنظيم التي يتبعها المناشفة بعد المؤتمر ، وحملتهم لمقاطعة هيئات الحزب المركزية، أكد لينين على ان المناشفة يتابعون سياستهم الانقسامية .

كان لينين يطلع دوما على أوضاع منظمات الحزب في روسيا عن طريق المراسلات مع أعضاء اللجنة المركزية ومناضلي الحزب ؛ وكان بتوجيهاته يدير أعمال المكتب الروسي للجنة المركزية. وهكذا، في ٥ تشرين الاول (اكتوبر) من سنة ١٩٠٣ ، كتب محذراً عضوي اللجنة المركزية كرجيجانوفسكي ونوفسوك ، من وصول عملاء مناشفة الى روسيا : « ... استعدوا للصراع الأكثر شرعية بل والأكثر ضراوة . لا بد من وضع جماعتنا في كل اللجان بدون استثناء . »(٤٤) وكان ينصح بإيلاء انتباه خاص لخاركوف وييكاتيرينوسلاف في منطقة الدون ، ولنقابة عمال المناجم التي كانت بيد المناشفة حينذاك . وكتب في رسالة الى كرجيجانوفسكي في ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) « يبدأ القفقاس بالتحرك ، هنا أيضاً ضرورية مساعدة جماعتنا . »(٤٥)

منذ نهاية سنة ١٩٠٣ ، أظهرت مناقشة مقررات المؤتمر الثاني

---

(٤٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٦ ص ١١٦ .

(٤٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٤٣ ص ١٨٢ .

لل ح ع أدر ، ان الغالبية الساحقة من منظمات الحزب كانت تتخذ مواقف لينينية، وتدين تصرفات المناشفة الفوضوية. وأيدت حوالي عشرون منظمة حزبية في روسيا برنامج البلاشفة ، ولم يحظ المناشفة الا على تأييد خمس لجان اشتراكية ــ ديمقراطية فقط . هكذا أثبتت أغلبية منظمات الحزب الماركسي الثوري قوّتها ونضوجها .

وتبنّى تروتسكي ، بعد المؤتمر الثاني ، موقفاً يمينياً متطرفا. ولكنه حاول ان يثبت بعد ثلاثين سنة، في كتابه «حياتي» ان علاقته بالمناشفة لم تدم طويلا . لكن الاحداث أثبتت عكس ذلك تماماً . وهكذا في ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٣ ، بينما كان البلاشفة يسعون لتفادي الانقسام بواسطة اتفاق عملي ، شارك تروتسكي بنشاط بارز في كونفرونس السبعة عشر منشفياً الذي عقد في جنيف ، خارقاً بانعقاده التنظيم الحزبي ، ومن وراء ظهر اللجنة المركزية . وانتخب تروتسكي في هذا الكونفرونس ، مع مارتوف ودان وأكسلرود ، عضواً في مكتب الوسطيين السري المعادي للحزب.

ان الخطة التي أقرها الكونفرونس لمحاربة البلاشفة هي من وضع تروتسكي ومارتوف ، وقد عرضت في الـ « مقررات حول المهام العاجلة للنضال داخل الحزب ، التي تبنّاها كونفرونس الأيام الثلاثة المؤلف من ١٧ مؤيداً للأقلية في المؤتمر الثاني . »(٤٦) وقد صاغت هذه المقررات هدف المناشفة الأساسي : « ترسيخ آرائنا في أذهان اعضاء الحزب المنشفيين. »(٤٧) وكان على المناشفة ان يهيمنوا على أجهزة الحزب المركزية لبلوغ هذا الهدف .

سافر تروتسكي ، بصفته قائد الأقلية ، الى بروكسل وباريس وليبيج ، والى سويسرا والمانيا ، حيث قدّم تقريرا للاشتراكيين ــ الديمقراطيين الروس حول المؤتمر الثاني لل ح ع أدر ، أورد فيه تفسيرات خاطئة لأحداث المؤتمر .

ان تقرير تروتسكي بعنوان « تقرير المندوبين السيبيريين » ، هو تفسير منشفي لنتائج أعمال المؤتمر الثاني لل ح ع أدر ؛ انه واحد

---

(٤٦) مجموعة لينين السادسة ، صص ٢٤٦ ــ ٢٤٩ .

(٤٧) مجموعة لينين السادسة ، ص ٢٤٨ .

من الوثائق السرية للمناشفة التي كتب عنها لينين في مقاله : « لماذا تركت هيئة تحرير الإيسكرا ؟ » : « ان كتابات سرية بدأت تغرق الخارج ، فهي ترسل الى اللجان ، وبدأ قسم منها الان مغادرة روسيا الى الخارج. منها تقرير مندوب سيبيريا ، ورسالة ن. حول شعارات « المعارضة » ، و « مرة اخرى أقلية » لمارتوف . »(٤٨)

وبصدد تصرفات المناشفة الانقسامية ، أشار لينين الى أنهم كانوا يحاولون ان يكتشفوا في هذه النصوص : « ... في مادة التنظيم ، خلافات « مبدئية » لا تسمح بعمل مشترك . »(٤٩)

ان « تقرير المندوبين السيبيريين » ، ومقالات تروتسكي في في الإيسكرا ، والكراريس التي كتبها هو بعد المؤتمر كانت كلها تفتري على لينين وعلى مشروعه التنظيمي . فقد نسب الى لينين « يعقوبية بورجوازية ـ صغيرة » ، ورغبة لإقامة دكتاتورية شخصية »(٥٠) في الحزب . وفي نفس الوقت ، كان تروتسكي يعرض الصراع الذي نشب في المؤتمر بأن ليس له أي طابع مبدئي. وجاء تقريره محشواً بالتناقضات وبالأفكار السياسية الغامضةالتي تفوح منها ذاتية المثقف . تلك كانت خطوة جديدة للكاتب نحو الانتهازية. ويظهر أيضا تقرير تروتسكي عنالمؤتمر الثاني للـح ع ادر، الى أي حد تتغير آراؤه تبعاً للظروف ؛ ففي النص الأصلي ، هاجم تروتسكي بليخانوف لأنه تداخل الى جانب لينين في المؤتمر ، لكنه غيَّر موقفه فجأة عندما انضم بليخانوف الى المناشفة . وقد كتب البلشفي ب. كراسيكوف : « ... المندوب السيبيري «الجدلي»، الذي منعته الجدلية من أن يترك بدون تغيير (فكل شيء يجري) حتى كتاباته التي ينعتها بالـ « وثائق الانسانية » ... فقد حوَّر تقريره بشكل جعلالموضوعة الأساسية في «وثيقته» : « بليخانوف، لعبة بين يدي لينين، » والتي ردَّدها بأشكال مختلفة ، تختفيتماماً فياعادة نشر هذا التقرير . وأكثر من ذلك، فقد وصل الى « نقيض الموضوعة » بانحناءته الرخيصة امام الرفيق بليخانوف . رائعة هي

---

(٤٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٧ ص ١٢٢ .

(٤٩) نفس المصدر .

(٥٠) كيف ولد حزب البلاشفة . لينينغراد ١٩٢٥ ص ٤٨٤ .

تلك الجدلية ! »(٥١)

وفي النشرة المستقلة لـ « تقرير المندوبين السيبيريين » ، كتب تروتسكي ملحقاً : « كلمتان على نهج خاتمة » ، وكان هذا الملحق موجهاً ضد رسالة لينين : « لماذا تركت هيئة تحرير الإيسكرا » ، التي رفض المناشفة نشرها . ان عملية نقد وثيقة لم تنشر تبين ، مرة اخرى ، ما هي أساليب تروتسكي في صراعه ضد لينين والبلاشفة . لقد انتقد لينين هذه الأساليب في مدخل كرّاسه ، « رسالة الى رفيق حول مهامنا التنظيمية » ، فقال : « بعد أن عبَّر الذين يعارضونني عدة مرات عن رغبتهم في استخدام هذه الرسالة كوثيقة ، فانني أعتبر من ناحيتي أن أي تحوير في النص من اجل النشر هو ، ببساطة وعلى الأقل ، تزوير . »(٥٢)

كان تروتسكي يلجأ دائماً في الصراعات الداخلية الحزبية الى أساليب يعتبرها البلاشفة دنيئة وغير مقبولة .

وفي سلسلة من رسائل ن. الموجهة الى روسيا ، كتبت كروبسكايا عن محاولات المناشفة « لتمريغ الأغلبية واللجنة المركزية في الوحل في سبيل تأكيد خطّهم » ؛ وكتبت في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٠٣ ، ان المناشفة « أرادوا اخفاء سلسلة من الوثائق : قسم من محاضر الجلسات في المؤتمر ، وتقرير المندوب السيبيري تروتسكي (الذي أرسلته الأقلية مباشرة الى اللجان) و « رسالة دان » التي نشرت بشكل واسع في الخارج. . . »(٥٣) وعندما نشر تقرير تروتسكي ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤ ، وصفته كروبسكايا بما يلي : « انه أمر غاية في الإبهام ، لقد أسقط كل ما يتعلق ببليخانوف . » نرى اذن كيف ان تروتسكي كان منذ البداية ، متلوّن الآراء تبعاً للظروف ، ومعادياً للثوريين الحقيقيين.

وأثار موقف تروتسكي المعادي للحزب وأساليبه في محاربة البلاشفة التي تنعكس في « تقرير المندوبين السيبيريين » ، موجة احتجاج لدى اللجان البلشفية . فقد وجهت لجنة تفير رسالة الى

---

(٥١) كيف ولد حزب البلاشفة ، ص ٢٥ .

(٥٢) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٧ ص ٥ .

(٥٣) مجموعة لينين العاشرة ، ص ٦٦ .

هيئـة تحرير جريدة الحزب المركزية تدين فيهـا سلوك تروتسكي الانقسامية ، مطالبة هيئة التحرير تفسير سبب نشر هذا الكرّاس المعادي للحزب باسم الحزب . فكتب ممثلو اللجنـة : « ان هـذا الكرّاس مليء بمظاهر عدم احترام المؤتمر وبأساليب في الجدل لا تليق بالرفاق . وأكثر من ذلك ، تطبع كراريس من هذا النوع، تحت اسم حزب العمـال الاشتراكي ــ الديمقراطي الروسي ؛ فلتفسّر هيئة التحرير ما اذا كانت هذه الكراريس قد نشرت مع موافقتها ، وما اذا كان هذا العنوان ليس مجرد تزييف. » (٥٤)

وقرر مجلس الحزب ، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٤ ألاّ يطبع وينشر أدب حزبيّ الا بعد طلب منظمة حزبية . وقـد فضح ف. فوروفسكي تصرفات المناشفة المعـادية للحـزب في كرّاسه « مجلس الحزب ضد الحزب » ، اذ كانوا يرفضون نشر مؤلفـات البلاشفة في مطبعة الـ ح ع أدر .

ويقول فوروفسكي ، مشيرا الى تناقض ادعاءات المناشفة مع الفقرة الاولى في أنظمة الحزب ، أنه في الوقت الذي يمسك فيـه البلاشفة احتكـار التـأثير الايديولوجي على الحزب فهم ينـادون باستقلالية منشورات الحزب وأثار فوروفسكي في هذه المناسبة، مسألة نشر كرّاس تروتسكي ، « هل يدافع الرفيق مارتوف منـذ زمن بعيـد عن حق الرفيق تروتسكي في اصـدار نشرة خـاصة لـ « تقرير المندوبين السيبيريين » معنونة باسـم الـ ح ع أدر ؟! »(٥٥) وبيّن أن المناشفة ينشرون مؤلفاتهم باسم الحزب دون ان يكون لهم الحق في ذلك ، وأن القرار الذي اتخذه مجلس الحزب يعاكس في غايته الاغلبية وهو يسعى لابقاء « احتكار التأثير الايديولوجي لصالح زمرتهم » من أجل « ضمان استمرارية السلطة التي استأثروا بها على هذا النحو » .(٥٦)

ما أن وصلت ضجة نشاط تروتسكي الانقسامي الى أعضـاء الاتحاد السيبيري الذين انتدبوا بتروتسكي الى المؤتمر الثاني ، حتى

---

(٥٤) كيف ولد حزب البلاشفة ، ص ٢٧٦ .
(٥٥) كيف ولد حزب البلاشفة ، ص ٣٧٠ .
(٥٦) نفس المصدر ، ص ٣٧٢ .

وجه هؤلاء رسالة الى **الإيسكرا** انتقدوا فيها بشدة مواقف تروتسكي. فألقت الرسالة الضوء على موقف تروتسكي في المؤتمر الثاني ، اذ ظهر بأن المنظمة قد أوفدت تروتسكي صدفة ليمثلها في المؤتمر الثاني لـ ح ع أدر . وحسب اعتراف السيبيريين أنفسهم ، عندما عمدوا الى تعيين مندوبيهم الى المؤتمر ، « لم يأخذوا بعين الاعتبار امكانات الشخص على الدفاع عن مبادىء محددة بالضبط بقدر... اعتبارهم للياقة ، أو بالاحرى ، لضغطهم الذاتي خاصة ، »(٥٧) موضحين سبب وجود مندوبي الاتحاد السيبيري الى جانب المناشفة ، بالرغم من أن « كل أعضاء الاتحاد السيبيري، والغالبية الساحقة من أعضاء لجان سيبيريا ، بعد استيضاح المعركة التي نشبت في المؤتمر ، انتهوا بالوقوف بحزم الى جانب الاغلبية » ،(٥٨) وأشاروا الى أن آراء مندوبيهم لا تتفق مع آراء الاشتراكية ـ الديمقراطية الثورية . (٥٩)

يبدو اذن من خلال رسالة أعضاء الاتحاد السيبيري أن آراء تروتسكي المنشفية ـ الاصلاحية ، والموقف الوسطي الذي تبنَّاه في المؤتمر الثاني حول المسائل الاساسية في البرنامج والتنظيم ، لم يكونا عارضين . فتروتسكي ، عندما كان واحدا في عداد الإيسكريين ، كان يشارك القسم المنشفي من الايسكرا وجهة النظر الانتهازية . واستخدم في المؤتمر راية الإيسكرا والجمل الثورية ليخفي موقفه الانتهازي . ومن الطبيعي اذن ان يكون نشاطه بعد المؤتمر انشقاقياً ذا طابع فوضوي .

لقد ذهبت سدىً كل محاولات البلاشفة لتجنب الانشقاق الذي بدأ في صفوف الحزب عن طريق التفاوض مع قادة المناشفة. ووجه لينين وبليخانوف، في ٦ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٣، رسالة الى مارتوف وآخرين غيره من أعضاء هيئة التحرير القدامى، وكذلك الى ل. تروتسكي(٦٠) . وتلك ، كانت المحاولة الاخيرة لتفادي

---

(٥٧) نفس المصدر ، ص ٢٧٩ .

(٥٨) كيف ولد حزب البلاشفة ، ص ٢٨٠ .

(٥٩) نفس المصدر ، ص‌ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

(٦٠) مجموعة لينين السادسة ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠١ .

الانشقاق في المرحلة الاولى من الصراع .

وأرسل تروتسكي نسخة عن هذه الرسالة الى ب. أكسلرود، الذي كان يسكن زوريخ ، مضيفاً اليها تعليقاته الشخصية . « انه لمن عدم اللياقة ، ان لم نقل أكثر ، التوجه الى أربعة اشخاص معاً ، وكأننا نشكل نوعاً من جمعية سرية . » (٦١) لقد كتب تروتسكي ذلك ، في الوقت الذي كان فيه البلاشفة قد أسسوا فعلا منظمة سرية داخل الحزب وهو أحد قادتها . وتبين رسالة تروتسكي أنه لم يكن ليتورّع عن الكذب والمناورة حتى مع أنصاره . وتظهر لهجة الرسالة ، التي وصفت دعوة جهاز التحرير المركزي لل ح‌ع‌أدر بالـ «خبث البيروقراطي» ، أن تروتسكي لم يقبل حتى بفكرة التعاون مع البلاشفة .

وهكذا ، بعد ستة أسابيع من الحوار رفض المحررون القدامى وتروتسكي التعاون مع البلاشفة في جهاز الحزب المركزي . وعاد الصراع الى أشده داخل الحزب . فاحتشد المناشفة في الرابطة الاشتراكية-الديمقراطية الثورية الروسية في الخارج، يستخدمونها لمحاربة مقررات المؤتمر الثاني لل ح‌ع‌أدر ؛ وكانت غالبية أعضاء الرابطة من المثقفين المنقطعين عن العمل الحزبي في روسيا . وانتهز قادة المناشفة المناسبة كونهم يشكلون أغلبية في الرابطة ، فأصروا على عقد مؤتمرها الثاني الذي كان بالواقع غير شرعي؛ فمن المعروف ان الانظمة التي اعتمدها المؤتمر الثاني ، قد ماثلت بالحقوق بين الرابطة واللجان المحلية الروسية ، وحدّدت نشاطات الرابطة بمساعدة الحركة الروسية عبر اللجنة المركزية . وهكذا فان دعوة عقد مؤتمر الرابطة تخرق مباشرة مبدأ المركزية الديمقراطية، وتشكل رفضاً للانصياع لمقررات مؤتمر الحزب .

وعقد مؤتمر الرابطة بين ١٣ و ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٣ في جنيف. ومن أعضاء الرابطة الاثنين والاربعين في الخارج، أيد ثمانية عشر منهم البلاشفة ، وأيد اثنان وعشرون المناشفة ، واثنان حياديان . (٦٢) استفاد المناشفة من تفوقهم العددي فرفضوا

---

(٦١) مجموعة لينين السادسة ، ص ٣٠٢ .

(٦٢) محاضر المؤتمر الثاني للرابطة الاشتراكية - الديمقراطية الثورية الروسية

اقتراح البلاشفة بانتخاب ممثل عن كل فئة الى رئاسة المؤتمر ، واقترحوا انتخاب ثلاثة ، دون اعتبار انحيازهم ، رغبة منهم في ايصال مندوبيهم فقط . وصرح تروتسكي بخبث أنه في المؤتمر لا تجتمع أغلبية وأقلية ، انما أعضاء في الرابطة . وأضاف : « يجب ألا نتمادى في تقسيم مؤتمرنا وبشكل مصطنع . . . »(٦٣)

وكان تروتسكي ، في مؤتمر الرابطة ، يغيّر أراءه حسب الظروف . وقد أصر المناشفة ، أثناء مناقشة جدول الاعمال ، على اعطاء الكلام لمارتوف ليقدم تقريره بعد لينين الذي كان المقرر الأساسي . أيد تروتسكي موقف المناشفة مدعياً أنه يريد اعطاء فرصة التعبير عن وجهتي النظر على أتم وجه . الا أنه عندما أعلن لينين انه سيتطرق فيتقريره الىالاجتماعات الجانبية لمنظمةالإيسكرا أثناء المؤتمر الثاني للحزب ، تلك الاجتماعات التي أسفرت عن تكوّن التكتلات وتباينوجهات النظر ، عارضمؤيدو مارتوف هذا الاقتراح، ووقف تروتسكي ، وكان قد أيد في البدء طرح الخلافات لتنجلي بوضوح ، ضد اقتراح لينين بحزم وعناد .

وتبنّى مؤتمر الرابطة ثلاثمقررات موجهة ضد مبادىءالتنظيم الحزبي اللينينية . كما أن أنظمة الرابطة التي أقرها مؤتمرالرابطة، كانت هي ايضا غير متناسبة مع السلطات التي خوّلها اياها المؤتمر الثاني لل ح ع أدر .

وأثار السلوك الانشقاقي المنشفي ، في مؤتمر الرابطة ، رد البلاشفة على ذلك. واقترح ممثل اللجنة المركزية، الذي كانيحضر المؤتمر ، ضرورة جعل أنظمة الرابطة متلائمة مع أنظمة الحزب . رُفض اقتراحه ، فانسحب من المؤتمر مع كل البلاشفة . ووصف لينين مؤتمر الرابطة بأنه « ذروة عمليات المعارضة ضد الهيئات المركزية . » (٦٤)

جعل المناشفة من مؤتمر الرابطة الثاني معقلا لهم يشنّون منه

في الخارج ، جنيف ١٩٠٤ ، ص ٣١ ؛ ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٧ ص ٥٨٢ .

(٦٣) ل. لالايانتز ، منابع البلشفية ـ موسكو ، ١٩٣٤ صص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٦٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٧ ص ١٢٣ .

حربهم على الحزب. واستأثروا ، بعد المؤتمر ، بهيئة تحرير الإيسكرا وبمجلس الحزب ، بفضل مساعدة بليخانوف ؛ وراحوا يشنون الحملات على اللجنة المركزية . فترك لينين هيئة تحرير الإيسكرا ليبقى في اللجنة المركزية ويناضل منها ضد الانتهازيين .

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٣، قدّم لينين الى اللجنة المركزية مسودّة احتجاج ضد بليخانوف على ضمّه محررين من المناشفة القدامى الى هيئة تحرير الإيسكرا . ولأن امكانية الاتصال بالحزب قد انعدمت عن طريق الصحيفة ، استمر لينين بصلاته مع منظمات الحزب بواسطة المراسلة بحيث بلغ عدد رسائله ثلاثمائة رسالة في الشهر . وفي النضال ضد أعمال المناشفة الانقسامية والتخريبية ، وضع لينين في المصاف الاول فضح نشاطات المناشفة التخريبية في الريف وتعزيز لجان البلاشفة .

في ذلك الوقت ، اتخذ بعض أعضاء المكتب الروسي في اللجنة المركزية ، الذين وقعوا تحت تأثير المناشفة ، موقفا توفيقيا . وعقد نوسكوف مباحثات مع المناشفة ، دون علم اللجنة المركزية ، تمهيدا لايصال اللجنة المركزية الى مواقفهم . واقترح لينين ، للخروج بالحزب من هذه الازمة ، الدعوة الى مؤتمر استثنائي للحزب . وفي ١٠ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٠٣ ، وجّه رسالة الى أعضاء اللجنة المركزية في روسيا جاء فيها : « المؤتمر هو الخلاص الوحيد . شعاره : النضال ضد المخربين . »(٦٥) وفي الرسائل اللاحقة التي وجّهها الى مكتب اللجنة المركزية الروسي ، أصرّ لينين تكرارا على ان تتخذ اللجان المحلية الاجراءات الحازمة لتحضير المؤتمر الثالث للحزب(٦٦) .

ناضل لينين بعزم ، في مجلس الحزب أولا ، ثم في اللجنة المركزية ، من أجل عقد المؤتمر الثالث لل ح ع أ د ر . وعندما رفض مجلس الحزب ، وكان المناشفة المسيطرين ، اقتراح لينين في كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤ ، اضطر الى ان يركز كل نضاله من أجل المؤتمر في اللجنة المركزية . لكن الفئة التوفيقية في اللجنة المركزية،

---

(٦٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٤ ص ٢٠٥ .
(٦٦) نفس المصدر ، ص‌ص ٢٢٠ ـ ٢٢٤ .

والتي كانت تشجع المناشفة ، لم تؤيد فكرة المؤتمر . في ظل هذه الحالة ، كان من الملح ان يفضح البلاشفة أعمال المناشفة العدائية التي كانت تشوه طابع الصراع داخل الحزب .

وبيّن لينين ، في « خطوة الى الامام خطوتان الى الوراء » معنى الصراع داخل الحزب ؛ وردّ على المناشفة ، وطوّر ودافع عن مبادىء تنظيم حزب من طراز جديد . وقد ساعد هذا الكتاب المنظمات الحزبية المحلية على مماشاة الوضع السياسي للحزب ، وجمع اللجان الحزبية حول البرنامج اللينيني .

وبعد ان أجرى تحليلا عميقا لأعمال المؤتمر الثاني ، أظهر لينين ان الاقلية تشكل تيارا انتهازيا في الـ حعأدر . وتجلى ذلك بوضوح خاص ، في مناقشة مسائل التنظيم ؛ وقد أشار الى ان ملامح الانتهازية تتجلى « في كل الاحزاب الاشتراكية ــ الديمقراطية في العالم حيث الانقسام يتم بين جناح ثوري وجناح انتهازي . »(٦٧)

وتعقدت الخلافات وتعمقت بين البلاشفة والمناشفة في مادة التنظيم نتيجة لسياسة تروتسكي الانقسامية بالنسبة للحرب الروسية ــ اليابانية . فبينما كانت كل التناقضات الاجتماعية تتفاقم ، والبلاد تتجه نحو الثورة ، طرحت مسألة موقف الطبقة العاملة من الحرب الامبريالية أمام الـ حعأدر للمرة الاولى .

وقف البلاشفة ضد الحرب فاضحين طابعها غير العادل الامبريالي بتصريحات وكرّاسات ، ثم في صحيفة « فبيريود » . وقد كانوا الحزب الوحيد الذي دعا الى هزيمة حكومته بالذات في الحرب الامبريالية . وهكذا دافع البلاشفة عن مصالح البروليتاريا واعتمدوا تجاه الحرب ، الخط التكتيكي الصحيح الوحيد .

وفي آذار (مارس) سنة ١٩٠٤ ، نشرت اللجنة المركزية للـ حعأدر في الايسكرا مقالا : « الى البروليتاريين الروس » كتبه لينين بعد أسبوع من اندلاع الحرب الروسية ــ اليابانية(٦٨) .

وقد أرسل هذا المقال الى لجان الحزب في موسكو وبطرسبورج وبيكاتيرينوسلاف ونيجني ــ نوفغورود واوديسا وسامارا

---

(٦٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٧ ص ٤١٦ .

(٦٨) ف. لينين، المؤلفات، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٨ ص ص١٧٠ــ١٧٤

وساراتوف . وقد أعادت بعض اللجان نشره بحرفيته، واستخدمته لجان أخرى لكتابة بياناتها الخاصة . وقد فضح المقال الحرب اللصوصية التي تخاض لخدمة مصالح البورجوازية .

واتخذ تروتسكي ، منذ الايام الاولى للحرب ، موقفا يطمس طابعها الامبريالي . وقد انتقد في مقاله « حملتنا العسكرية » عدة لجان بلشفية ، ولا سيما اللجنة المركزية لل ح ع أ د ر ، لأنها أعطت تقييما خاطئا عن طابع الحرب وأسبابها . ووصف بيان اللجنة المركزية ، الذي صاغه لينين ، وبيانات اللجان البلشفية في بطرسبورج وبوليسييه وأوديسا ، بأنها مغلوطة . وكتب يقول : « تعتبر اللجنة المركزية ان مصالح البورجوازية الجشعة ، ومصالح رأس المال المستعد لبيع البلاد وتدميرها في التسابق على الارباح ، هي التي سببت هذه الحرب المجرمة ، وتعلن مجموعة البلطيق صراحة ان مصاصي دمائنا العاديين ، الصناعيين والرأسماليين الآخرين ، هم الذين « أجبروا » نيقولا على محاربة اليابان » . لقد كان تروتسكي في الواقع يبرىء ساحة البورجوازية الروسية ويحاول تحميل الاوتوقراطية الروسية وحدها مسؤولية الحرب كاملة .

هكذا التقى موقف تروتسكي من مسائل الحرب مع موقف البورجوازية الليبرالية التي دافع في مقاله عن مصالحها . وقد أراد ان يبيِّن ان للبورجوازية وللبروليتاريا موقفا واحدا من الحرب وكانا يصمانها بأنها معادية للقومية . وكان تروتسكي يخفي موقفه وراء جمل حول عدم توافق هذه الحرب مع تطور البلاد الاقتصادي .

وبيَّن لينين في مقاله « سقوط مرفأ أرثور » ان أفضل ممثلي الاشتراكية ــ الديمقراطية العالمية قد نوهوا بالدور التاريخي التقدمي الذي تلعبه البورجوازية اليابانية ، وعبَّروا بصراحة عن تعاطفهم مع اليابان التي سددت ضرباتها للاوتوقراطية الروسية . وفضح لينين الاشتراكيين الروس ، وبخاصة تروتسكي ، الذين تخلوا عن الموقف البروليتاري ، وقال انهم أظهروا في مسألة الحرب ضياعا تاما فتوصلوا الى اعتبارات سطحية » ... حول لامعقولية « المراهنة » (؟!!) على انتصار البورجوازية اليابانية ، وعلى الحرب ، وهي نكبة ، « مهما كانت نتيجتها » ــ انتصار أم

هزيمة ـ للاوتوقراطية . »(٦٩) .

وفي خريف عام ١٩٠٤ ، انتقل تروتسكي صراحة الى موقع الدفاع . وفي كرّاسه « مهماتنا السياسية » راح يبشر بالسلم بأي ثمن . واعتبر تروتسكي شعار السلم « ليس فقط تعبيرا عن موقفنا المبدئي من الحرب ، ولكن كهدف نريد الوصول اليه مباشرة ... السلام بأي ثمن » . وانتقد لينين بشدة موقف تروتسكي من الحرب والسلم في المقالين : « سقوط مرفأ أرثور » و « رأس المال الاوروبي والاوتوقراطية » . وشدد على ضرورة النظر الى مسألة الحرب بعلاقتها الوثيقة بالثورة .

بعد هزيمة القيصرية ، طالبت البورجوازية الليبرالية الروسية بالسلم نتيجة رعبها من تصاعد الحركة الثورية .

وعبّر هذا الموقف عن مصالح رجال الاعمال ورجعيي اوروبا الذين أرادوا انقاذ الاوتوقراطية المنهارة ، معقل الرجعية الاوروبية . وباقرار السلم تعززت الاوتوقراطية بوجه الثورة ؛ لذا فضح لينين مطلب السلم بأي ثمن فكتب يقول : « ... لا يمكننا ان تقف عند المطالبة بالسلم لأن سلم القيصر ليس أفضل (وهو أحيانا اسوأ) من حربه ؛ لا يمكننا رفع شعار « السلم بأي ثمن » ، لا يمكننا ان نتكلم عن سلم الا بالارتباط مع سقوط الاوتوقراطية ، سلم يصنعه الشعب المتحرر بواسطة جمعية تأسيسية حرة ، نريد سلما نصل اليه ، ليس بأي ثمن ، ولكن حصرا بثمن قلب الحكم المطلق.» (٧٠)

وأثار كرّاس تروتسكي معارضة حادة من قبل مناضلي الحزب المحليين . وفضح ممثل لجنة يكاتيرينوسلاف في « رسالة الى هيئة التحرير في الجهاز المركزي « الطابع الانقسامي لحملات تروتسكي . وبيّن انه (تروتسكي) يريد « تجريد اللجان من الاغلبية ، مهما كلف الامر ، لأنها لجان الاغلبية بالضبط » . وجاء في ختام رسالته : « ... ألا يدل ذلك على الرغبة في تحضير الانشقاق والحفاظ على « الحق النظري والمعنوي » بعدم الانصياع للقرار المتوقع من المؤتمر الثالث المقبل والمنتظر ؟ » لقد أعطت

---

(٦٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٨ ص ٤٦ .

(٧٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٨ ص ٢٦٨ .

الوقائع المذكورة في الرسالة جوابا ايجابيا على هذا السؤال .

وأظهر ممثل لجنــة يكاتيرينوسلاف ان تروتسكي المدعوم ، بنفس الوقت ، بالموافقة الضمنية لهيئة تحرير الايسكرا المنشفية ، قد اتخذ علانية موقف الدفاع عن البورجوازية الروسية(٧١) .

واستشهد ، لدعم كلامه ، بمقتطفات من مقال لتروتسكي جاء فيه : « أجل ، لقد أسهم الرأسماليون ايضا في جرّ روسيا الى الحرب ولكن ليس الرأسمــاليون الروس هــم الذين يبحثون في منشوريا وفي كوريا عن أسواق لسلعهم ، وانما رأسماليو البورصة الدولية بحيث أنه على الاوتوقراطية ان تحافظ تحت طائلة السقوط على الايمان بقدرة الجيش القيصري الذي لا يقهر . »

وفــي أول حزيران (يونيــو) سنة ١٩٠٤ ، وجّهت لجنة يكاتيرينوسلاف رسالة الى كل منظمات الـ ح‌ع‌ادر ، فضحت، فيها تحركــات تروتسكي الانشقاقية . وتؤكد الرســالة المكتوبة تحت عنــوان : « التيارات الحــالية في الحزب ومهــام الاشتراكية ــ الديمقراطية الثورية » أن « منظري المناشفة » ، أمثال تروتسكي ، لا يتورعون عن استعمال وقائع مختلفة في صراعهم ضد الحزب(٧٢) .

وانتقد أوليمنسكي بشدة أساليب تروتسكي هذه في محاربة البلاشفة في مقاليه « لتسقط البونابرتية » و « جريــدة بدون حزب ، وحزب بدون جريدة » اللتين نشرتا في خريف ١٩٠٤ .

وفي مقاله « فلتسقط البونابرتية » ، أشار أولمينسكي الى الطابع الانشقاقي الــذي ينطوي عليه مقــال تروتسكي « حملتنا العسكرية » : « ... عرف تروتسكي الاستفادة حتى مــن اندلاع الحرب الروسية ــ اليابانية ليلطخ لجان الاغلبية القديمة التي كانت تشكل الاكثرية الساحقة في الحزب . »(٧٣) وفي مقاله « جريدة بدون حزب ، وحزب بدون جريدة » ، أثبت بالاستناد الى الوقائع، ان تروتسكي وهيئة تحرير الايسكرا المنشفية لجأا الى التزوير اذ اتهما اللجان البلشفية باعطاء تفسيرات خاطئة عن أسباب الحرب

(٧١) الايسكرا ١٩٠٤ ، عدد ٦٨ ، الملحق .
(٧٢) كيف ولد حزب البلاشفة ، ص ٣١٨ .
(٧٣) نفس المصــدر ، ص ٢١٥ .

الروسية ـ اليابانية كما وصفها المناشفة ... » اتضح ان أعضاء الاقلية جملة يفسرون أسباب الحرب تماما كما يفسرها أعضاء الاغلبية الحزبية . »(٧٤)

وبمقارنة لمقال تروتسكي المنشور في العدد ٦٢ في الايسكرا مع مقالاته في العدد ٦٨ ، أظهر أولمينسكي كيف ان تروتسكي كلما حاول اثبات « خطأ » اللجان البلشفية ، دخل فأكثر في التناقض مع نفسه . ويختتم أولمينسكي مقاله : « ولكن هل تظنون بأن اقتراحات تروتسكي في العدد ٦٢ لها اهمية بالنسبة لتروتسكي في العدد ٦٨ او في العدد اللاحق ٧٨ ؟ أشك في ذلك ، لأنني اتذكر بالالايكين في « سالتيكوف ـ شتشيدرين » ؛ فقد كان ظاهرة ، بالالايكين يكذب رغبة في الكذب ، يكذب وينسى كذبته ؛ ويكذب مجددا وينسى مجددا ؛ فجملته الاولى تناقض الثانية ، والثانية تناقض الثالثة ، لكن بالالايكين لا يبالي ؛ فما يهمه ليست الغاية بل فعل الكذب نفسه . وهيئة التحرير في مجلس الحزب ، اليست مؤلفة من بالالايكين ؟ لا ، بالطبع ، ولكن على الاغلبية أن تحارب ، وفي الحرب كل الوسائل مشروعة . »(٧٥)

لقد فهم الكتّاب الحزبيون تماما الطابع الانشقاقي لمقالات تروتسكي المليئة بالتناقضات والافتراءات المباشرة على اللجان البلشفية . وأظهروا ان تروتسكي كان يستخدم كل الوسائل في محاربته للحزب . وكان يتصرف وفقا للقرار المعتمد في مؤتمر السبعة عشر منشفيا والذي كان يبرر كل الوسائل في سبيل شق الحزب(٧٦) .

واثبتت الوقائع انه في تلك الفترة كانت الموضوعات الانتهازية اليمينية تصدر عن تروتسكي الذي أصبح فعلا قائد المعارضة المنشفية . وكان لينين يسأل بسخرية كرجيجانوفسكي الذي ظل يأمل بامكانية المصالحة والتهادن مع المناشفة : « لمَ هذا الرجل

(٧٤) كيف ولد حزب البلاشفة ، ص ٣١٨ .

(٧٥) نفس المصدر ، ص ٢١٥ .

(٧٦) مجموعة لينين السادسة ، ص ٢٤٨ .

الطيب هانز(٧٧) الذي لا يوصف، لم يرتبط بصداقة هنا مع تروتسكي ردان وناتاليا ايفانوفنا (أ. الكسندروفنا) ؟ لقد أخطأت يا عزيزي بتركك هذه « الفرصة » (الفرصة الاخيرة) لـ « سلام صادق » و « ثقة مطلقة » ... ألا تكون أكثر ذكاء اذا وجهت الرسائل مباشرة الى هؤلاء « الحماة » ... نحن هنا نرى بوضوح من هو الـذي يثرثر ومن هو الذي يقود السفينة عند المارتوفيين . »(٧٨)

وقد أشار أورلمينسكي ايضا ، في كتابات اخرى ، « فلتسقط البونابرتية » و « آراء سليمة في غلاف متعفن » الى ان تروتسكي قـد أصبح بالفعل قائد المناشفة(٧٩) .

ومارس تروتسكي ، في تقـاريره الشفهية ، وفي مقـالاته وتصريحاته ، سياسة تؤدي مبـاشرة الى الانشقاق في الحزب . وحاول بعد المؤتمر الثاني ان يفرض ارادته على معلميه السابقين كمثل مارتوف وبليخانوف ، وأكسارود وزاسوليتش . وهذا مـا سبب الخلاف في هيئة تحرير الايسكرا المنشفية في ربيع ١٩٠٤ ، وترك تروتسكي بعده ، هيئة التحرير مؤقتا .

وأثار تروتسكي فيما بعـد هذه الحادثة محاولا اثبات قطيعته مع المنشفية ، في ذلـك الوقت . ولم يكن لهـذا الخـلاف ، في الواقع ، اي أساس ايديولوجي . فقـد سببه مقـال تروتسكي « حملتنا العسكرية » ، الذي اعترض عليه بليخانوف والذي نشر بدون علمه . وطالب بليخانوف أن تتعهد هيئة التحرير بعـدم نشر مقالات لتروتسكي فيما بعد . وفي رسالة الى أكسلرود بتاريخ ٢ نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٤ ، أورد مارتوف كلام بليخانوف : « لا أستطيع المشاركة في هيئة تحرير تنشر بانتظام مقالات مساعد، وهو حسب رأيي، عضو في هيئة التحرير، يحط في كتاباته من مستوى الايسكرا الادبي . »(٨٠) وقد طرح بليخانوف المسألة بهذا الشكل : أما ألا يشارك تروتسكي أبدا في الايسكرا ، او أن يترك بليخانوف هيئة التحرير .

---

(٧٧) هـانز ـ كرجيجانوفسكي .

(٧٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٤ ص ٢٢٦ .

(٧٩) راجع . كيف ولد حزب البلاشفة . ص‌ص ٢١٣ ـ ٢١٥ ـ ٢٤٧ .

(٨٠) أ. مارتوف و ب. أكسلرود ، المراسلات ، برلين ١٩٢٤ ص ١٠٢ .

كان يمكن ان تخلق القطيعة مع بليخانوف انعكاسات خطرة ، فهو المحرر الشرعي الوحيد المنتخب من المؤتمر الثاني لل ح ع أ د ر ، وذهابه يعطي البلاشفة مستندا للدعوة الى عقد المؤتمر الثالث للحزب . وخاف المناشفة ان يطردهم المؤتمر من الحزب ويكشفهم كانشقاقيين أمام الجماهير فأذعنوا لمطالب بليخانوف لكي يحافظوا على مواقعهم في الحزب وضحوا بتروتسكي .

وأثبتت رسائل أكسلرود الى بليخانوف(٨١) ، ورسالتان وجهها أمين سر مارتوف الى موسكو(٨٢) ، ان هذا الخلاف لم ينتج عن خلافات ايديولوجية بين تروتسكي والمناشفة . فقد صرحت هيئة تحرير الايسكرا في هذه الوثائق أنها مرتاحة تماما لمقالات تروتسكي . وجاء في الرسالة الموجهة الى موسكو في ٨ نيسان (ابريل) ١٩٠٤ : « نحن نعتقد بالاجماع ان مقالات تروتسكي تناسب مستوى الايسكرا تماما وان الصحيفة ومنشوراتنا لا تستطيع الاستغناء عن مساهمته اطلاقا ... »(٨٣)

تحدث مارتينوف ، زعيم الاقتصاديين ، في مذكراته عن المؤتمر الثاني لل ح ع أ د ر ، عن تقاربه مع هيئة تحرير الايسكرا المنشفية والدور الذي لعبه تروتسكي في هذا التقارب . وذكر مارتينوف انه ، بعد ان ترك هيئة تحرير الايسكرا الجديدة ، جاءه تروتسكي الى برلين حيث قابله وعرض عليه المشاركة في هيئة تحرير الجريدة المنشفية(٨٤) . وهكذا تشكل « التحالف السياسي الشاذ والمتعفن في جوهره بين بليخانوف ومارتينوف وتروتسكي »(٨٥) ، كما أشار لينين في رسالة موجهة الى لجنة سيبيريا في تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٤ .

وأصبحت الايسكرا المنشفية مركز استقطاب كل العناصر

---

(٨١) مراسلات ج. بليخانوف معب. أكسلرود، موسكو ١٩٢٥ ص ص١٩٩ – ٢٠٠ .

(٨٢) المحفوظات المركزية لثورة اكتوبر مستودع ١٠٢ ، قسم ١٩٠٤ رقم ٢٣٩٢ ورقة ٦٣ ، ٨١ .

(٨٣) راجع الوثائق المركزية لثورة اكتوبر، مديرية الشرطة (٥٥) ، ١٩٠٤ ، قسم

(٨٤) أ. مارتينوف ، مذكرات عن فترة المؤتمر الثاني لل ح ع أ د ر ، موسكو ، ١٩٣٤ ص ٤٥ .

(٨٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس – موسكو ، مجلد ٣٤ ص ٢٧١ .

الانتهازية . وأسهم تروتسكي الى حد كبير في خلق وتعزيز هذا التكتل الانتهازي الموجه ضد لينين وضد حزب البلاشفة .

بينما اعتبر البلاشفة الدعوة الى عقد مؤتمر ثالث بمثابة الوسيلة الوحيدة للحفاظ على الحزب ، كان المناشفة يريدون الانقسام . ومارس تروتسكي هذا الاتجاه علناً في مقالاته وكرّاسه « مهامنا السياسية » الذي وضع في خريف سنة ١٩٠٤ ، ودعا المناشفة للاستفادة من المناسبة ، اما بشق الحزب ، أو بالضغط في اتجاه ضمان أقصى مجال لحرية النشاط .

لقد أعلنت الايسكرا الجديدة عن نشر كرّاس تروتسكي ، الامر الذي يشهد على الموافقة التامة لهيئة التحرير على محتوى الكراس. وأشار لينين مرارا الى ذلك(٨٦) فقال : « لا ننسى ان كرّاس تروتسكي قد صدر باشراف هيئة تحرير الايسكرا ... ان آراء تروتسكي « الجديدة » هي آراء هيئة التحرير التي يؤيدها بليخانوف وأكسلرود وزاسوليتش وستاروفر ومارتوف . »(٨٧) كان كرّاس تروتسكي عيّنة لانتهازية الايسكرا الجديدة وعقيدة هذه الجريدة المنشفية .

ان رفضهم دور الحزب كطليعة للطبقة العاملة ، وحملاتهم المباشرة التي تضمّنها كرّاس تروتسكي ضد مبادىء تنظيم الـ حع‌أدر ، وتأييدهم لحركة عمالية فوضوية ، كل ذلك وثّق اتحاد الانتهازيين حول مسائل التنظيم والتكتيك والبرنامج . لقد خطا تروتسكي في كرّاسه خطوة الى الوراء ، نحو « الاقتصادية » ، ويظهر ذلك جليا في انتقاده لقرارات اللجان الثلاث في الاورال (بيرم ، اوفا ، الاورال الاوسط) التي أعلنت تأييدها لمقررات المؤتمر الثاني للـ حع‌أدر ، وأيدت مشروع لينين التنظيمي بكامله . وكتب تروتسكي : « نحن الذين دعينا مناشفة ، لا نقدم مهمات

---

(٨٦) راجع مثلا المقالات : « الليبرالي المجامل » و « حملة الزمستفوش وخطة الايسكرا » و « العندليب لا يترك نفسه يتغذى بالخرافات » . (ف. لينين، المؤلفات الكاملة ، باريس ــ موسكو ، المجلد ٧ ص ص ٥٠٧ ــ ٥١٠ ــ ٥١٩ــ ٥٤٤ . المجلد ٨ ص ص ٤٩ ــ ٥٥) .

(٨٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٧ ص ٥١٠ .

خاصة بالتنظيم ، ونظن ان المهمات الاشد الحاحا منها ستجد حلا نها في مسار العمل في النضال السياسي . » وصرح تروتسكي حول خطة لينين التنظيمية ، بعد ان حرّف المبادىء الاساسية فيها ، ان « البروليتاريا سوف لن تتعرف على نفسها في هذه المبادىء » . لقد كان من المستحيل بالنسبة له التنبؤ بالطريق الذي سيسلكه التطور الاجتماعي . وهكذا يشهد كرّاسه على الجهل التام لقوانين التطور الاجتماعي وللتوقع العلمي .

كان تروتسكي ينتقد ، بشكل خاص ، ضرورة احترام أنظمة الحزب ؛ ويعتبر هذا اصرارا من لينين لخنق مناضلي الحزب في عقدة التنظيم السائرة . ووصف عملية التشديد على الانضباط الحزبي تجاه الاعضاء الذين يخرجون عن بعض المقررات « بالخرافة التي تدعو للشفقة » . وكان تروتسكي يعارض المبدأ اللينيني في الانضباط الحزبي « بالرابط المعنوي » الذي يجب ان يجمع الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي في كل واحد . ان كرّاس تروتسكي المنشفي « مهامنا السياسية » يثني على الفوضوية ويدعو لايجاد تنظيمين واحد للبروليتاريا وآخر للمثقفين ؛ مما يتعارض ونداء لينين الذي يدعو البروليتاريا الى « اعطاء دروس في الانضباط للمثقفين » . قال لينين : « عند قراءة مثل هذا الكرّاس ، نرى « الاقلية » تكذب بوضوح وتزيّف الاشياء الى درجة لا تستطيع معها خلق أي شيء قابل للحياة ، وهنا ، تأخذك الرغبة في النضال لأن ليست الاسباب هي التي تفتقر لذلك . »(٨٨)

ويوضح كراس تروتسكي ، حسب قوله هو نفسه ، « نظريتين وتكتيكين ونفسيتين يفصلهما العدم » . هكذا يؤكد تروتسكي بنفسه ، التعارض التام بين آرائه وآراء الاشتراكية ـ الديمقراطية الثورية .

وفي خريف ١٩٠٤ ، انفصل تروتسكي شكليا عن صفوف المنظمة المنشفية دون ان يتخلى عن أمانته لآرائه المنشفية ، ودون ان يقطع معها صلاته الايديولوجية والعملية . كان هذا التصرف مناورة تكتيكية تشهد على تعزيز الاتجاهات الوسطية في موقفه

---

(٨٨) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٤٦ ص ٣٨٩ .

تروتسكي . ومنذ ذلك الحين ، راح تروتسكي يخفي انتهازيته اليمينية ويدعي أنه « خارج الكتل » . وأشار لينين الى ان « لا تكتلية » تروتسكي هي الانقسامية عينها باتجاه الخرق الاكثر صفاقة لارادة غالبية العمال . »(٨٩)

وفي تمثيله دور الشخصية ذات الموقع المستقل في الحزب ، لم يتخلَّ تروتسكي عن الخط الانتهازي . وكان هذا الموقع يلعب لعبة وسطيي اوروبا الغربية الذين كانوا يريدون ان يموهوا الخلافات المبدئية ويوفقوا فيما بينها ، أي أن يرغموا الثوريين الأصليين على ممارسة سياسة انتهازية .

اضطر البلاشفة ان يخوضوا معركة عنيفة ضد الانتهازية ، ليس في قلب الـ ح‌ع‌أدر فحسب ، بل في الاممية الثانية ايضا . وعقد المؤتمر الاشتراكي العالمي في امستردام في خريف سنة ١٩٠٤ ، وحاول المناشفة اخفاء الوضع الحقيقي في حزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي عن ممثلي الحركة العمالية الاوروبية الغربية . ومن خلال سيطرتهم على أجهزة الحزب المركزية ، أرادوا منع ممثلي البلاشفة من المشاركة في المؤتمر . وزيَّف المناشفة في تقريرهم للمؤتمر ، تاريخ وأسباب الانشقاق الذي حصل في المؤتمر الثاني للـ ح‌ع‌أدر .

الا أنه بالرغم من محاولات قادة المناشفة هذه ، استطاع البلشفيان ب. كراسيكوف و م. ليادوف ان يحضرا المؤتمر . وأعلنا في التقرير الذي أعده لينين وليادوف عن وجود اتجاهين متعارضين جذريا في قلب الـ ح‌ع‌أدر هما : الاتجاه الاصلاحي والاتجاه البروليناري . وعرض التقرير أسباب الانشقاق وحدد المسؤولين الحقيقيين عن أزمة الـ ح‌ع‌أدر ، وأبرز جهود البلاشفة من أجل صيانة وحدة الحزب ، كما عرض مواقف اللجان المحلية في روسيا من هذا الصراع .

وجاء في هذا التقرير ان لجان الحزب ، بعد ان اطلعت على أعمال المؤتمر ، عبَّرت بغالبيتها عن القرار الحاسم بالانصياع لكل مقرراته ، وأدانت سياسة المناشفة الفوضوية . وأشار البلاشفة

---

(٨٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٠ ص ٣٥٢ .

الى ان أعداء الايسكرا القـديمة نفسهم يعترفون بالطابع المبـدئي للخلافات . ومن ذلك ، كتب الانتهازي أكيموف : « يؤكد المناشفة أنهم يوافقون على كل مبادىء البرنـامج ، ولا يتعارضون الا مع مبادىء التنظيم للكاتب الرئيسي للبرنامج ، لينين . ولكن ما الفائدة من البرنامج ان لم يؤد الى تحديد أمر هو غاية في الاهمية من أجل وجود الحزب ، مثل اختيار مبدأ التنظيم . »(٩٠)

كان واضعو التقرير الذين يشاركون وجهة نظر معظم المنظمات المحلية ، يعتقدون ان مؤتمر الحزب هو المخرج الوحيد للأزمـة ، وان الدعوة لعقده وحدها هي التي ستسمح بتفـادي الانشقاق « شرط ألا يوجد في صفوف حزبنا أنـاس يرغبون هم أنفسهـم بالانشقاق »(٩١) . هكذا عرف البلاشفة كيف يدافعون في مؤتمر امستردام عن المبادىء اللينينية لتنظيم حزب من طراز جديد .

ان الوضع الذي تأزم في الحزب ، في صيف سنة ١٩٠٤ ، جعل الدعوة لعقد المؤتمر الثالث للـ ح ع ا د ر ، أكثر الحاحا . وفي آب (اغسطس) من السنة نفسها ، وبمبادرة مـن لينين وتحت قيادته ، عقد كونفرونس ضم اثنين وعشرين بلشفيا في احـدى ضواحي جنيف . وبحثت فيه أسـاليب معـالجة أزمة الحزب ، فتبنى الكونفرونس برنامجا ملموسا للنضال من أجل عقد المؤتمر الثالث . وأيد أعضاء الكونفرونس نداء لينين « الى الحزب » الذي حدد فيه الوضع في الحزب وجذور الازمة . وأشار النداء الى ان المؤتمر لا بد منه لايجاد « مخرج لائق ومنطقي » من أزمة الحزب ، و « للحفاظ على قوى الحزب وشرفه وكرامته . » (٩٢)

بعد كونفرونس الاثنين والعشرين ، أيدت جماهير الحزب خط البلاشفة المبدئي في النضال ضد الفوضويين . وفي الفترة ما بين شهري ايلول (سبتمبر) وكانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٠٤ ،

---

(٩٠) م. ليادوف ، تقرير البلاشفة في المؤتمر الاشتراكي العـالمي في أمستردام (١٩٠٤) ، موسكو ١٩٢٤ ، ص ٧٩ .

(٩١) م. ليادوف ، تقرير البلاشفة في المؤتمر الاشتراكي العالمي في امستردام ، ص ٧٥ .

(٩٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٧ ص‌ص ٤٧٨ ــ ٤٧٩ .

نظم البلاشفة ثلاث كونفرونسات منطقية حزبية ، وعبّرت ثلاث عشرة لجنة ، هي أكثر اللجان أهمية ، عن ارادتها بعقد المؤتمر الثالث ، وانتخبت مركزا للحزب في كل روسيا : مكتب لجان الاغلبية . كان من أعضاء المكتب : لينين ، غوسيف ، ليتفينوف ، ليادوف ، روبيانتشيف ، وآخرون غيرهم . وقال ليادوف فيما بعد : « نحن واثقون نهائيا من ان جماهير الحزب بين العمال في كل المراكز الصناعية هي الى جانبنا . »(٩٣)

حين تشكل في روسيا مكتب لجان الاغلبية ، تنظّم في الخارج مركز أدبي انتسب اليه دعائيو الحزب المعروفون . وفي آب (اغسطس) سنة ١٩٠٤ ، أسست « دار نشر لأدبيات الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي ، ف. بروش ـ برويفيتش ، ن. لينين » لقد سمح تأسيس هذه الدور التي أصدرت مؤلفات مختلفة للينين ومجموعات مقالات ل أ. بوغدانوف و م. أولمينسكي ، ووثائق ونصوص أخرى افسحت في المجال للبلاشفة لتعميق نقاشهم مع المناشفة وفضح نشاطهم الانقسامي بشكل أقوى .

وصدر في كانون الاول (ديسمبر) من نفس السنة العدد الاول من صحيفة الحزب البلشفي ، صحيفة « فبيريود » . وكان في عداد هيئة تحريرها لينين ، وفوروفسكي ، وألمينسكي ، ولوناتشارسكي . وكانت ن. كروبسكايا أمينة السر . وعلى صفحات هذه الجريدة ، التي استعادت تقاليد الايسكرا القديمة الثورية ، حارب البلاشفة انتهازية المناشفة ، وناضلوا لدعوة المؤتمر الثالث للـ حعأدر وفي سبيل تعزيز الحزب الثوري البروليتاري .

ان انشاء مكتب لجان الاغلبية كمركز بلشفي للعمل اليومي في روسيا ، وكذلك لصحيفة الحزب المركزية ، صحيفة « فبيريود » ، شهد بأن منعطفا مفاجئا حصل في وضع البلاشفة عشية الثورة الروسية الاولى . في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٥ ، كتب لينين الى أ. ستاسوفا : « ان أعمالنا الآن تسير جيدا . لقد حسمنا في النهاية مع الذين يثيرون الضجة . حسمنا مع تكتيك التراجعات

---

(٩٣) بروليتارسكايا ريفوليوتسيا ، ١٩٢٢ ، العدد ٥ ص ٦٤ .

وأخذنا الآن موقع الهجوم . فقد بدأت لجان روسيا أيضا بالحسم مع الفوضويين . »(٩٤)

وفي المرحلة التي سبقت ثورة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ ، ناضل البلاشفة للحفاظ على الحزب الماركسي الثوري في روسيا ولتعزيزه ، وهيأوا البروليتاريا بثبات للمعارك الثورية الوشيكة . أما المناشفة ، وخاصة التروتسكيون ، فقد حطموا بسلوكهم الانتهازي وحدة الحزب والطبقة العاملة ، معرضين بذلك نضال البروليتاريا الثوري للخطر .

لقد نجح البلاشفة في صيانة المبادىء التنظيمية للحزب من الطراز الجديد ، بالنضال العنيد ضد الانتهازية الدولية والروسية ، وبعد تخطي الازمة الخطيرة داخل الـ ح ع ادر ، قطع البلاشفة مع الانتهازيين ، وعززوا تأثيرهم في صفوف الجماهير . وفور اندلاع ثورة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ ، كان الحزب قوة متماسكة ومنظمة تسير وراءه غالبية اللجان الحزبية .

---

(٩٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٨ ص‌ص ٦٢ ـ ٦٣ .

الفصل الثاني

الحزب البلشفي في النضال ضد التروتسكية أثناء ثورة ١٩٠٥ - ١٩٠٧

لينين ينتقد الموضوعات التروتسكية حــول المسائل الرئيسية في نظرية وتكتيــك الحزب في الثورة

حركت الثورة الروسية الاولى كل الطبقات والاحزاب الروسية ووضعتها الواحدة بوجه الاخرى ، فظهرت أمــام العالم ، كما كتب لينين في « ... طبيعتها الحقيقية ، ... والعــلاقة الحقيقية لصالحها ، ولقواها ، ولأســاليب عملها ، ولأهدافها المبــاشرة والبعيدة »(١) .

وكلفت الثورة الحزب مهمة تسلم قيادة الطبقة العاملة سياسيا، وتحقيق تحالف البروليتاريا والفلاحين ، وجمع كل القوى الثورية لتناضل ضد الاوتوقراطية . كانت تلك « جهود لم يسبق أن طلبها التاريخ ، في أي مــكان ، مــن حزب عمــالي في مرحلة ثــورة ديمقراطية »(٢) .

ان المسائل الجديدة في التكتيك والتنيظم التي طرحها نهوض الحركة الثورية ، فرضت بالحاح انعقاد المؤتمر الثالث للحزب . وكذلك الحالة في قلب الـ ح‌ع‌أ‌د‌ر ، الذي كان قــد انقسم فعلا الى جزئين حتمت هي أيضا الدعوة الى المؤتمر . وكانت كل فئة تقدر القوى المحركة للثورة ومهام البروليتاريا فيها، تقديرا مختلفا . ولاقت، تحركات الانشقاقيين المنــاشفة دعما مــن انتهازيي الاممية

(١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٣ ص ٣٢٦ .
(٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلــد ٨ ص ٤٥١ .

الثانية الذين كانوا يتخذون نفس الموقف من مسائل بناء الحزب .

وتوصل انتهازيو اوروبا الغربية في تأييدهم للمناشفة الى حد محاولات التدخل المباشر في شؤون حزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي . وبالاستناد الى قرار مؤتمر امستردام الذي ينص بأن حزبا واحدا من كل بلد يستطيع ان يكون عضوا في الاممية ، حاول المكتب الاشتراكي العالمي ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ ، تصفية الانشقاق في الـ ح‌ع‌أدر . فأنشأ لذلك لجنة تحكيم يرئسها أ. بيل[٣] . فأيد المناشفة هذا القرار وعينوا ممثليهم في هذه اللجنة كاوتسكي وكلارا زتكين .

رفض البلاشفة اقتراح المكتب الاشتراكي العالمي وأعلنوا ان المؤتمر الثالث للـ ح‌ع‌أدر وحده هو صاحب الحق في حسم هذا النوع من المسائل . وفي مقاله «موجز تاريخي لانقسام الـ ح‌ع‌أدر» ، أشار لينين الى أن سلوك المناشفة الفوضوي ، الذين رفضوا التقيد بمقررات المؤتمر الثاني للحزب ، هو العائق الرئيسي أمام التوحيد . وحدد لينين ، مرة أخرى ، مشيرا الى الطابع المبدئي للخلافات ، بأن مؤتمر الحزب وحده هو المؤهل قانونيا بحل هذه المسائل[٤] . لقد رد البلاشفة بحزم على محاولات قادة الاشتراكية ـ الديمقراطية الغربية لتدخلهم في الشؤون الروسية .

لجأ المناشفة والبلاشفة التوفيقيون الذين كانوا يؤيدونهم في اللجنة المركزية وفي مجلس الحزب ، الى مختلف المناورات ليؤخروا الدعوة لعقد المؤتمر العادي . وأظهر بعض أعضاء مكتب لجان الاغلبية ، الذي كان عمليا مركز البلاشفة في روسيا ، ميولا توفيقية . وهكذا ، أثناء مناقشة مشروع التقرير الاعلامي الذي صاغه لينين حول تأسيس مكتب لجان الاغلبية ، شطب بوغدانوف وغوسيف الاشارة التي تحدد المؤتمر الثالث للحزب كمؤتمر عادي . وكان هذا التغيير الورقة التي لعبها المناشفة ليثبتوا ادعاءهم بأن المؤتمر الذي يتهيأ البلاشفة لعقده هو منافٍ للشرعية .

واحتج لينين بعنف ، في رسالة الى بوغدانوف وغوسيف ،

---

(٣) راجع مجموعة لينين الخامسة ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

(٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٨ ص ١٢٤ ـ ١٢٧ .

ضد « الامانة » تجاه المراكز المنشفية التي بواسطتها كانوا يحاولون تفسير التصحيحات التي أدخلت على التقرير الاعلامي . ودعاهما الى « عقد مؤتمر ضد المراكز التي رفضوا ايلاءها الثقة ، عقد مؤتمر باسم المكتب « الثوري » ... »(٥) . وعندما انحازت المراكز القيادية جهارا الى جانب المناشفة ، اقترح لينين الانفصال عن الفوضويين وعن كل الذين دعموا الانشقاقيين بفعالية بواسطة فكرهم التوفيقي .

وحاول فيما بعد أعداء الـ ح‌ش‌اس ، عدة مرات ، تصوير لينين كانشقاقي . وفي الحقيقة ، كان النضال الذي خاضه لينين ضد الانتهازيين داخل الحركة العمالية العالمية والروسية على اساس مبدئي نضالا لوحدة الطبقة العاملة ضد الانشقاقيين والانتهازيين في صفوف الحزب . ان النقد الذي وضعه لينين هو الذي سمح لمكتب لجان الاغلبية بتخطي الترددات عند البعض وتوحيد الاغلبية الساحقة من منظمات الحزب . وفي آذار (مارس) سنة ١٩٠٥ أيدت احدى وعشرون لجنة حزبية من أصل ٢٨ ، الدعوة لانعقاد المؤتمر .

وأعاقت تحركات تروتسكي الانشقاقية ، عندما عاد الى روسيا في بداية سنة ١٩٠٥ ، الدعوة لعقد المؤتمر الثالث . فقام بعدة محاولات ليحرك مجموعة من الوسطيين داخل الـ ح‌ع‌ادر ، وبالرغم من ذلك ، أراد تروتسكي فيما بعد ان يثبت بأنه كان في سنة ١٩٠٥ متضامنا مع البلاشفة . ويعتمد الان مزيفو التاريخ على هذه الاكاذيب ليحلوا التروتسكية محل اللينينية . ويستشهدون بمقطع من رد لينين على رسالة كراسيكوف لكروبسكايا ، حيث يقول فيه ان اللجنة المركزية كانت مجمدة النشاط ، وكانت تطبع قصاصات كتبها تروتسكي . لكن هؤلاء المزيفين لا يعرضون سوى جزء من رسالة لينين ، حيث يتابع « لا خير في ذلك ، لو كانت هذه القصاصات مقبولة ومنقحة »(٦) ، كما أنهم يغفلون الجملة التالية : « أنا أنصح لجنة بطرسبورج بنشر هذه القصاصات ولكن

---

(٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٨ ص ١٤٠ .
(٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٣٤ ص ٣٥٢ .

بعد مراجعتها ... »(٧) ويتضح من هنا ان لينين كان يقترح وضع نشاطات تروتسكي تحت رقابة الحزب .

في الواقع ، لقد ساهم تروتسكي مؤقتا في نشاط اللجنة المركزية لل ح‌ع‌ادر في ربيع سنة ١٩٠٥ .

فقد كان في عضوية اللجنة المركزية في الـ ح‌ع‌ادر ، التي كانت تحمل قصاصات تروتسكي اسمه ؛ المنشفية ر. جولبرشتادت والبلشفيان التوفيقيان أ. ليوبيموف و ل. كراسين اللذان لم يعارضا كراسات تروتسكي وخطه المنشفي . ان تعاون تروتسكي والتوفيقيين يشهد مرة أخرى ، على محاولاته تحريك مجموعة وسطية داخل الحزب بمساعدتهم .

وظهرت آراء تروتسكي المنشفية في مقال « أيها الفلاحون اليكم نتوجه » ، الذي كتبه في بداية سنة ١٩٠٥ . في هذه الاثناء ، كان البلاشفة يقومون بعمل واسع في الارياف وفقا للقرار حول المسألة الفلاحية الذي تمّ تحضيره للمؤتمر الثالث لل ح‌ع‌ادر والذي يدعو الى دعم كل مبادرات الفلاحين الثورية ، والى تنظيم البروليتاريا الريفية في حزب طبقي .

لكن بيان تروتسكي ، الذي كان يدعي تفسير برنامج الاشتراكية ـ الديمقراطية الزراعي ، لم يطرح أمام الفلاحين شيئا الا الدعوة لجمعية تأسيسية « ستنشىء نظاما جديدا في روسيا ، وتقر قوانين عادلة ، وتلبي حاجات الشعب » . وكان تروتسكي ، من خلال تشويه شعار الجمعية التأسيسية ، يوحي بأنه يكفي العمال والفلاحين اكتساب حق الاقتراع لتغيير ظروف معيشتهم في الحال ، بدون أي نضال ثوري وبدون انتفاضة مسلحة ، وبدون اسقاط القيصر والملاك العقاريين . لقد كان بيانه يتعارض مع برنامج الحزب الذي أقره المؤتمر الثاني لل ح‌ع‌ادر .

وفي « خطتنا الاشتراكية ـ الديمقراطية في الثورة الديمقراطية » كتب لينين مبررا قرار المؤتمر الثالث حول الحكومة الثورية المؤقتة : « من أجل اقامة نظام جديد « يعبر بالفعل عن ارادة الشعب » ، لا يكفي وصف جمعية الممثلين بالتأسيسية ؛ يجب أن

---

(٧) نفس المصدر .

تملك هـذه الجمعية ايضا ارادة وامكـانية « التشريع » . »(٨) فالجمعية التشريعية كما عرضها تروتسكي لا يمكن ان تكـون غير شعار شكلي .

وفي نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٥ ، أصدر مكتب اللجنة المركزية في الـ ح‌ع‌ادر بيان تروتسكي : « صدقات القيصر الجديدة » وقد تكلم فيه عن الطابع الرجعي للفرمان القيصري الذي أعلن بتاريخ ٣٠ آذار (مارس) (١٢ نيسان (ابريل)) والذي كان يهـدف الى تعزيز الملكية الخاصة العقارية ، وتكلم كذلك عن فرمان ١٠ نيسان (ابريل) الذي نص « عن مسؤولية الفلاحين المادية عن الخسائر التي نزلت بالملاك العقاريين بسبب فوضى الفلاحين » . وبتحريضه الفلاحين على النضال ضـد الاوتوقراطية وفرض وقف الحرب الروسية ـ اليابانية ، أعطى تروتسكي في هـذا البيان توجيها خاطئا الى لجان الحزب « لتنظيم حلقات الفلاحين الاشتراكية ـ الديمقراطية في كل القرى والبلدات » .

وبما ان أسئلة حول هذا الموضوع كانت ترد من المقاطعات الى مكتب اللجنة المركزية ، كتب لينين في ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٥ مقاله : « موقف الاشتراكية ـ الديمقراطية مـن التحرك الفلاحي » ، جاء فيه : « نحن نرى أنه لا يجب ان توجـد لجان **فلاحين اشتراكية ـ ديمقراطية ؛** فاذا كانوا اشتراكيين ـ ديمقراطيين هذا يعني أنهم ليسوا فلاحين فقط ، واذا كانوا فلاحين ، فـهذا يعني أنهم ليسوا بروليتاريين أنقياء ولا اشتراكيين ـ ديمقراطيين ... ان ما نصبو اليه هو : لجان اشتراكية ـ ديمقراطية نقية في كل مكان ، في القرى ... »(٩)

استمر تروتسكي ، في نفس الوقت ، في تعاونه مع المناشفة، وكان ينشر المقالات في « الايسكرا » الجديدة . وفي ربيع سنة ١٩٠٥ ، خرق المنـاشفة قرار مجلس الحزب وأصدروا ، تحت عنوان الـ ح‌ع‌ادر ، كراس تروتسكي « قبل التاسع من كانون الثاني (يناير) » . وقد عرض هذا الكراس وجهة النظر التروتسكية عن

---

(٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٩ ص ٢٠ .

(٩) نفس المصـدر ـ ص ٢٤٥ .

التطور الثوري في روسيا وعن القوى المحركة للثورة ووسائل النضال . ويثبت محتوى هذا الكراس ، وغيره من المقالات والتصريحات التي كتبها تروتسكي في ربيع سنة ١٩٠٥ ، ان موقف تروتسكي في هذه الفترة لم يكن فيه شيء مشترك مع نشاطات البلاشفة .

« قبل التاسع من كانون الثاني (يناير) » ، كان يحتوي جزئين ؛ أولهما وقد كتب في نهاية سنة ١٩٠٤ بمناسبة حملة الزمستفوس ، ويعبر بوضوح عن آراء المؤلف المنشفية . والثاني وقد كتب مباشرة بعد التاسع من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٥، كان يعكس اتجاهه الوسطي .

كان الشعار السياسي الرئيسي في الجزء الاول دعوة الجمعية التشريعية العامة . وكان تروتسكي يرى امكانية انشائها حتى في ظل النظام الاوتوقراطي . وقد كان ذلك بالواقع موقف البورجوازية الليبرالية التي طالما طمحت الى مساومة سلمية بين القيصر والجماهير الثورية .

واعتبر تروتسكي ان الوسيلة الرئيسية للنضال من أجل الجمعية هي الاضراب السياسي السلمي ، وان القوى المحركة لهذا النضال هي البورجوازية و « جماهير البروليتاريا الثورية » . وكان يحتقر الفلاحين والبورجوازية الصغيرة الذين حسب رأيه ، « يشاركون في حياة البلاد السياسية بصورة غير ذات شأن » ، بينما الديمقراطية ، حسب تعبيره ، « كانت ترزح تحت وطأة الشعور بعجزها الذاتي » . وبعد شهرين ذهب تروتسكي في « رسائله السياسية » الى حد نفي وجود ديمقراطية ـ ثورية في روسيا ، وصرح بأنها حتى الان ، هي في طور « الولادة » بينما تنمو البروليتاريا وتكبر . وفي هذه المسألة أيضا ، كان تروتسكي يتفق في موقفه تماما مع البورجوازية الليبرالية التي كتب قائدها ستروفه ، يومين قبل التاسع من كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ ، انه « لا يوجد في روسيا حتى الان شعب ثوري »(١٠) . ويعود هذا الموقف في الواقع الى تجاهل ملايين الفلاحين الذين يجب أن تلبى

---

(١٠) أوسفوبوجدينيه ، ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ .

مطالبهم خلال الثورة الديمقراطية . وقد كتب لينين يقول : « هذه الثورة تعني بالتحديد مرحلة التطور ، حيث سيتخذ القسم الاكبر من المجتمع موقعه بين البروليتاريا والبورجوازية ، مشكلا حشدا كبيرا من الفلاحين البورجوازيين الصغار . »(١١)

وأراد التروتسكيون ، من خلال انكار طاقات الفلاحين الثورية ، عزل البروليتاريا عن حليفها الطبيعي الرئيسي وفرض تحالفها مع البورجوازية الليبرالية . ذاك كان التكتيك المغامر الذي يحكم على البروليتاريا بالهزيمة .

ووقف بارفوس ، الذي كتب مقدمة كراس تروتسكي ، الى جانب هذا الاخير ، واستبدل فكرة لينين عن الديكتاتورية الديمقراطية للبروليتاريا والفلاحين بفكرة حكومة « الديمقراطية العمالية » ، وأكد أن « العمال وحدهم يستطيعون اتمام الانقلاب الثوري في روسيا . فالحكومة المؤقتة ستكون حكومة ديمقراطية عمالية » . ورأى بارفوس ان الفلاحين « قادرون فقط على زيادة الفوضى السياسية في البلاد وبالتالي اضعاف الحكومة . »

لقد أظهر لينين ان بارفوس ، مثله مثل تروتسكي ، ينفي عمليا الطابع البورجوازي للثورة الروسية ، ويدفع البروليتاريا باتجاه المغامرة بزرعه الوهم بأنها قادرة على ضرب القيصرية وحدها وبدون أي حليف . والتقت مصالح البروليتاريا والفلاحين في النضال ضد الاوتوقراطية وبقايا الاقطاع . وكان من الضروري اذن أن يشارك في الحكومة الثورية المؤقتة الى جانب ممثلي البروليتاريا، ممثلون عن الفلاحين والبورجوازية الصغيرة ، والمثقفين ؛ أي كل الديمقراطية الثورية .

في القسم الثاني من كراسه « قبل التاسع من كانون الثاني (يناير) » ، يسهب تروتسكي في تصريحاته عن الضرورة السياسية والتاريخية للانتفاضة الجماهيرية ، وينادي بها كمهمة قريبة . ودون أن يتخذ بوضوح موقفا معارضا للتحضير العملي للانتفاضة ، كان تروتسكي عمليا يروج لوجهة نظر المناشفة . ومن المعلوم ان المناشفة كانوا يتصورون أنه لتجهيز الشعب للانتفاضة ، يكفي أن

---

(١١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٨ ص ٢٨٣ .

نرسخ في ذهنه « الحاجة الماسة للحصول على السلاح وللتسلح الذاتي » .

في الواقع ، كان تروتسكي ينادي بنفس الفكرة ، فهو يقـول : « هذه الفكرة (الانتفاضـة) ، عندما تستحوذ على أذهان الجماهير ، تصبح هي بذاتهـا قـادرة عـلى تركيز طاقتهـم القتالية ، ومنع الانفجارات العفوية من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، بتعليم الجماهير من خلال أمثلة الانفجارات الثورية أن تتوحد باسم الثورة . »

في مسودة مشروعه « مرة أخرى بصدد الحكومة المؤقتة » ، فضح لينين الفكر الانتهازي عند تروتسكي وبارفوس ، وبيَّن ان الديمقراطية الثورية موجودة في روسيا ، وانهـا تنمو ، بعكس افتراض تروتسكي ، وأن « كل الليبراليين الشرعيين، عندما يكونون شرفاء ، هم ديمقراطيون ثوريون جاهزون ... »(١٢) وأشار لينين مجددا ، بعد عدة سنوات ، في « تقرير عن ثورة ١٩٠٥ » ، ان الثورة الروسية الاولى ، التي حركت كل طبقات المجتمع ، قـد خلقت شعبا ثوريـا تقوده البروليتاريـا الثورية(١٣) . ان رفض تروتسكي للديمقراطية الثورية يرجع في الواقع الى الدفـاع عن الفكرة المنشفية القائلة بهيمنة البورجوازية على الثورة الداهمة .

ان الهيمنة السياسية للبروليتاريا هي شرط محدد لاسقاط الاوتوقراطية واقـامة سلطة شعبية تتجسد في حكـومة ثورية مؤقتة . وفي آذار (مارس) سنة ١٩٠٥ ، أشار لينين في مقاله : « أهداف جديدة ، قوى جديدة » الى ان الظروف كانت مؤاتية البروليتاريا الروسية مـن حيث الحلفـاء المرحليين والاصدقـاء الواعين والشركاء الموضوعيين حتى ولو لـم يعوا ارتباطهم ؛ ودعا الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الى التخلي عن قسمهم بغياب شعب ثوري ، وان يكونوا على رأس نضال البروليتاريا . وللمرة الاولى صاغ لينين في هذا المقال شعار البلاشفة الستراتيجي في الثورة الديمقراطية البورجوازية ؛ شعار الديكتاتورية الديمقراطية الثورية للبروليتاريا والفلاحين .

---

(١٢) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الخامسة الروسية ، مجلد ١٠ ص ٣٦٩ .

(١٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٣ ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

كانت فكرة لينين عن سيطرة البروليتاريا وتحالفها مع الفلاحين أساس ستراتيجية وتكتيك الحزب البلشفي ، وقد أقرتا في المؤتمر الثالث لل ح ع ادر الذي عقد في لندن في نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٥ . ورفض المناشفة ، الذين تابعوا نشاطهم الانشقاقي ، الاشتراك في هذا المؤتمر ودعوا لعقد كونفرونس في جنيف .

كانت الثورة قد بدأت في روسيا أثناء انعقاد المؤتمر الثالث لل ح ع ادر . وكان ذلك المؤتمر البلشفي البحث الاول ؛ فقد سلح الحزب والبروليتاريا بالستراتيجية والتكتيك اللينينيين الهادفين الى توسيع الثورة . كان البرنامج الستراتيجي الذي وضعه المؤتمر يرى مسبقا انه في المرحلة الاولى من ثورة البروليتاريا ، يجب ان تصل الى تحالف مع الفلاحين ، وتحيد البورجوازية وتزعزعها ، وتكافح من أجل انتصار الثورة الديمقراطية البورجوازية . وفي المرحلة التالية ، ينبغي أن تعمل البروليتاريا بشكل يدفع تحول الثورة الديمقراطية البورجوازية الى ثورة اشتراكية . وبوحي من برنامج لينين الستراتيجي ، أطلق الحزب البلشفي الشعارات الجماهيرية الرئيسية : اسقاط القيصرية واقامة جمهورية ديمقراطية ، مصادرة أراضي الملاك العقاريين ، يوم العمل من ثمان ساعات .

نتيجة لذلك ، وضع المؤتمر الثالث لل ح ع ادر خط الحزب التكتيكي الذي أقر تنظيم الانتفاضة المسلحة كمهمة أولية وعاجلة أمام الحزب والطبقة العاملة ؛ وأشار المؤتمر الى ان « تنظيم البروليتاريا للنضال المباشر ضد الاوتوقراطية بواسطة الانتفاضة المسلحة ، هو احدى مهام الحزب الاولية أثناء الفترة الثورية الحالية »(١٤) وانطلقت كل منظمات الحزب لتفسر للبروليتاريا ، ليس فقط الاهمية السياسية ، بل الطابع العملي لتنظيم الانتفاضة المسلحة المقبلة .

وحدد المؤتمر الطابع الطبقي ومهمات الحكومة الثورية المؤقتة التي كانت ستتشكل بعد اسقاط القيصرية وتجسد ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية . وأقر صياغة لينين للمقطع

---

(١٤) الـ ح.ش.أ.س ، في الوثائق والمقررات ... الجزء الاول ، ١٩٥٤ ، ص٧٧ .

الاول للنظام الاساسي وانتخب مركزا قياديا موحدا للحزب : اللجنة المركزية للـ ح ع ادر بقيادة لينين . وأدان المؤتمر نهائيا المناشفة كـ « قسم منشق عن الحزب » ورفض آراءهم الانتهازية حول مسائل التنظيم وحول مسائل التاكتيك ايضا .

وأظهرت مقررات الكونفرونس المنشفي في جنيف الهوة التي تفصل ما بين البلاشفة والمناشفة . فالموضوعات المنشفية الانتهازية التي أقرها الكونفرونس كانت تؤدي ، بعكس شعارات البلاشفة الثورية ، الى استصغار شأن الثورة وتسليم قيادتها للبورجوازية . وأوضح هذا الكونفرونس ان المناشفة قد توغلوا في الانتهازية وأصبحوا عملاء للبورجوازية في قلب الحركة العمالية . « مؤتمران وحزبان »(١٥) ، هكذا وصف لينين هذه الحالة في الـ ح ع ادر .

كان الحزب البلشفي بقيادة لينين الحزب الوحيد المؤهل بأن يحدد بدقة العلاقات الطبقية في الثورة وان يضع برنامجا ستراتيجيا وخطا تكتيكيا تأكد صوابهما خلال مسيرة الثورة .

أثناء الثورة الروسية الاولى ، اضطر البلاشفة الى خوض نضال عنيف ضد الانتهازيين وخاصة ضد التروتسكيين الذين جهدوا لابدال الستراتيجية والتاكتيك اللينينيين في الثورة الديمقراطية البورجوازية بالتاكتيك المنشفي « المساعد » لليبراليين ، والذي « كان في الواقع سياسة عمالية ليبرالية »(١٦) .

ان أفكار التروتسكيين في مادة الستراتيجية والتاكتيك ، قد ترجمت في نظرية « الثورة الدائمة » التي تحتوي على العناصر الاساسية للمفهوم المنشفي للثورة المتستر بالجمل الثورية . لقد قدم تروتسكي وبارفوس ومؤيدوهما « الثورة الدائمة » كنظرية ثورية وتاكتيك جديدين(١٧) .

---

(١٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٣٦ ص ٥٦٩ .

(١٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ مو كو ، مجلد ٢٠ ص ٢٦٢ .

(١٧) ان المؤرخ الانجليزي ل. كوشان قد نشر سنة ١٩٦٦ كتابا بعنوان « روسيا والثورة ، ١٨٩٠ ــ ١٩١٨ » جاء فيه ، بالرغم من الوقائع ، ان نظرية تروتسكي في « الثورة الدائمة ، قد تنبأت بدقة بالتاكتيك الذي سوف يطبقه لينين ، بالرغم من ان لينين كان يجهل تفاصيل هذه النظرية »

L. Kochan. Russia in Revolution 1890-1918 Hertfordshire 1966, p. 142

في المرحلة التي بلغت فيها الثورة الروسية الاولى أوجها ، تشكل تجمع وسطي حول روسكايا غازيتا(١٨) بقيادة روتسكي وبارفوس ، وكذلك حول الصحيفة المنشفية ناتشالو(١٩) التي كان يحررها مارتوف ، وبوتريسوف ودان ومارتينوف ولوردانسكي وتروتسكي وبارفوس . وأشار لينين في « تقرير عن مؤتمر توحيد ال ح‌عادر » سنة ١٩٠٦ ، الى ان تيارا قد ظهر بين المناشفة ، اعتادوا في الحزب على ربطه باسمي تروتسكي وبارفوس . وكتب لينين بصدد مؤتمر الحزب الرابع قال : « من الاكيد انه ممكن ان يوجد بين المناشفة « بارفوسيون » و « تروتسكيون » ـ فقد أكدوا لي مثلا وجود ثمانية منهم ـ ولكن ، بعد رفض مسألة الحكومة الثورية المؤقتة ، لم ينجحوا في البروز . »(٢٠) فقد عارض تروتسكي وجماعته النظرية اللينينية عن قيادة البروليتاريا في الثورة الديمقراطية البورجوازية ، ونظرية تحويلها الى ثورة اشتراكية ، بنظرية « الثورة الدائمة » .

وبينما كان الحزب البلشفي يحضر الطبقة العاملة للانتفاضة المسلحة ، اقترح تروتسكي وأتباعه حسم مسألة الثورة الاشتراكية ب « ضربة واحدة » . وكان تروتسكي يبين ان « الثورة الدائمة

ويردد المزيفون البورجوازيون بعد تروتسكي ان نظرية لينين في الثورة الاشتراكية ، كانت هي نظرية « الثورة الدائمة » بالذات ، وان لينين قد قال بأن تروتسكي كان على حق سنة ١٩٠٥ ، وان التروتسكية لم تكن معادية للبلشفية ، ولكن بالعكس فهي التيار الاشتراكي الاقرب اليه . وليس مجرد صدفة ان يكتب برهم : « ان ديكتاتورية البروليتاريا (بالمعنى الدقيق الذي يقصده تروتسكي) قد طبقت في روسيا سنة ١٩١٧ ، وفي يوغوسلافيا سنة ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ ،وفي الصين بين ١٩٤٧ و١٩٤٩، وفي البلدانالنامية اقتصاديا »
(H. Brahm. Trotskijs Kampf un die Naehfolge Lenins S. 31)

تنطوي هذه الاقوال على محاولات لاستصغار الدور التاريخي العالمي لنظرية لينين حول ديكتاتورية البروليتاريا ، واظهارها كانها لا تلائم الا البلدان المتخلفة ولا تلائم البلدان المتطورة .

(١٨) روسكايا غازيتا ، ظهرت بين سنة ١٩٠٤ و ١٩٠٦ .

(١٩) ناتشالو ؛ جريدة المناشفة الرسمية التي حلت محل الايسكرا ، صدرت بين ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) و٢ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٠٥ .

(٢٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٠ ص ٣٣٦ .

تصبح قانون غريزة الحفاظ على طبقة البروليتاريا » ، وان بين مراميها الآنية والنهائية تطرح « الاستمرارية الثورية » . كان يخفي ، وراء هذه التعابير الغامضة ، انكار الطابع البورجوازي للثورة الروسية والخلط بين مرحلتيها الديمقراطية ــ البورجوازية والاشتراكية .

اعتبر لينين الثورة الديمقراطية ــ البورجوازية والثورة الاشتراكية حلقتين في سلسلة واحدة ، وفصل بدقة بين المرحلة الاولى والثانية ، وحدد مهام البروليتاريا وحزبها ، والعلاقة بين القوى الطبقية في كلتا المرحلتين . وقد قال : « ... ما أن تنتهي الثورة الديمقراطية ، حتى نتصدى فورا ... لطريق الثورة الاشتراكية . نحن مع الثورة غير المنقطعة ، لن نتوقف في منتصف الطريق »(٢١) .

وأحد الشروط الضرورية للانتقال من الثورة الديمقراطية البورجوازية الى الثورة الاشتراكية ، هو اقامة ديكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية . وفي « خطتا الاشتراكية ــ الديمقراطية في الثورة الديمقراطية » ، بيَّن لينين ان الانتصار على القيصرية واقامة الديكتاتورية الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين ، يخلقان مقدمات للثورة البروليتارية .

كان لينين يعتبر في انتصار الثورة البورجوازية كمرحلة ضرورية للنضال التحرري يستحيل بدونها التحرك نحو انتصار ديكتاتورية البروليتاريا . ولذلك كان يحذر من الخلط بين مهام الثورة الديمقراطية ومهام الثورة الاشتراكية ، ويشير الى ضرورة تحقيق برنامج الحد الادنى أولا ، هذا البرنامج الذي يستجيب للمهام التاريخية للبروليتاريا والفلاحين ، والذي يعني عدم الاعتراف بها خيانة للاشتراكية(٢٢) .

ان دفاع التروتسكيين عن نظرية « الثورة الدائمة » الانتهازية ، في الوقت الذي كان يجب فيه الاطاحة بالقيصرية واجراء التحولات الديمقراطية ، كان يعمق الانقسام داخل الحزب . وعلى أثر تدخلات

---

(٢١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٩ ص ٢٤٤ .

(٢٢) نفس المصدر ، ص ٨١ .

تروتسكي ، ادعى الفوضويون والاشتراكيون الثوريون وممثلو أحزاب بورجوازية صغيرة أخرى ان الـ ح‌ع‌ادر قد تخلى عن فكرة لينين حول الديكتاتورية الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين .

وأصدر تروتسكي سنة ١٩٠٦ « حصيلة وآفاق » برر فيه نظرية « الثورة الدائمة » ؛ وانتقد نظرية لينين عن الديكتاتورية الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين ، وقد كتب : « ليس المهم ان نعرف ما اذا كنا نعتبرها مقبولة مبدئيا ، « اذا كنا نريد أو لا نريد » هذا الشكل من التعاون السياسي . لكننا نعتبرها مستحيلة التحقيق على أي حال بالمعنى المباشر والعملي . » وفي المؤتمر الخامس للـ ح‌ع‌ادر ، صرح تروتسكي مجددا ان « انتصار الثورة ممكن عندنا فقط كانتصار ثوري للبروليتاريا ، والا فهو مستحيل تماما . »(٢٣)

لقد ظهر الطابع المغامر والانتهازي لنظرية « الثورة الدائمة » ، أوضح ما يمكن في مسألة الحكومة الثورية المؤقتة . فعندما دافع تروتسكي عن موضوعة « لا قيصر ، بل حكومة عمالية » أنكر الطابع البورجوازي للثورة الروسية الاولى ، ومزج بين المرحلتين ؛ الديمقراطية والاشتراكية . وأكد ان تقسيم برنامج الحزب الى برنامج حد أدنى ، وبرنامج حد اقصى ليست له اية أهمية مبدئية الا اذا كانت السلطة بيد البورجوازية . اما اذا كانت السلطة بيد حكومة ثورية « بأغلبية اشتراكية » ، فهذا التقسيم يفقد كل معنى ، والحكومة البروليتارية غير قادرة على التوقف عند حد هذا التقسيم .

وفي كتابه « خطتا الاشتراكية ـ الديمقراطية في الثورة الديمقراطية » بيّن لينين ان الثورة الديمقراطية البورجوازية المنتصرة بقيادة البروليتاريا يجب ان تؤدي ليس الى استيلاء البورجوازية على السلطة ، ولا الى انشاء « حكومة ديمقراطية عمالية » ، بل الى ديكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية . وأشار لينين الى ان طابع هذه الحكومة » ... يحدد في نفس الوقت ، الطبقات التي يمكن ويجب ان يعتمد عليها

(٢٣) المؤتمر الخامس الـ ح.ع.ا.د.ر (لندن) ، المحاضر ، موسكو ١٩٦٣ ص٤٠١ .

« البناة » الجدد للبنية الفوقية الجديدة ، وطابعها (ديكتاتورية « ديمقراطية » بخلاف الديكتاتورية الاشتراكية) ووسائل انشائها (بواسطة الديكتاتورية ، اي بقمعها بالقوة كل مقاومة بالقوة ، وبتسليحها طبقات الشعب الثورية) »(٢٤) .

وبمعارضته الديكتاتورية الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين، كان تروتسكي ينفي دور البروليتاريا التاريخي الذي يحدده موقع هذه الطبقة بالذات . فالثورة الديمقراطية البورجوازية هي في الواقع ، وبمعنى ما ، أكثر فائدة للبروليتاريا منها للبورجوازية ؛ لأن انتصارها يسمح لها بانتزاع الحريات الديمقراطية وتعزيز تنظيماتها ، وكسب خبرة قيادة الجماهير، وقيادة النضال للاستيلاء على السلطة السياسية .

وكتب لينين : « بقدر ما تكون تامة وحاسمة وبقدر ما تكون مجدية ، بقدر ما تكون مؤمنة أكثر امكانية البروليتاريا على النضال في سبيل الاشتراكية ضد البورجوازية . »(٢٥) ان وضع البروليتاريا كطبقة يفرض عليها ان تتصرف كديمقراطي واع وان تخوض الثورة حتى الانتصار النهائي على القيصرية ، مما يعني بالتحديد اقامة الديكتاتورية الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين(٢٦) .

وأشار لينين ان انتصار الثورة وتحقيق التحولات الديمقراطية سيثير مقاومة يائسة من قبل القيصرية والملاك العقاريين والبورجوازية الكبيرة . ان ديكتاتورية تستند على الشعب المسلح هي التي تستطيع فقط ان تضرب هذه المقاومة وتسير بالثورة الديمقراطية حتى نهايتها ، وان تحضر الارضية لنضال البروليتاريا المنتصر من اجل الاشتراكية . ولكنها ستكون ديكتاتورية ديمقراطية ، وليس اشتراكية ، تنفذ برنامج الحد الادنى المتجاوب مع مصالح كل الشعب دون أن تمس بذلك أسس الرأسمالية . وهكذا ، فان الاطاحة بالقيصرية ، وازالة بقايا الاقطاع ، وتطبيق التحولات

---

(٢٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٩ ص ١٢٧ .
(٢٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٩ ص ٤٥ .
(٢٦) نفس المصدر ، ص ٨٣ .

الديمقراطية لن يجعل من الثورة الديمقراطية ثورة اشتراكية ، فالثورة الديمقراطية لن تتجاوز اطار العلاقات الاجتماعية ـ الاقتصادية البورجوازية .

أثناء الثورة الروسية الاولى ، انتقلت مسائل عديدة من الميدان النظري الى الميدان العملي ، وخاصة قضية قيادة البروليتاريا . ان ثورة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ ذات الطابع الديمقراطي ـ البورجوازي ، أصبحت بروليتارية مباشرة تقريبا بفضل أساليب النضال التي اعتمدتها . في هذه الثورة ، لعبت البروليتاريا الروسية بقيادة الحزب الباشفي دور القيادة السياسية للمرة الاولى . وقد برز دور الطبقة العاملة كقائدة لنضال الجماهير الثوري ، خاصة أثناء الاضرابات . وقد قال لينين : « الطابع البارز لاضراباتنا ، والذي يعطيها أصالتها التاريخية ، هو واقع ان البروليتاريا تفرض نفسها كقوة قيادية ... »(٢٧) فقد عبرت اضرابات الطبقة العاملة عن المصالح الاساسية لجماهير الشغيلة في روسيا . وتداخلت ، في ذروة الثورة ، الاضرابات الاقتصادية والسياسية . وأثبتت البروليتاريا انه يمكن ربط الاضراب الاقتصادي بالاضراب السياسي ، وان الاضراب السياسي الجماهيري يمكن ان يتحول الى انتفاضة مسلحة .

لقد أوجدت الطبقة العاملة الروسية في سنوات ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧، السوفياتات كأجهزة للنضال من اجل انتصار الثورة ، ومن أجل الاشتراكية . وكانت سوفياتات سنة ١٩٠٥ مكسبا تاريخيا للطبقة العاملة ونموذجا للسلطة السوفياتية . وأظهر مثال روسيا للمرة الاولى » ... بروليتاريا ، دورها أعظم للغاية من حجمها العددي بين السكان » (٢٨) الامر الذي دحض نهائيا الموضوعة التروتسكية ـ المنشفية حول استحالة تطبيق ديكتاتورية البروليتاريا قبل ان تشمل هذه الطبقة غالبية السكان .

كان لينين يعلم بأن المصالح الاساسية للفلاحين تجعل منهم مؤيدين حازمين للبروليتاريا أثناء الثورة الديمقراطية ، لأن اضطهاد

---

(٢٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٨ ص ٥٦٤ .

(٢٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣١ ص ٨٦ .

الاوتوقراطية ، وبقايــا العبودية ، لا يمــكن ان تصفى الا بالطريق الثوري ؛ ولا يستطيع الفـلاحون تحقيق هــذه المهمــة الا بقيادة البروليتاريــا .

وجاء في مشروع القرار ، « مهام البروليتاريــا في المرحلة الراهنة من الثورة الديمقراطية البورجوازية » ، الذي صاغه لينين لمؤتمــر الاشتراكية ـ الديمقراطية الثـاني في مقـاطعة ليتون : « البروليتاريا وحدها هي القادرة على خوض الثورة الديمقراطية حتى نهايتها ، شرط أن تقود وراءها جماهير الفلاحين في النضال دون هوادة ضد الملـكية العقاريــة الكبيرة والدولة التي تمـارس العبودية) وذلك ، بصفتها الطبقة الوحيدة الثورية حتى نهـاية المجتمع الحالي . »(٢٩)

لقد أكدت ثورة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ بالممارسة في كل منعطفاتها صحة هــذه الموضوعات .

وأنــكر تروتســكي برفضه للأمر المسلم به امكــانية تحــالف البروليتاريا والفلاحين . وكان يعلن أن « تحالف » البروليتاريــا والفلاحين « يفترض ، اما ان يسيطر حزب من الاحزاب البورجوازية الموجودة على الفلاحين او ان ينشىء هؤلاء حزبــا مستقلا قويا . فلا هذا ممكن ولا ذاك ... » في كتابه « هدف نضال البروليتاريا في ثورتنا » (١٩٠٩) ، بيّن لينين ان آراء تروتسكي بصدد «تحالف» الطبقات ، كانت خاطئة ان من الناحية النظرية ، او من خــلال الممارسة العملية للثورة الروسية. ان تحالف البروليتاريا والفلاحين لا يفرض البتة ان يسيطر أحد الاحزاب البورجوازية على الفلاحين ، او ان ينشىء هؤلاء حزبا مستقلا . فمن العسير تنظيم الفـلاحين في حزب ؛ وخلق أحزاب فلاحية هو عملية تطورية تقتضي نفسا طويلا(٣٠) .

ويستحيل، حسب تروتسكي، تحقيق الديكتاتورية الديمقراطية الثورية للبروليتاريــا والفـلاحين حتى ولو انضم الفـلاحون الى البروليتاريا . فقد كان يقول : « حتى عندما يرتبط الفلاحون بنظام

---

(٢٩) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ١٥ ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ . نشر هذا المقال للمرة الاولى باللغة الروسية في المؤلفات الكاملة .

الديمقراطية العمالية ، يبقى وعيهم أدنى مما هو عليه عادة ، عندما يدعمون نظاما بورجوازيا » . فقد انتقد لينين هذه الذريعة الانتهازية واشار الى ان البروليتاريا لا تراهن على عدم الوعي والافكار المسبقة عند الفلاحين كما تفعل الطبقات القائدة للمجتمعات البورجوازية ، كما انها لا تفترض ان الفلاحين سيحافظون في مرحلة الثورة على عدم الوعي والسلبية المعتادين(٣١) .

آمن البلاشفة دوما بامكانات الفلاحين الثورية . ومقررات المؤتمرين الثاني والثالث، وكذلك مؤتمرات وكونفرونسات الـ ح‌عادر اللاحقة ، كانت كلها تحاول تطوير مبادرات الفلاحين وجرّهم الى الحركة الثورية بقيادة البروليتاريا .

وتدخّل الحزب البلشفي دائما بصفته المدافع الوحيد عن مصالح جماهير الفلاحين . وطرح برنامجه الزراعي مصادرة أراضي كبار الملاكين ، والكنيسة والاديرة والاقطاعات والتاج ، وبتأميم الارض ، أي ازالة الملكية الخاصة للأرض ووضعها بتصرف الحكومة الديمقراطية . لقد كان برنامجا ثوريا يهدف الى ازالة النظام الاوتوقراطي والملكية العقارية ، واقامة الديكتاتورية الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين . ولم يكن تأميم الارض يقضي فقط بازالة آثار الاقطاع ، وانما ايضا ، بتعزيز النضال الطبقي في الارياف ، والمساهمة بالتفاف الفقراء حول البروليتاريا معجلا بهذه الطريقة عملية تحول الثورة الديمقراطية البورجوازية الى ثورة اشتراكية .

وبذلت المنظمات البلشفية المحلية ، أثناء الثورة ، أقصى جهودها لاستقطاب الفلاحين الى جانب البروليتاريا ؛ وكانت تفسر شعارات البلاشفة للفلاحين وتؤسس لجانا فلاحية ثورية . ومنذ صيف ١٩٠٥ ، أنشئت تجمعات زراعية الى جانب لجان موسكو ، وقازان ، ونيجني ـ نوفغورود ، وسيمبيرسك وساراتوف ، وسامارا وبطرسبورج ، وفلاديمير ، وكوستروما ، وايفانوفا ـ فوزنسينسك ، وفيلنو ، ولوغانسك واوديسا ، ولجان حزبية اخرى في بيلوروسيا وليتوانيا وليتونيا واوكرانيا .

---

(٣٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٥ ص ٣٨٦ ـ ٣٩٧ .
(٣١) نفس المصدر ، ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

وفي نهاية سنة ١٩٠٥ دفع المد الثوري الفلاحين الى تنظيم أنفسهم سياسيا . بيد انهم لم يؤسسوا حزبا مستقلا لهم ؛ فالاتحاد الفلاحي الروسي ، ومجموعة العمل ، التي ظهرت أثناء الثورة ، لم تكن سوى جنين تنظيم سياسي للفلاحين .

وحرك اضراب تشرين الاول (اكتوبر) بقوة نضال الفلاحين الثوري الذي بلغ ذروته في الاشهر الثلاثة الاخيرة سنة ١٩٠٥ التي سجلت ١٥٩٠ تحركا فلاحيا . ان اضراب تشرين الاول (اكتوبر) والانتفاضة المسلحة في كانون الاول (ديسمبر) ، قد أعطيا مثالا واضحا على اتحاد قوتي البروليتاريا والفلاحين في النضال ضد الاوتوقراطية ، بقيادة البروليتاريا وحزبها .

ودحضت تجربة ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ تأكيدات التروتسكيين القائلة بأنه لا توجد ديمقراطية ثورية في روسيا ، ولا يمكن تحقيق اتحاد البروليتاريا والفلاحين تحت قيادة الطبقة العاملة .

وجاهر التروتسكيون أيضا بآراء انهزامية حول آفاق الثورة الاشتراكية في روسيا ، فربطوها بدعم البروليتاريا الاوروبية واقعين كليا في تكهنات انتهازيي الاممية الثانية . وكتب لينين ان تروتسكي لم يكن يبدي « عطفا » الا على الانواع الاوروبية الانتهازية وليس على الانواع الاوروبية للروح الحزبية على الاطلاق . » (٣٢) ويعود هذا الموقف أساسا الى انكار ضرورة تحول الثورة الديمقراطية البورجوازية الى ثورة اشتراكية .

بينما كانت مقررات المؤتمر الثالث للـ ح ع ا د ر تملي على البروليتاريا مهمة كسب النضال من أجل الديمقراطية ، ومن ثم الاستفادة من هذا الانتصار للانتقال الى الثورة الاشتراكية ؛ وقد كان تروتسكي وجماعته يحرمون البروليتاريا من المبادرة الثورية ، ويحكمون عليها بسياسة المسايرة العبثية .

ان نظرية لينين عن تحويل الثورة الديمقراطية البورجوازية الى ثورة اشتراكية ، قد حطمت النظرية التروتسكية ــ « الثورة الدائمة » ــ ونسفت من الاساس العقائد الانتهازية للمناشفة الروس وللاصلاحيين الاوروبيين الغربيين .

---

(٣٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢٠ ص ٣٥٨ .

وجسدت نظرية تروتسكي عن « الثورة الدائمة » بشكل واضح خطأ الروح الثورية للبورجوازية الصغيرة . وحسب قول لينين ، كانت نظرية « يسارية بشكل عبثي » ومعادية للماركسية ، وعميقة في انتهازيتها ، وانتقائية ، لا تعترف بالشروط الموضوعية لتطور روسيا الاجتماعي . « ان نظرية تروتسكي « الطريفة » تستعير من البلاشفة دعوة البروليتاريا لنضال ثوري حازم ، والاستيلاء على السلطة السياسية ، ومن المناشفة « نفي » دور الفلاحين . »(٣٢) ودون ان تأتي بجديد ، تجتر نظرية « الثورة الدائمة الآراء المنشفية التي سبق ودحضتها ممارسة الطبقة العاملة الثورية .

كانت نظرية « الثورة الدائمة » التروتسكية تعيد النظر بنظرية لينين حول هيمنة البروليتاريا في الثورة الديمقراطية البورجوازية، وتحول هذه الثورة الى ثورة اشتراكية ، اي انها حرّفت النظرية البلشفية حول القضايا الرئيسية للثورة .

ولنظرية « الثورة الدائمة » طابع مغامر لأنها تدفع البروليتاريا الى طريق التفاهم مع البورجوازية . ويظهر الشكل الذي بنيت فيه هذه النظرية ان تروتسكي كان يعالج بروح ارادية بعض الظاهرات الاجتماعية ــ الاقتصادية وعملية التطور بمجملها . فهو ينفي استمرارية مهمات الثورتين، البورجوازية الديمقراطية والاشتراكية، ويحاول من خلال أحكامه الذاتية تخطئة العملية الموضوعية في التطور الاجتماعي .

ولقد أثبتت الثورة الروسية الاولى الوهن الكامل للموضوعات التروتسكية حول المسائل الاساسية للثورة والتكتيك ، التي حاول تروتسكي وأتباعه فرضها على الحزب .

---

(٣٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٤٣٥ .

نضال الحزب ضد تكتيك تروتسكي الانتهازي في سوفيات بطرسبورج للنواب العمال

عندما بلغت ثورة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ ذروتها ، تشكلت في المراكز الصناعية الكبرى في روسيا سوفياتات النواب العمال ، فكانت احدى أروع مظاهر الروح الثورية عند الطبقة العاملة .

وأثناء تصاعد الاضراب السياسي العام في روسيا ، ولد سوفيات النواب العمال في بطرسبورج، فكان أول منظمة جماهيرية لبروليتاريا بطرسبورج تتكون في المدينة لقيادة الحركة الاضرابية . وقد كان السوفيات هيئة منتخبة وتعمل بشرعية .

كان البلاشفة المبادرين في كل الاجراءات الثورية التي اتخذها السوفيات . يخطبون في المهرجانات العمالية ، ويفسرون معنى وأهمية المقررات التي يتخذها السوفيات . الا ان بعض البلاشفة كانوا يقللون من اهمية السوفيات ، في بداية التحرك ، وطالبوا بأن يتبنى برنامج الحزب ويندمج فيه ، والا فعلى الاشتراكيين ـ الديمقراطيين ، حسب رأيهم ، ان يتركوا السوفيات ويفضحوا طابعها المعادي للبروليتاريا أمام الجماهير ؛ ولقد دافع بشدة عن وجهة النظر هذه ، أ. بوغدانوف و ب. كنونيانتز (رادين) في سوفيات بطرسبورج .

ان موقف بعض البلاشفة الخاطىء من السوفيات سمح للمناشفة ان يسيطروا عليه ؛ وهكذا لم يبق للبلاشفة الا سبعة فقط من أصل خمسين عضوا في لجنة السوفيات التنفيذية ، وانتخب المحامي المنشفي ج. خروستاليف ـ نوسار رئيسا للسوفيات . وكان يشارك في اللجنة بارفوس وزليدنيف ، وزبوروفسكي ، وقادة آخر من المناشفة. ولم يكن تروتسكي نائبا فيسوفيات بطرسبورج، لكنه كان عضوا مستشارا في اللجنة التنفيذية .

وما ان عاد تروتسكي من فنلندا ، حتى بدأ يدعم المناشفة ، كما ذكر مارتوف(٣٤) ؛ فقد دخل معهم الى اللجنة التنفيذية في سوفيات بطرسبورج وراح يساهم في ثلاث صحف : في جريدة

---

(٣٤) أ. مارتوف و ب. اكسلرود ، مراسلات ، ص ١٤٥ .

السوفيات الرسمية ، « ازفستيا سوفيات العمال النواب » وفي صحيفتين منشفيتين « ناتشالو » و « روسكايا غازيتا » التي كان يحررها مع بارفوس .

ان تدخلات تروتسكي لصالح المناشفة أحيانا ، وفي بعض الحالات لصالح البلاشفة ، اضافة الى مشاركته في جريدة سوفيات بطرسبورج الرسمية ، وفي الجريدة المنشفية الرسمية ؛ كل ذلك ، يبين انه كان يتذبذب ويتلوى بين الاشتراكية ـ الديمقراطية الثورية وبين الانتهازية ، كما كان يرغب في اتخاذ موقع « وسطي » مستقل يوفق بين الواحد والآخر ، الامر الذي يعني عمليا ممارسة سياسة انتهازية . وبعد سنوات من ذلك ، حاول تروتسكي ان يظهر بأنه لم تكن هنالك خلافات سنة ١٩٠٤ بين البلاشفة والمناشفة الذين مثلهم في السوفيات وفي «ناتشالو» ، وانه فقط بعد موت لينين « ابتدعت ، بعد فوات الاوان ، خرافة تعارض خطي لينين وتروتسكي في ثورة ١٩٠٥ » .

في الواقع ، ان آراء تروتسكي المنشفية وتاكتيكه الانتهازي في ثورة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ ، الذي ظهر في سوفيات بطرسبورج خاصة ، تشهد على موقعه الوسطي . لقد أراد تروتسكي ان يطمس الخلافات الموجودة بين البلاشفة والمناشفة ويخضع مصالح البروليتاريا لمصالح البورجوازية .

ما ان عرف لينين بنشاط سوفيات بطرسبورج ، وبالموقف الخاطىء منه الذي اتخذه بعض أعضاء لجان الحزب ، حتى وجه رسالة الى هيئة تحرير « نوفايا جيزن » البلشفية ، أعطى فيها رأيه بالسوفيات والعلاقات التي يتوجب اعتمادها بين الحزب والسوفيات(٣٥) . وكتب لينين ينتقد الآراء الخاطئة عند بعض بلاشفة بطرسبورج ، والتي كان يمكن ان تعزل الحزب عن الجماهير : « يخطىء الرفيق رادين عندما يطرح في العدد الخامس من « نوفايا جيزن » ... هذا السؤال : سوفيات النواب العمال ام الحزب ؟

---

(٣٥) الرسالة بعنوان : « مهماتنا وسوفيات النواب والعمال » كتبت في ٢ و ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٥ ، لكنها لم تنشر ، ونشرت للمرة الاولى سنة ١٩٤٠ .

أرى انه لا يمكن طرح السؤال بهذا الشكل ؛ يجب الوصول دائما الى هذه النتيجة : سوفيات النواب العمال والحزب . »(٣٦) وحدد لينين في نفس هذا المقال مهمة ممثلي الحزب بوضوح : قيادة السوفياتات وتوجيه أعمالها . وحسب راي لينين يجب ان يدخلوا الى السوفياتات « ... لتطوير دعاية مستمرة ، وصلبة بالمفهوم المنسجم «الوحيد» ، والبروليتاري الحقيقي الوحيد للماركسية »(٣٧)

ووجّه لينين انتقادا عنيفا لشعارات سوفيات بطرسبورج الذيلية التي تلتقي حرفيا مع شعارات البورجوازية الليبرالية . وأشار الى ان البورجوازية الفوضوية الليبرالية كلها تريد ان تستولي على السلطة «سلميا » ، بدون انتفاضة مسلحة ، بينما الانتفاضة هي وحدها القادرة على ضمان انتصار الثورة(٣٨) .

واعتبر لينين السوفياتات أجهزة النضال الجماهيري المباشر ، وأجهزة الانتفاضة ، وجنين الديكتاتورية الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين . وكتب الى بلاشفة بطرسبورج قال : « يجب أن يعلن السوفيات نفسه حكومة ثورية مؤقتة لعموم روسيا في أقرب وقت ، او (ما يعود الى نفس القضية ، ولكن بشكل مختلف) يجب ان « يخلق » حكومة ثورية مؤقتة . »(٣٩)

ويردد المزيفون ، في معالجة هذه القضية ، أكاذيب عن موقف لينين والبلاشفة السلبي ــ حسب زعمهم ــ تجاه السوفيات ، وخاصة سوفيات بطرسبورج ويرفعون بالمقابل تروتسكي الى الاوج .

ويحاول المناشفة الذين كانوا يقللون دائما من دور سوفيات بطرسبورج بشتى الاساليب، انيجعلوا منه جهازا لادارة ذاتية محلية ويؤزموا النضال الثوري بالطريق البرلمانية ، ويضعوا قيادة الحركة بين أيدي البورجوازية . وقد عبّر مارتوف بوضوح عن موقف المناشفة من سوفيات النواب العمال اذ كتب الى أكسلرود بشأن سوفيات بطرسبورج انه تجسيد للفكرة المنشفية عن « الادارة الذاتية

---

(٣٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٠ ص ١١ .
(٣٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٠ ص ١٣ .
(٣٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٩ ص ١٨٨ .
(٣٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٠ ص ١٣ .

الثورية »(٤٠) . وأشار في هذه الرسالة الى ان المناشفة كانوا ضد تحويل السوفيات الى جهاز سلطة ثورية ، فكتب : « التأثير (الايديولوجي) هو من الاتساع بحيث ان « الاستيلاء على السلطة » ، اذا ما استمرت الاحداث في التطور بهذا الاندفاع ، يبدو شبه حتمي (هذا لا يعني ان هذه الآفاق هي جد جذابة ؛ فأنا أخشى ، من جهتي ، ان يشكل ذلك منعطفا في الثورة ، كما كانت تماما ديكتاتورية اليعاقبة) . »(٤١)

و فضح لينين رأي المناشفة بالسوفياتات « كأجهزة ادارة ذاتية ثورية » ، وأشار الى انه لا يمكن ان تكون هناك ادارة ذاتية شعبية أصيلة في ظل نظام اوتوقراطي . « فالتنظيم الحقيقي لادارة محلية ذاتية شعبية بالفعل ، لا تكون الا خاتمة انتفاضة منتصرة . »(٤٢)

وظهرت خيانة تكتيك تروتسكي والمناشفة الآخرين منذ بداية الاضراب السياسي في تشرين الاول (اكتوبر) ، اذ وجدت البروليتاريا نفسها مضطرة للانتفاضة المسلحة . ولكي تحافظ على السلطة ، أصدرت الحكومة القيصرية بيان ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ، وانتصر الليبراليون . وأيد المناشفة والاشتراكيون ــ الثوريون البيان هم أيضا . وكان الحزب البلشفي الحزب الوحيد الذي أدان وقيّم البيان وسياسة الاوتوقراطية تقييما سليما . وفي ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) وجهت اللجنة المركزية لل ح ع ادر ، نداء « الى الشعب الروسي » أوضحت فيه ان البيان خدعة غايتها تفتيت القوى وخداع الشعب(٤٣) . ودعا البلاشفة العمال والفلاحين لمتابعة النضال ضد الاوتوقراطية ، فظهر في ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) مقال لينين في « بروليتاري » ! « أول انتصار للثورة » ، جاء فيه ان الاوتوقراطية قد أرغمت على هذا التنازل ، وان القيصر لم يستسلم وهو يستجمع قواه . ودعا لينين العمال للاستفادة من

---

(٤٠) أ. مارتوف و ب. اكسلرود ، مراسلات ، ص ١٤٦ .
(٤١) نفس المصدر ، ص ١٤٥ .
(٤٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٩ ص ١٨٩ .
(٤٣) الاضراب السياسي العام في روسيا ــ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٠٥ القسم الاول ، موسكو ــ لينينغراد ١٩٥٥ ، ص ١٩٦ .

المواقع المكتسبة للانطلاق مجددا في الهجوم على الاوتوقراطية .

وعرضت ، في نفس المقال ، خطة العمل للمستقبل القريب : خلق ميليشيا عمالية كضمانة وحيدة للثورة ، ضرورة انحياز الجيش التام الى جانب الشعب ، توسيع وتعميق قواعد الثورة من خلال مشاركة الفلاحين فيها . قال لينين : « ان نجاح الثورة يتوقف على القوة العددية لجماهير البروليتاريا والفلاحين الذين سيهبون لحمايتها وتوجيهها الى نهاية حسنة . »(٤٤)

وأجمعت الطبقة العاملة على تأييد نداء البلاشفة لمتابعة النضال(٤٥) ؛ وبلغ عدد المضربين في بطرسبورج في ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٣٥٠٠٠ شخصا ، وفي نفس اليوم ، قرر سوفيات النواب العمال « متابعة الاضراب العام ... »(٤٦)

وأرغمت القيادة المنشفية في سوفيات بطرسبورج على الاخذ بالاعتبار وضع العمال الثوريين الذين يتبعون البلاشفة وحاولوا في نفس الوقت، كسر الاضراب . وطرح المناشفة منذ ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) مسألة ايقاف الاضراب ، واستمروا في طرحه يوميا حتى ١٩ تشرين الاول (اكتوبر) عندما نجحوا في اقراره بالتصويت . وأمام اصرار مندوب لجنة اضراب عمال السكك الحديدية على الاستمرار في الاضراب ، أصر تروتسكي على ايقافه . عندئذ أقر اقتراح تسوية قدمته لجنة الـ ح‌ع‌ادر الفدرالية : « ايقاف الاضراب، ولكن ليس في هذا اليوم ، وذلك للتعبير عن عدم الثقة التام من « الدستور » الجديد ، انما في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ظهرا »(٤٧) وتوقف الاضراب في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) .

علّقت اللجنة الفدرالية انهاء الاضراب السياسي بالتحضير للانتفاضة المسلحة ؛ وختمت قرارها بنداء الى العمال من اجل

---

(٤٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٩ ص ٤٤٩ .

(٤٥) بلاشفة بطرسبورج أثناء الثورة الروسية الاولى ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ ، لينينغراد ١٩٥٠ ، ص ١٥٤ .

(٤٦) ازفستيا سوفيات النواب العمال ، ٢٠ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٠٥ .

(٤٧) ازفستيا سوفيات النواب العمال ، ٢٠ تشرين الاول (اوكتوبر) ، ١٩٠٥ . (أوجدت لجنة الـ ح.ع.أ.د.ر الفدرالية في منتصف تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٩٠٥ ، وكانت تضم ممثلين عن البلاشفة والمناشفة) .

« انشاء كوادر القتال لهجوم أكبر وأكثر ضغطا ضد الملكية المزعزعة ، والتي لا تمكن ازالتها نهائيا الا بواسطة انتفاضة شعبية منتصرة . »

اما قرار سوفيات بطرسبورج ، فقد اقتصر على الدعوة للاضراب ، بعد ان راجعه تروتسكي ، وقد جاء فيه : « قرر سوفيات النواب العمال وقف الاضراب السياسي العام ظهر ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ، واعادة فتحه ، وفقا لتطور الاحداث ، عند أول نداء من السوفيات لاستعادة النضال من أجل مطالبنا ، وبشكل أكثر اجماعا منه الآن . »(٤٨)

كتب ب. كنونيانتز ، فيما بعد ، ان قادة السوفيات المنشفية اعتبرت اقتراح اعلان الاضراب ، بعد السابع عشر من تشرين الاول (اكتوبر) ، مجرد تعبير عن الحذر من « الحرية على الورق » ، ولكنها لم تضع امامها ابدا هدف الانتهاء من الاوتوقراطية(٤٩) .

وقام البلاشفة بكل الاعمال التحضيرية للانتفاضة . وفي نهاية تشرين الاول (اكتوبر) كان العمال في بطرسبورج يتسلحون بقيادة البلاشفة ، وقد شكلوا وحدات قتال ، وجمعوا المال لشراء الاسلحة ، وصنع العمال السلاح الابيض بأيديهم . وفي تقريره عن ثورة ١٩٠٥ ، كتب لينين قال : « كان شعار القتال لبروليتاريا بطرسبورج حينذاك ، **« يوم عمل من ثمان ساعات ، وأسلحة ! »** وقد بدا واضحا لكثير من العمال ان مصير الثورة ، لا يمكن ان يتقرر ، ولن يتقرر الا بالنضال المسلح . »(٥٠)

ان محاضر جلسات سوفيات بطرسبورج ولجنته التنفيذية ، وكذلك وثائق اخرى ، تؤكد ان اللجنة التنفيذية لم تسجل مرة واحدة في جداول اعمالها اليومية مسألة الانتفاضة المسلحة . واذا ما ذكرت احيانا أثناء عمل السوفيات مسائل متعلقة بتسليح العمال وتخزين الاسلحة وانشاء وحدات قتال ، انما كان ذلك نتيجة لضغط مارسه النواب العمال والمندوبون البلاشفة .

كان النواب العمال يثيرون مسائل التسلح هم انفسهم .

---

(٤٨) نفس المصدر .

(٤٩) ب. رادين ؛ أول سوفيات للنواب العمال . سان بطرسبورج ١٩٠٦ ، ص٣٢

(٥٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٣ ص ٢٧١ .

وكان يطلب العمال احيانا من السوفيات تعيين قادة لوحدات قتال شكلوها وحدهم . وفي ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) قرر نواب دائرة غورودسكي الذين انشأوا أركان حرب لتنظيم وحدات القتال ، اخضاع هذا التنظيم لسوفيات بطرسبورج(٥١) .

وفي جلسة للسوفيات ، استمعوا الى تقارير النواب حول ضرورة تسليح عمال مصانع ميسنر ، وسيمنس ، وهالسك ، وسيميانيكوف وغيرها ليستطيعوا رد هجمات المائة ــ السود ؛ فلم يتخذ السوفيات اي قرار . وفي اول كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٠٥ نشرت صحيفة « نوفايا جيزن » قرار اللجنة التنفيذية لسوفيات النواب العمال الذي ينفي ضرورة تحضير الانتفاضة المسلحة . قال القرار حول هذا الموضوع : « تلقت اللجنة التنفيذية في المدة الاخيرة عددا كبيرا من الاقتراحات بهذا المعنى . فاللجنة التنفيذية لا تنظر بها . »(٥٢)

حدث واحد يذكر بهذا الشأن وهو ان رئيس السوفيات خروستاليف قد وزع اسلحة على وحدات القتال . لكن القضية كلها اقتصرت على ثمانية مسدسات لكل تجمع عمالي (كان يوجد ثمانية في بطرسبورج) ومائة قذيفة لكل مسدس . واذا علمنا بأن تجمع « نيفسكي » وحده ، تعد وحداته القتالية ستة آلاف عامل ، يتضح لنا ان السوفيات لم يهتم بشكل جدي بمسألة التسلح . وأعطى فيما بعد احد العمال النواب صورة صادقة عن نشاط سوفيات بطرسبورج اذ سئل ما اذا كان السوفيات قد دعا للانتفاضة المسلحة فأجاب : « ليس السوفيات هو الذي وجه الينا هذا النداء ، بل نحن الذين كنا نوجهه اليه . »(٥٣)

كان موقف تروتسكي والقادة المناشفة من الانتفاضة المسلحة دائما موضع نقد المندوبين البلاشفة والنواب العمال . وقد كتب احد البلاشفة الاعضاء في اللجنة التنفيذية ، ب. كنونيانتز ، في كراسه **« اول سوفيات للنواب العمال »** : « كانت مسألة التسلح

---

(٥١) نوفايا جيزن ، ٢٩ تشرين الاول (اوتوبر) ١٩٠٥ .

(٥٢) نوفايا جيزن ، أول كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٥ .

(٥٣)

تثير امتعاض السوفيات دائما تجـاه اللجنة التنفيذية ، والناخبين تجاه النواب . »(٥٤)

وبلغ الصراع بين خطي التكتيك ، البلشفي الثوري والمنشفي الانتهازي ، ذروته في الثالث من كانون الاول (ديسمبر) أثنـاء مناقشة السوفيات للاضرابالسياسي العام. فقد طالب البلشفيان ب. كنونيانتز و ب. كراسيكوف بتنظيم الاضراب السياسي فورا ، ثم تحويله فيما بعـد الى انتفاضة مسلحة . أيـد هذا الاقتراح النواب العمال لتجمعات فاسيلييفسكي ــ اوستروف وموسكوفسكي وكذلك ممثل نقابة مكاتب التلغراف . ووقف المناشفة والاشتراكيون ــ الثوريون ضد الانتفاضة المسلحة .

وأعلن تروتسكي الذي كان يرئس الجلسة ان بطرسبورج لا تستطيع الاضطلاع بالمبـادرة في هذا الاضراب ، وقـال انه في الوقت الحالي ، يجب تحضـير الاضراب السياسي ، ويجب على بطرسبورج ، حسب رأيه ، ان تتدخل بعـد المقاطعة(٥٥) . لقـد عبَّر خطابه عن الاضطراب والخوف من تصاعد الاحداث ، وخيانة مصالح الطبقة العاملة في بطرسبورج بالدرجة الاولى .

ان المسائل التي كان يدعى سوفيات النواب العمال لبحثها كانت تناقش اولا في اللجنة التنفيذية . وهذه الاخيرة تقترح والسوفيات يقرر ، هكذا يمكن تحديد العلاقة فيما بينهما . وبفعل سيطرة المناشفة على اللجنة التنفيذية ، لم تطرح مسائل التسلح وتحضير الانتفاضة ليناقشها السوفيات .

لقد جرّ الاضراب السياسي العام في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ ، حتى الفئات الاكثر تخلفا في الطبقة العاملة ، الى الحركة الثورية . ولم يمر ذلـك دون ان يؤثر على تركيب السوفياتـات ، وخاصة سوفيات بطرسبورج الذي كان يقلل بعض البلاشفة من اهميته . وقد خرقت قواعـد التمثيل الموضوعة في انتخابـات سوفيات بطرسبورج ، اذ أصر كل مصنع وكل شـركة ومحترف على ايجاد نائبه الخاص في السوفيات . وكانت النتيجة ان عمال

---

(٥٤) ب. رادين ، أول سوفيات للنواب العمال ، ص ٢٠ .

(٥٥) تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي، موسكو ١٩٦٦، مجلد ٢ ص١٢٧

المصانع الكبرى الذين يشكلون ٦٥٪ من كل عمال بطرسبورج ، والذين كانوا دعامة الحزب البلشفي ، لم يحصلوا في السوفيات الا على ٣٠٪ من الاصوات(٥٦) .

كانت الغالبية في السوفيات مؤلفة من عمال المؤسسات الصغيرة الذين كانوا يغذون اوهام المناشفة الذين كانوا يشيعون امكانية تطور الثورة السلمي . وكان في السوفيات ايضا ممثلون عن البورجوازية الصغيرة . وقد كان بيان ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) بالنسبة لهؤلاء ، ذروة « المكتسبات الثورية » . وكان عمال المصانع الصغيرة والعناصر البورجوازية الصغيرة ، المبتدئون السياسيون ، التربة الخصبة التي كان المناشفة ينشرون فيها سياستهم الانتهازية داخل السوفيات .

كانت الديماغوجية احدى وسائل المناشفة في السوفيات . فقد كانوا يقنعون تكتيكهم الانتهازي ومواقفهم التوفيقية بجمل تروتسكي البراقة المافوق ـ ثورية ، الذي كان قد أصبح رئيس السوفيات عمليا .

استوحى تروتسكي في سوفيات بطرسبورج من فكرة « الحكومة العمالية » التي يجب ان تكون في اساس نظرية « الثورة الدائمة » . فقد كتب : « ان فكرة حكومة عمالية ، اي استيلاء السوفيات العمالي على السلطة ، مع ان البرنامج لا يعترف بها ، هي ناتجة عن كل وضع السوفيات ، عن كل نشاطه . » واعتبر تروتسكي ان وسيلة النضال الرئيسية هي الاضراب العام الذي يجب ان يحدث صدى في البلدان المتطورة الغربية ، ويكون لها بمثابة اشارة للبدء بالثورة الاشتراكية . لقد أنكر تروتسكي في الحقيقة ضرورة الانتفاضة المسلحة وتحضيرها وتنظيمها ، وقال : « الاضراب السياسي العام ، هو في الجوهر انتفاضة . »

وكتب تروتسكي ، في احدى مقدمات كراسه **« قبل التاسع من كانون الثاني (يناير) »** ، انه بعد تجربة الحركة الاضرابية سنة

---

(٥٦) دراسات في تاريخ منظمة الـ ح.ش.ا.س في لينينغراد ، الجزء الأول ، لينينغراد ١٩٦٢ ، ص ١٧٤ .

(٥٦) ب. رادين ، أول سوفيات للنواب العمال ، ص ٧٧ .

١٩٠٣ توصل الى استنتــاج ان « القيصرية سوف تسقط تحت وطأة الاضراب العــام » وليس بواسطة الانتفاضة المسلحة . وقــد عبَّر تروتسكي عن نفس وجهة النظر هذه في رسالته الى اللجنة المركزية في الـ ح‌عادر بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) سنة ١٩٠٦ ، حيث ايد المناشفة الذين لم يهتموا بالجـانب التقني من تحضــير الانتفاضة ، والذين لم يسلحوا الطبقة العاملة .

وحاول تروتسكي فيما بعد ان يحدد الاضراب السياسي العام في تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٥ ، كحركة عفوية ، ونفى ان يكون هذا الاضراب شكلا ثوريا جديدا للنضال ، ووسيلة لانهاض الجماهير للانتفاضة المسلحة .

ان موقف تروتسكي من الانتفاضة ناتج عن تصورات المنــاشفة المعادية للماركسية فيما يتعلق بتطور العملية الثورية . فقد اعتبر تروتسكي ، مثل كل المناشفة ، الانتفاضة كنتيجة حتمية لتطور الاحداث العفوي . كما كان يؤكد عــدم ضرورة التنظيم العملي للانتفاضة ، وايجاد الاسلحة ، وخلق وحدات القتال الثورية . وقد أعلن : « مهما بلغت أهمية الاسلحة ، فهي ليست القوة الرئيسية . لا ، ليست الاسلحة ! ولا قدرة الجماهير على القتل ، وانما رغبتها بالتضحية بحياتها ، هذا هو ، حسب رأينا ، مــا يكفل انتصار الانتفاضة الشعبية في نهاية المطاف . »

بالطبع ، ان « رغبتها بالتضحية بحياتها » ، أي التضحية بدون حدود في سبيل الثورة هو شرط لا بد منه لانتصار الانتفاضة . لكن بالشكل الذي يعطيه ايــاه تروتسكي لا يمت بأية صلة الى موقف البلاشفة مــن الانتفاضة . فــآراء تروتسكي حــول الانتفاضة هي النقيض التام للانتفاضة المنظمة ؛ فهي تعبر عن موقف المناشفة من الطبقة العاملة التي ، حسب رأيهم ، لا تستطيع القيام بالدور القائد للثورة ، وانما فقط بدور ضحية الثورة التي تقودها البورجوازية . وتبين هذه الآراء ايضا تكتيك تروتسكي الانتهازي في السوفيات وخوفه من الانتفاضة الشعبية الرامية الى الاطاحة بالقيصرية .

لقد تجلت ، بمناسبات عديدة ، مواقف تروتسكي الانتهازية أثناء الثورة الروسية الاولى . وفي ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) سنة

١٩٠٥ ، وبناء على قرار لجنة الـ ح ع ادر في بطرسبورج ، نظم البلاشفة تظاهرة لعمال المدينة مطالبة باطلاق سراح المعتقلين السياسيين . وعندما وصل آلاف المتظاهرين الى مركز لجنة السوفيات التنفيذية ، اقترح البلاشفة على أعضاء اللجنة ان يسيروا على رأس التظاهرة . ففاجأ هذا الاقتراح المناشفة ؛ وبعد جدل طويل ، تم اقتراح المنشفيين تروتسكي وسفرتشكوف والبلشفي كنونيانتز لقيادة التظاهرة(٥٧) . لكن تروتسكي بذل كل امكانياته لافشال التظاهرة السياسية التي نظمها البلاشفة ؛ عندما، بعد تجوال دام ثمان ساعات في المدينة ، وجد المتظاهرون أنفسهم أمام السجن ، فأبلغهم تروتسكي هناك ان الحكومة قررت الافراج عن المعتقلين السياسيين ، وأرسل المتظاهرين الى منازلهم . علم كنونيانتز فيما بعد ، ان تصريح تروتسكي كان استفزازا ، ولكن الوقت قد فات لمداواة الوضع .

هكذا ، فمسؤولية فشل تظاهرة ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) تقع على عاتق تروتسكي . فقد منع موقفه المراوغ عمال بطرسبورج من تحرير المعتقلين السياسيين . وبعد ذلك ، بدأت الحكومة تستخدم القوات المسلحة ضد العمال ، فانتشرت موجة القمع في كل روسيا . وقبل مرور شهر على نشر بيان ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ، قتل اكثر من اربعة آلاف وجرح اكثر من عشرة آلاف شخص . تلك كانت « الحرية » التي اعلنها القيصر .

في تلك المرحلة ، شدد بلاشفة بطرسبورج من نضالهم من اجل التطبيق الثوري لشعار يوم العمل من ثمان ساعات ، والذي كان قد وضعه المؤتمر الثالث للـ ح ع ادر . وفي تشرين الاول (اكتوبر) ـ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٥ ، اتخذ النضال من اجل تحديد يوم العمل بثمان ساعات طابعا جماهيريا .

وفي ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ، تبنى سوفيات النواب العمال قرارا حول ادخال يوم العمل من ثماني ساعات ، بشكل ثوري في كل المصانع والمنشآت . وكما يشير كنونيانتز : « تكلم النواب العمال وحدهم في الجلسة »(٥٨) وبلغ حماس العمال درجة

---

(٥٧) ازفستيا سوفيات النواب العمال ، ٢٠ تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٩٠٥ .

فرضت على اللجنة التنفيذية المنشفية تأييد الاقتراح . وكتب كنونيانتز : « لو ان السوفيات يرفض اقرار ادخال يوم العمل من ثمان ساعات لتزعزعت مكانته بشكل قوي . فقد حسمت المسألة مسبقا باتجاه ايجابي . »(٥٩)

وطبق عفويا ، في ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ، يوم العمل من ثمان ساعات في كافة مصانع ومنشآت بطرسبورج . وكتبت الصحيفة البلشفية « نوفايا جيزن » كان هذا الحدث عاملا « يستحق ان يسجل ، ليس في سجلات الحركة العمالية الروسية فحسب ، بل والعالمية ايضا . »(٦٠)

اصطدم تحديد يوم العمل بثمان ساعات بمعارضة شرسة من قبل أصحاب المصانع الذين بدءوا باقفال مؤسساتهم . وما ان بدأت المصاعب تجابه قرار السوفيات هذا حتى بدأت تظهر الترددات لدى القيادة المنشفية . وكانت هذه ، قد سبق لها وخطت في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) خطوتها الاولى الى الوراء معلنة انه : « لتطبيق هذا الاجراء (اي ادخال يوم العمل من ثمان ساعات) يجب ان تكون جماهير العمال في بطرسبورج وفي روسيا عامة منظمة بالضرورة في نقابات »(٦١) . تدخت الحكومة ، في نفس الوقت ، لمساعدة اصحاب المصانع فأعلنت اقفالها . رمي حوالي مائة الف عامل في الشارع ، وعزز هذا الاجراء ، تراجع اللجنة التنفيذية المنشفية في سوفيات بطرسبورج . وفي ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) وعلى اثر مداولات صاخبة ، قرر السوفيات وقف النضال من اجل تحديد يوم العمل بثمان ساعات ، ودافع عن هذا القرار الذي اقترحته اللجنة التنفيذية ، تروتسكي وخروستاليف(٦٢) .

اقترح تروتسكي ، في اليوم التالي ، فتح مفاوضات مع وزير الدفاع واصحاب المصانع حول شروط اعادة فتح المصانع . وكانت

---

(٥٩) ب. رادين ، أول سوفيات للنواب العمال ، ص ٧٥ .

(٦٠) نوفايا جيزن ، ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥ .

(٦٢) راجع الارشيف المركزي التاريخي للينينغراد ، مستودع ٨٥٧ قسم ١ رقم ١١٧٦ ، ١٩٥٥ ورقة ٨٠ على الوجهين .

كل تصرفات القيادة التروتسكية ـ المنشفية في سوفيات بطرسبورج ، تشير الى سيرها في طريق الاتفاق المباشر مع البورجوازية .

وفي ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ، تكلم لينين في اجتماع سوفيات بطرسبورج . وكتب م. ايسن :« بقي كل من في الصالة دون حراك . وملأ النفس الثوري الحقيقي قاعة الاجتماعات فكأن جدرانها الضيقة قد تراجعت ، وظهر امام اعيننا عالم الآفاق الثورية اللامتناهي . لقد هبت رياح الكومونة . »(٦٣)

وأوضح لينين المعنى السياسي لتكتيك الحكومة التي أرادت تسديد ضربة للطبقة العاملة من خلال ايقاف العمل . وقال لينين : ان ما يجب عمله ، ليس التوسل ، بل فرض اعادة فتح المصانع ، وفي حال الرفض ، دعوة بروليتاريي بتروغراد للاضراب العام . واقترح لينين عدم الخضوع للتحديات ، انما تعزيز التحضير من اجل جمع كل العناصر الثورية ، وخوض المعركة عندما تصبح لصالح الشعب وليس لصالح الحكومة. ومن اجل تحضير الانتفاضة يجب الاتصال مباشرة بعمال المدن الاخرى ، وبنقابات سكك الحديد والبرق والهاتف وغيرها ، وبالفلاحين والجيش والاسطول .. وأقر اقتراح لينين بالاجماع .

اما قيادة السوفيات المنشفية ، فقد كانت تتابع محادثاتها مع اصحاب المصانع ، الامر الذي أثار احتجاجات عنيفة بين عمال بطرسبورج . وقد قدمت مجموعة من نواب عمال مصانع نيفسكي قرارا الى السوفيات يحض العمال على متابعة نضالهم ضد اصحاب المصانع(٦٤) . وعبَّر عمال مصنع ليسنر في قرارهم عن « الرغبة الحازمة لمتابعة النضال عند اول نداء من الـ ح‌عادر ومن سوفيات النواب العمال . »(٦٥)

أظهر النضال من أجل تحديد يوم العمل من ثمان ساعات ، مدى توافق شعار البلاشفة مع المصالح الحيوية للطبقة العاملة .

---

(٦٣) م. ايسن ، لقاءاتي مع لينين ، موسكو ١٩٦٦ ، ص ٢٤ .

(٦٤) نوفايا جيزن ، ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥ .

(٦٥) نوفايا جيزن ، ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥ .

وفي نفس الوقت ، أكد مجرى الاحداث ان النضال من اجل يوم عمل من ثمان ساعات كان يستلزم بالضرورة تنظيما متزايدا للبروليتاريا ، وانها كانت مرتبطة بتطور الثورة الناجح .

ان برنامج التحضير للمعركة الحاسمة ضد الاوتوقراطية ، والذي اقترحه لينين ، لم ينعكس على سلوك سوفيات بطرسبورج لأن قيادته المنشفية كانت تريد اضعاف اتساع الحركة واقتصار نشاط السوفيات على الاطار الضيق للادارة ــ الذاتية المحلية ، وعزل الطبقة العاملة عن حلفائها . لهذه الاسباب ، لم يعط السوفيات الاهتمام الوافي لنهوض حركة الفلاحين ولم يأخذ أية مبادرة لكسب دعمهم .

ان قرار سحب الجنود من المدينة الذي اتخذ في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) باقتراح من تروتسكي يبين حقيقة موقف القادة المناشفة ــ التروتسكيين في سوفيات بطرسبورج(٦٦) من الجيش . لقد حرم هذا الاجراء الخاطىء بروليتاريا العاصمة من امكانية الاعتماد على جماهير الجنود في نضالها الثوري .

لقد اتخذ تروتسكي وقادة اللجنة التنفيذية الآخرون ، سلسلة اجراءات تهدف الى افشال اضراب تشرين الثاني (نوفمبر) الذي كان قد اتسع ليشمل حتى فئات عمالية لم تضرب في تشرين الاول (اكتوبر) . ففي ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) حيث بلغ الاضراب ذروته ، قدمت اللجنة التنفيذية المنشفية اقتراحا استسلاميا لايقافه ، فرفض النواب العمال حتى النظر بهذا الاقتراح . وعاد المناشفة في اليوم التالي الى محاولة فرض قرار ايقاف الاضراب على السوفيات ، لكن السوفيات قرر متابعة الاضراب السياسي بأكثرية اربعمائة صوت مقابل اربعة . وكرر تروتسكي المحاولة في ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) واقترح ايقاف الاضراب من جديد ونجح المناشفة باقراره بالانتخاب .

يبرهن ذلك مرة اخرى ان المناشفة لم يربطوا ، بالانتفاضة المسلحة ، اضراب تشرين الثاني (نوفمبر) اكثر من ربطهم اضراب

---

(٦٦) بلاشفة بطرسبورج في الثورة الروسية الاولى ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ ، لينينغراد ١٩٥٦ ، ص ١٩٠ .

تشرين الاول (اكتوبر) .

وانتهى اضراب بطرسبورج في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) . وكان قد أظهر قوة وروح التنظيم عند البروليتاريا التي أرغمت الحكومة على الغاء الاحكام الصادرة بحق بحارة « كرونستادت » المتمردين ، وكذلك الغاء القانون العرفي في بولونيا . الا ان الثورة المضادة بالمقابل ، كانت تستجمع قواها باتجاه الهجوم على السوفيات في بطرسبورج ، فاعتقل رئيسه خروستاليف في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) .

وفي اجتماع اللجنة التنفيذية ، الذي عقد في نفس اليوم في مقر سري ، وبحضور لينين ، اتخذ القرار تحت ضغط البلاشفة ، بمتابعة التحضير للانتفاضة . وفي ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) في الاجتماع الموسع للسوفيات ، تمّ انتخاب مكتب من ثلاثة أعضاء ـ تروتسكي ، سفيرتشكوف وزليدنيف ـ للحلول محل الرئيس المعتقل .

بعد ذلك بوقت قصير، وبمبادرة من تروتسكي، اتخذ السوفيات قرارا يعيد بموجبه سلطاته الى اللجنة التنفيذية الموسعة(٦٧) . وقد قال فيما بعد ، ج. كوندراسييف احد أعضاء اللجنة : « اصبح اعضاء اللجنة التنفيذية اكثر فأكثر ميوعة وترددا . »(٦٨)

في ٣ كانون الاول (ديسمبر) انعقد آخر اجتماع للجنة التنفيذية ولسوفيات النواب العمال . وعلم ، اثناء الجلسة ، ان الحكومة تنوي اعتقال أعضاء السوفيات . وبدلا من رفع الجلسة فورا ، استمر تروتسكي في المماحكة حتى سلم الحضور عمليا للشرطة(٦٩) . اعتقل عدد كبير من أعضاء السوفيات واللجنة التنفيذية ، فكانت تلك ضربة قاسية لبروليتاريا العاصمة . فتفاقم الوضع في كل البلاد .

بعد اعتقال معظم أعضاء السوفيات الاول في بطرسبورج ، عاد

(٦٧) نوفايا جيزن ، ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥ .

(٦٨) أرشيف الحزب في لينينغراد مستودع ٤٠٠٠ قسم ٥ رقم ٨٥٦ ورقة ١٢ على الوجهين .

(٦٩) تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، ج٢ ، ص ١٢٧ .

العمال فانتخبوا نوابا جددا . لكن قيادة السوفيات الجديد كانت تضم مناشفة ايضا ، فعاش حتى ٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٦ . ثم اعتقل أعضاؤه ايضا .

هكذا ، لم يصبح سوفيات النواب العمال في بطرسبورج جهاز الانتفاضة المسلحة ، لأن تروتسكي وسواه من القادة البورجوازيين الصغار الذين تغلغلوا الى قيادته ، منعوه من ان يصير قيادة الاركان الثورية لبروليتاريا المدينة . وكانت نتيجة النشاط الانتهازي للمناشفة في السوفيات منع بروليتاريا العاصمة من دعم انتفاضة موسكو المسلحة في شهر كانون الاول (ديسمبر) .

ان نشاط تروتسكي في سوفيات بطرسبورج يدحض كليا ادعاءات مزيفي التاريخ القائلة بأن تروتسكي كان يسير جنبا الى جنب مع البلاشفة في الثورة الروسية الاولى . وتؤكد الوقائع ان تروتسكي لم يطبق الخط الطبقي البروليتاري ، وان تكتيكه الانتهازي كان يبغي الوصول الى المصالحة مع البورجوازية ، والى تحويل السوفيات من جهاز نضال ثوري للشعب الى جهاز ادارة ذاتية محلية خاضعة لأوامر الحكومة .

* * *

ان الثورة الروسية الاولى التي زعزعت كل طبقات المجتمع الروسي، قد أخضعت للتجربة العملية برامج وتكتيك كافة الاحزاب والفئات والتيارات . وخرج الحزب البلشفي وحده منها شريفا ، لأنه الحزب الوحيد المسلح باستراتيجية وتكتيك أثبت مسار الثورة صحتهما .

وقد كتب لينين قال : « حكمت الثورة ايضا **لصالح** عملنا الاشتراكي ــ الديمقراطي ، لصالح أملنا وايماننا بفكر البروليتاريا الثوري الاصيل . »(٧٠)

وأظهر التطبيق العملي لستراتيجية وتكتيك البلاشفة ، وهن الموضوعات التروتسكية حول المسائل الاساسية في الثورة . وقد

---

(٧٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٠ ص ٢٤ ــ ٢٥ .

دحضت تجربة ثورة ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ ، هذيان تروتسكي ومارتوف حول طابعها ، وأظهرت خطأ تأكيداتهم عن تأخر وغياب النضج السياسي عند البروليتاريا وأكدت فكرة لينين القائلة بأن البروليتاريا قوية ليس بعددها فحسب انما بتنظيمها ووعيها وتلاحمها مع طليعتها الحزب البلشفي ، وبأمانتها للماركسية .

وبرزت البروليتاريا الروسية ، للمرة الاولى ، في ثورة ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ ، كقائدة ومنظمة لنضال الشعب بأسره من اجل الديمقراطية والاشتراكية . وكتب لينين بصدد دور البروليتاريا القيادي في الثورة ، قال : « كل الانتصارات ــ او بالاحرى انصاف الانتصارات وأرباع الانتصارات ــ التي حققتها ثورتنا ، تعود كلها ، فقط ، للضغط الثوري المباشر للبروليتاريا السائرة في قيادة العناصر غير البروليتارية من جماهير الشغيلة . »(٧١)

لقد رفضت تجربة الثورة موضوعة تروتسكي عن حتمية سيطرة البورجوازية في الثورة الديمقراطية البورجوازية ، وأكدت نظرية لينين عن هيمنة البروليتاريا على هذه الثورة ، وعن تحالف البروليتاريا والفلاحين كشرط لا بد منه لاسقاط القيصرية والرأسمالية .

في ثورة سنة ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ ، تمرس الحزب البلشفي على فن القيادة المباشرة للجماهير في مسار النضال الثوري ، واكتسب خبرة غنية في العمل السياسي والتنظيمي بين الجماهير ، فوسع وعزز علاقته بها وتأثيره عليها . وقد كتب لينين : « وجماهير العمال ، كما اعترف بذلك المناشفة بالذات في أكثر من مرة ، تبعث البلاشفة أثناء الثورة في كل التحركات الهامة . »(٧٢)

وأثبتت طريقة حدوث الثورة ان الحزب الماركسي الثوري وحده ، كحزب من طراز جديد ، هو المؤهل لقيادة وتنظيم وتوجيه الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة ، وهو المؤهل الوحيد لقيادتها نحو

---

(٧١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٥ ص ٤٨ .
(٧٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٣٤٤ .

الانتصار على القيصرية والراسمالية . ان تجربة قيادة الجماهير ، التي اكتسبها الحزب البلشفي في السنوات التي سبقت الثورة الاولى ، واثناء الثورة بالذات ، قد ساعدت نضاله من اجل انتصار الثورة الديمقراطية البورجوازية وثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى .

الفصل الثالث

نضال الحزب البلشفي ضد وسطية تروتسكي في سنوات الردة

لينين يفضح انتهـازية النصفويين والاوتزوفيين والتروتسكيين والتوفيقيين

بعـد ان سحقت ثـورة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ ، أنزلت القيصرية بالثوريـين أعنف انـواع القمع . وتفشى الارهـاب العسـكري والبوليسي في روسيا، واجتاحت البلاد ظلمات رجعية ستوليبين. وكتب لينين قال : « يبيدون الثوريين وينكلون بهم ويدفعونهم الى الاستشهاد اكثر من اي وقت مضى ، ويجهدون لتعرية الثورة والحط منها وتحقيرها واستئصالها من ذاكرة الشعب . »(١)

وقد شنت الاوتوقراطية في البدء هجومها على حزب الطبقة العاملة ، فتضاءل عدد عناصره فجأة . وزالت منه منظمات عديدة . قتل الالوف من الحزبيين ، وزج الآخرون في السجون او نفيوا ، واضطر لينين للهجرة الى سويسرا ومنها انتقل الى فرنسا فيما بعد.

لكن ، بالرغم مـن تنكيل الشرطة السياسية القيصرية ، لـم تتوصل الى هدم الحزب. وتابعت المنظمات الحزبية، التي انخرطت في النضال السري العميق ، نضالها بقوة وحزم ؛ وبالرغم من كل المصاعب ، كان لينين يعلّم البـلاشفة لتجميع قواهـم ، وتوثيق صلاتهم بالجماهير ، والتأهب لمعارك جديدة . لقـد كان ايمـانه راسخا بقدرات الطبقة العاملة الثورية ، وبقرب حـدوث ثورة جديـدة .

وقـدّر البلاشفة ان التحولات الديمقراطية البورجوازية في روسيا لم تنته بعد ، ولذلك ، فان ثورة جديـدة سوف تحـدث

---

(١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٦ ص ١٥٥ .

حتما . ومن هنا ، بقي برنامج الحزب الستراتيجي دون تغيير : تصفية القيصرية ، واقامة الثورة الديمقراطية البورجوازية حتى النهاية ، وخلق الشروط لتحويلها الى ثورة اشتراكية . ولكنه لم يكن ممكنا بقاء خط تكتيك البلاشفة كما هو . أثناء الثورة ، دعا الحزب الجماهير للهجوم بحزم على القيصرية ، بينما كان يعلّم البروليتاريا في سنوات الردة فن التراجع وتحضير القوى من أجل ضرب الخصم مجددا .

واصبحت مهمة الحزب المحورية تنظيم وتربية البروليتاريا والجماهير الكادحة وتحضيرها لثورة جديدة . وجمع الحزب بمهارة العمل العلني والسري بين الجماهير ، مستفيدا الى أبعد حد ، من النقابات والتعاونيات ومن تجمعات العمال ودوما الدولة الرجعية . ولوضع هذا التكتيك في حيز التطبيق ، كان ينبغي الحفاظ على الحزب البروليتاري السري وتعزيزه . وقد كتب لينين : « يجب الحفاظ على الحزب السري وتقويته ، تماما كما قبل الثورة . يجب ان نحضر الجماهير باستمرار لأزمة ثورية جديدة كما في السنوات ١٨٨٧ – ١٩٠٣ ، يجب ان نقوي العلاقات بين الحزب والجماهير بكافة الوسائل ، وان نطور ونستخدم كل المؤسسات العمالية الممكنة في سبيل أهداف الاشتراكية ... »(٢)

هكذا ، وتحت ضغط الردة الرجعية ، تراجع البلاشفة بنظام ، وشرعوا بتحضير قواهم بنجاح لمواجهة المعارك الجديدة . اما المناشفة ، فقد لعبوا في هذه المرحلة ، دورهم كعملاء للبورجوازية في الحركة العمالية ، وكتصفويين لسياسة حزب الطبقة العاملة . وقد أصاب الرعب المناشفة ، فوصلوا في تنكرهم لكل الشعارات الثورية الى حد القول بأنه لا يجب حتى التفكير بثورة جديدة في روسيا ، ومارسوا سياسة مصالحة مع نظام ستوليبين الرجعي وطالبوا بوضع حد للنشاط الثوري السري وتصفية منظمات الحزب السرية .

تحولت انتهازية المناشفة الى فكر تصفوي . وكان للمناشفة التصفويين مركزان ، واحد في الخارج وآخر في روسيا . فتكتل

---

(٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس – موسكو ، مجلد ١٦ ص ٣٠ .

تصفويو الخارج حول صحيفة « غولوس سوتسيال ــ ديموكراتا »(٣) بينما تجمع التصفويون الروس حول صحيفة « فوزروجدينييه » و « ناشازاريا » و « ديلوجيزني » . وكان قادة هؤلاء التصفويين ، ا. بوترسوف و ب. أكسلرود و ف. دان (جورفيتش) و أ. مارتينوف (بيكر) ، و ا. مارتوف (تسيدربوم) و ن. تشيريفانين (ف. ليبكين) و ن. جوردانيا ، الخ ...

واعاد التصفويون النظر علنا في برنامج ومبادىء تنظيم وتكتيك الاشتراكية ــ الديمقراطية الثورية . وحاولوا ان يفرضوا خلق حزب اصلاحي عن طريق دعوة الطبقة العاملة ، للقيام بالنضال الاصلاحي ضمن اطار نظام ستوليبين ، او كما قال لينين : « حزب عمالي سولتيبيني » . وفي ربيع سنة ١٩٠٨ ، سعى المناشفة في موسكو وبطرسبورج الى تصفية منظمات الحزب السرية ، واستبدالها بتجمعات سميت بتجمعات « المبادرة » كانت مهمتها الاساسية العمل الثقافي والتعاوني وتنظيم الاندية . وفي تموز (يوليو) ١٩٠٨ ، طالب المنشفيان ا. مارتينوف و ب. غولدمان بضرورة تصفية اللجنة المركزية للحزب واستبدالها ب « مكتب استعلامات » . تشهد كل هذه الاحداث على ان القضية لم تكن مجرد اختلافات شخصية طفيفة ، بل هي قضية مصائر حزب الطبقة العاملة الماركسي ومصير الثورة في روسيا .

وهكذا كان التصفويون أخطر أعداء الاشتراكية ــ الديمقراطية الثورية . وقد كتب لينين ان « ... التصفويين ليسوا انتهازيين فقط (كمثل برونشتاين وأضرابه) ، وانما يتمسكون باقامة حزب **مختلف** ، وشعارهم الذي يتبنونه هو **عدم** وجود الـ حعادر ، وانهم لا يعتبرون أي قرار من مقررات الحزب . »(٤)

وحاولت البورجوازية اخضاع الحركة العمالية ، بمساعدة التصفويين ، والراية التي كان ينشط التصفويون في ظلها هي راية البورجوازية الليبرالية ، وقد قال لينين : « ... كلما «انتشرت» ، كلما اتضح لكل واحد منا ان أمامنا خرقة ليبرالية قذرة وبالية »(٥)

---

(٣) غالبا ما سمي اعضاء هذا التكتل « غولوسوفتسي » .

(٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٢٢٨ .

وكان انتصار التيار التصفوي في الحركة العمالية يعني نهاية الحزب البروليتاري ؛ فلكي ينمو الحزب ، كان عليه ان يحطم التصفويين .

عارض الانتهازيون « اليساريون » كل أشكال نضال البلاشفة ضد التصفويين ؛ وهؤلاء هم جماعة الاوتزوفيين التي تشكلت داخل البلاشفة في ربيع سنة ١٩٠٨ ، ومن بينهم ا. بوغدانوف (ماكسيموف) و ج. ألكسينسكي و أ. سوكولوف (فولسكي) و أ. لوناتشارسكي و م. بوكروفسكي و م. ليادوف (ماندلستام) ... الخ . وقد رفض الاوتزوفيون أخذ الواقع بعين الاعتبار ونادوا بالتحرك الثوري لأنهم يريدون العمل في المؤسسات الشرعية العلنية ، كما طالبوا بسحب النواب البلاشفة من دوما الدولة .

ان السياسة التي اقترحها الاوتزوفيون كانت تؤدي الى عزل الحزب عن الجماهير وتحويله الى طائفة . وقد قال فيهم لينين : « تصفويون بشكل معاكس » ، وكتب : « **ليست** الاوتزوفية بلشفية بل هي اسوأ أشكال الكاريكاتور السياسي التي يمكن ان يتصورها اسوأ أعدائها . »(٦)

بعد المناشفة ، نادى ا. بوغدانوف واوتزوفيون آخرون باعادة النظر بالمادية الديالكتيكية . وراحوا يبشرون بفلسفة ماخ الرجعية التي تنفي الفكر الطبقي في العلم الفلسفي وتدفع الجماهير الى الركود . وشارك الاوتزوفيون في آرائهم ، ل. كامينييف و م. تومسكي و أ. ريكوف الذين اتخذوا مواقف توفيقية في سنوات الردة . وأكد كامينييف ان فلسفة بوغدانوف تحمل « طابعا ثوريا بروليتاريا » . وقد كتب في أول نسخة من رسالته الى بوغدانوف في ٢٦ ايار (مايو) سنة ١٩٠٨ ، قال : « ... اذا ... اشترطوا علي : كي نعمل معا سياسيا يجب أن تؤيد كل حملاتنا ضد أخصامنا **الفلسفيين** ... بالطبع لن يبقى شيء بالنسبة لي في نضال هذه التجمعات غير الابتعاد عن هذا النضال . »(٧)

---

(٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٣٢٦ .
(٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٥ ص ٣٨٣ .
(٧) بود زنامينيم ماركسيسما ، ١٩٣٢ ، العددان ٩ و ١٠ ص ٢٠٣ .

ونادى كامينييف بألا تقتصر صحيفة « سوسيال ديموكرات » ، جريدة الحزب المركزية، على نشر مقالات مؤيدي المادية الديالكتيكية وحدها ، بل يجب ان تنشر ايضا مقالات معارضيها . أما تومسكي ، فقد كان من معارضي كل فلسفة : « لا اشعر بأي ميل نحو الفلسفة ؛ في الفلسفة هروب من الحياة الواقعية . »(٨)

ان نشر مثل هذه الآراء كان خطرا مضرا بالحزب ، وخلق التشكيك بالنظرة الماركسية للعالم يلعب لعبة أعدائها ، فاقتضت مصالح الحزب الذي كان يبني سياسته على الاساس العلمي للماركسية المادية ان تدافع عن المفاهيم الماركسية .

وأصبح الدفاع عن الماركسية الثورية شعار الحزب النضالي اليومي . وفي ايار (مايو) سنة ١٩٠٩ ، ظهر كتاب لينين **« المادية والمذهب النقدي التجريبي »** الذي كان نموذجا عن الفكر الماركسي. ولم يكتف لينين في هذا المؤلف بالدفاع ، بل طور ايضا المادية الديالكتيكية والتاريخية لماركس وانجاز . وأبرز لينين الطابع الرجعي لمثالية ماخ ، وفكر الفلسفة الحزبي ، والعلاقة الوثيقة بين الفلسفة ونضال الطبقة العاملة الثوري . ورد لينين في مؤلفه على الاسئلة المعقدة للنظرة الماركسية للعالم ، فلعب هذا المؤلف دورا ، من الدرجة الاولى ، في التربية النظرية لكادرات الحزب .

وناصر لينين في نضاله ضد الانتهازية ف. فوروفسكي و ك. فوروسيلوف و ب. دجاباريدزيه و م. كالينين و ف. كويبيشييف ر ج. اوجونيكيدزيه ، و ج. بتروفسكي و ي. سفردلوف و ن. سيماشكو و أ. ستاسوفا و س. سبانداريان و ج. ستالين و س. شاوميان ، ومناضلون آخرون من الحزب البلشفي . وخاضوا نضالا عنيفا ضد تصفويي اليمين و « اليسار » داخل منظمات الحزب في روسيا ، كما ناضل بحزم بلاشفة بطرسبورج وموسكو وكييف ونيكولاييف وخاركوف وباكو ومدن أخرى ، للحفاظ على الحزب البروليتاري السري .

وشكل الكونفرونس الخامس (لعامة روسيا) لل ح ع أ د ر ، الذي عقد في باريس في كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٠٨ ، انعطافا

---

(٨) محاضر الكونفرونس الموسع لهيئة تحرير البروليتارين ، موسكو ١٩٣٤ ص١٢١

في تاريخ الحركة العمالية الروسية . وفي هذا الكونفرونس ، تمثلت أكبر منظمات الحزب وبقي المناشفة معزولين . وأشارت جريدة **البروليتاري** الى ان المنشفية لم تظهر حتى الآن « اقل عجزا من الناحية الايديولوجية ، وأقل ضعفا من ناحية التنظيم ... »(٩) في كونفرونسات الحزب .

وكان تقرير لينين « حول المرحلة الراهنة ومهام الحزب » محور أعمال الكونفرونس . وقد أشار الكونفرونس في قراره حول التقرير الى ان الاسباب الاقتصادية والسياسية الرئيسية التي سببت الثورة الروسية الاولى ما زالت تمارس تأثيرها ، وان انفجارا ثوريا جديدا هو حتمي . وستكون الثورة الجديدة ديمقراطية – بورجوازية وتتحقق بقيادة البروليتاريا مع أقرب حلفائها ، الفلاحين . وبالتالي ، تكون المهمة الحزبية الرئيسية كما في السابق ، تعزيز تحالف البروليتاريا مع الفلاحين ، وتحضير الجماهير لمواجهة هجمة الاوتوقراطية . ويجب من اجل ذلك تفسير أهمية ومعنى السياسة القيصرية للجماهير ، والدراسة بعمق ، ونشر دراسة تجربة ثورة ١٩٠٥ – ١٩٠٧ واستعمال منبر الدوما في سبيل الدعاية والتحريض الثوريين . وهكذا ، فقد حدد الكونفرونس الخامس الخط التكتيكي للحزب في ظل ظروف الردة الرجعية .

وكان المناشفة أعجز من ان يعارضوا اي قرار للبلاشفة . ونقرأ في مقال عن المؤتمر انهم « عبّروا عن بلبلة تامة وجبن في التفكير حول كل هذه المسائل الاساسية حاليا بالنسبة للحزب . وبكل بساطة ، لم تكن لديهم أية وجهة نظر في هذا الموضوع . »(١٠)

وأدان الكونفرونس بقساوة التيار التصفوي ، كما تخلى عن الاوتزوفيين ، وبعد ان اعترف بصحة خط اللجنة المركزية السياسي ، خوّلها في المستقبل متابعة « السهر على تكامل ووحدة الحزب ، وخوض النضال ضد الاتجاهات الفوضوية في

---

(٩) بروليتاري ، ١٢ شباط (فبراير) ١٩٠٩ .

(١٠) الـ ح ش ا س ، في الوثائق والمقررات ... ج ١ ، ص ١٩٥ .

داخله ... »(١١) وأشارت وثائق الكونفرونس الى ان أساس الحزب يقوم على التنظيم السري الذي يستخدم كل الوسائل غير القانونية ، وكذلك الوسائل الشرعية القليلة من أجل الاتصال بالجماهير . ودعا الكونفرونس كل منظمات الحزب لخوض نضال عنيف ضد التصفويين من أجل الحفاظ وتعزيز الحزب البروليتاري السري ، طليعة البروليتاريا وكافة القوى الثورية .

وكرست مقررات الكونفرونس الاساليب التكتيكية التي اعتمدها الحزب حتى ثورة شباط (فبراير) الديمقراطية البورجوازية . وفي سنوات الردة ، أقلمت منظمات الحزب نشاطاتها مع هذه المقررات ، وخاضت نضالها ضد الانتهازيين .

ولم يتفاقم خطر التيار التصفوي بالنسبة للبلاشفة فحسب ، بل تعداهم الى قسم من أنصار المناشفة ايضا ، وبالاخص بين صفوف العمال . ومنذ نهاية سنة ١٩٠٨ لوحظ تباين داخل المناشفة ، حيث انفصلت مجموعات من المناشفة الموالين للحزب الذين أعلنوا تقاربهم من البلاشفة بقصد الحفاظ على حزب الطبقة العاملة الثوري السري .

ورئس ج. بليخانوف تجمع المناشفة الموالين للحزب ؛ وأدان التصفويين بعنف لمحاولاتهم هدم الحزب ؛ وأشار الى ان التيار التصفوي لا يمكن ان يؤدي الا الى مستنقع الانتهازية . وكتب بليخانوف : « لن يؤدي هدم الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي الى الحكم بالاشغال الشاقة طبعا ، ولكنه يساوي وساما يعلّق فوق الصدر ، او في الرقبة ، او في مكان آخر . »(١٢) وفي الوقت الذي كان يدعم فيه البلاشفة في مسائل التنظيم ، لم يقطع ليخانوف العلاقة مع المناشفة في قضايا نظرية وتكتيك النضال الثوري . فقد كتب : « انا أنظر الى تقارب مشترك وليس الى انتقال المناشفة الى مواقع البلاشفة ... »(١٣)

وبالرغم من ترددات بليخانوف ، رأى لينين انه من أجل تعزيز

---

(١١) الـ ح ش أ س . في الوثائق والمقررات ... ج ١ ص ١٩٥ .

(١٢) ج. بليخانوف ، المؤلفات ، ج ١٩ ، ص ٣٧ .

(١٣) نفس المصدر ، ص ٢٣ .

الحزب السري ، وجمع كل عناصر الحزب ضد التصفويين ، كان على البلاشفة ان يقيموا حلفا معه ، وهذا ما أسهم في انتزاع بعض العمال الذين كانوا يتبعونه ، من تحت تأثير المناشفة ، بالاضافة الى ان هذا التكتل قد عزّز مواقع البلاشفة دون ان يمس الاسس التنظيمية والسياسية البلشفية . وقام التكتل مع مؤيدي بليخانوف ك « اتفاق على اساس نضال من اجل الحزب ، ومن أجل فكر الحزب ضد الاتجاه التصفوي ، دون اي مساومة ايديولوجية ، ودون اي اخفاء للخلافات التكتيكية او سواها ضمن حدود خط الحزب . »(١٤)

ومن اجل تعزيز تكتل البلاشفة مع المناشفة ، والعمل بمقررات الكونفرونس الخامس لل ح‌ع‌ادر ، كان يجب وضع حد لأعمال الاوتزوفيين الهدامة ، وكان ملحا تخليص الحزب من الثوريين المزيفين . هذا ما حصل في الكونفرونس الموسع لهيئة تحرير جريدة بروليتاري الذي عقد في باريس في حزيران (يونيو) سنة ١٩٠٩ . وقد قاد لينين أعماله ، فكان في الواقع اجتماعا موسعا لمركز البلاشفة .

وأدان الكونفرونس الاوتزوفيين والانذاريين ، ودعا البلاشفة الى المعارضة العنيفة ضد هذه الانحرافات الماركسية الثورية(١٥) . وفصل الكونفرونس من صفوف الحزب البلشفي القائد الاوتزوفي ا. بوغدانوف . وبمقابل عمليات الحسم التنظيمي مع الاوتزوفيين ، دعا لينين البلاشفة للتصرف بحذر تجاه العمال الذين ما زالوا يتأثرون بالآراء الاوتزوفية ، كما قال بمساعدتهم على تخطي اخطائهم من خلال التوعية والتوضيح الطويل الامد .

واعترف الكونفرونس بصحة تكتيك التقارب مع المناشفة الموالين للحزب ، وأدان نشر الاوتزوفيين لفلسفة ماخ . وجاء في القرار « حول الجريدة المركزية » : « ان على ممثلي هيئة التحرير الموسعة في الجريدة المركزية ، ان يتخذوا في المسائل الفلسفية

---

(١٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٦ ص ١٠٣ .

(١٥) الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، في الحلول والمقررات ، القسم الاول ص ٢٢١ .

ـ اذا ما طرحت ـ الموقف المحدد لمادية ماركس وانجلز الديالكتيكية . »(١٦) وصوّت تومسكي ضد هذا القرار ، كما امتنع كامينييف وريكوف عن التصويت .

كان لكونفرونس هيئة تحرير « بروليتاري » الموسع أهمية عامة بالنسبة للحزب . فقد حدد المفاهيم الرئيسية للحزب البلشفي ، ووجه ضربة للتصفويين والاوتزوفيين .

وحاول الاوتزوفيون افشال مقررات الكونفرونس ، لكنهم واجهوا معارضة عنيفة من منظمات الحزب المحلية .

وأسس الاوتزوفيون المطرودون من الحزب البلشفي مدرسة انقسامية في كابري دعوا اليها عمالا من روسيا ، كما اسسوا في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٩ تجمعهم المعادي للحزب ، «فبيريود» الذي بالتعاون مع التصفويين شرع بمهاجمة حزب لينين . وقد فضح لينين طبيعة سلوك الاوتزوفيين المعادي للحزب ودعا البلاشفة لمواجهتهم بصلابة . وكتب الى ليوبيموف : « الآن ، ليس أضر من وضع القفازات . قطيعة شاملة ، وحرب اشد ضراوة من الحرب مع المناشفة . »(١٧)

وبينما كان البلاشفة وعلى رأسهم لينين يخوضون نضالا ضاريا ضد التصفويين والاوتزوفيين في سبيل الحفاظ على الحزب الثوري البروليتاري ، اتخذ تجمع تروتسكي الوسطي ، الذي كان يبشر « بنظرية » التعايش السلمي في حزب واحد بين الثوريين والانتهازيين ، اتخذ الدفاع عن التصفويين في هذه الحملة . قال م. سوسلوف ، سكرتير اللجنة المركزية في الـ ح‌ش‌ا‌س ، في اجتماع اللجنة المركزية في شباط (فبراير) سنة ١٩٦٤ : « كانت التروتسكية تمثل انحرافا بورجوازيا صغيرا واضح المعالم . وكانت تنشط تحت راية خادعة الاتجاه ، اكثر « يسارية » واكثر «ثورية» من البلشفية . وكان تروتسكي ومؤيدوه ، الذين أعلنوا انهم محاربون أصيلون في سبيل الثورة العالمية ، يناضلون ضد اللينينية . وكانت التروتسكية ايضا نفيا لفكر الحزب البلشفي

---

(١٦) نفس المصدر ، ص ٢٣٠ .

(١٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٤ ص ٤٢١ .

ولتلاحم صفوفه ؛ وجوهر التكتلات كان « روح التروتسكية . »(١٨)

فالانتقال من طرف الى آخر وغياب الآراء الثابتة ، والمغامرة ، كانت دائما ميزة لنشاط تروتسكي السياسي . وقد كتب لينين يقول : « حتى الآن ، لم نجد لدى تروتسكي رأيا ثابتا حول اية مسألة جديدة في الماركسية ؛ فقد اعتاد دائما ان يتسال بمهارة تجاه الخلافات ، ويقفز من معسكر الى آخر . »(١٩)

وبرزت ازدواجية تروتسكي في سنوات الردة خاصة ، عندما خاض صراعا عنيدا لتصفية حزب الطبقة العاملة الثوري السري وانشاء حزب وسطي بورجوازي صغير . ففي هذه الفترة بالذات ، وصف لينين تروتسكي بـ « يهوذا الصغير » .

كانت التروتسكية في سنوات الردة الرجعية أحد أخطر أشكال التيار التصفوي . وكان ناجما خطر تروتسكي عن كونه يموه دائما طبيعته الحقيقية بالجمل « اليسارية » . فقد قال لينين : « ان هدف تروتسكي هو تمويه التصفويين من خلال رمي الغبار في أعين العمال . »(٢٠) ولاثبات وجوده « خارج التكتلات » ، لعب تروتسكي دور محامي التصفويين والاوتزوفيين « لم يكن يتفق معهم على شيء في النظرية ولكنه يتفق معهم على كل شيء في التطبيق . »(٢١)

وأقام تروتسكي مع التصفويين أوثق الصلات على صعيد السياسة والتنظيم ، وعلى الصعيد الشخصي . وفي رسالة موجهة الى أ. مارتينوف ، في تلك الفترة ، أعلن ف. دان ان تروتسكي كان شخصيا وسياسيا « غير منفصل عنا » ، فقد شارك بنشاط في المنشورات التصفوية «ناشازاريا» و « فوزروجدينيه» و « لوتش » الخ . وفي صحيفة برافدا المعادية للحزب ، كان أقرب المساهمين الى تروتسكي المناشفة س. سمكوفسكي و أ.

(١٨) م. سوسلوف ، من نضال الـ ح ش ١ س من اجل تلاحم الحركة الشيوعية العالمية ، موسكو ١٩٦٤ ، ص ٨٨ .

(١٩) ف. ينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٠ ص ٤٧٣ .

(٢٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٣٦٦ .

(٢١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٦ ص ٣٨٩ .

لوفي و م. سكوبيليف . وكان تروتسكي في كل نشاطه العملي يتبع التصفويين المعروفين ؛ وقد كتب في رسالة الى مارتينوف : « اذا كنت مستاء من اي اجراء من اجراءاتنا او تصريحاتنا ، فقله ، لأننا نعلق أهمية كبيرة على أية اشارة من هذا النوع . »(٢٢)

لم تكن الآراء الايديولوجية والسياسية والتكتيكية للتروتسكيين، في سنوات الردة ، تختلف جوهريا بشيء عن آراء التصفويين اذا لم يكن يعبر عنها بأسلوب مقنع . ونجد في أساس كل منطلقاتهم نظرية « الثورة الدائمة » التي لم يتخل عنها تروتسكي ابدا .

في سنوات الردة كما في مرحلة الثورة الروسية الاولى ، نفى تروتسكي ضرورة الثورة الديمقراطية البورجوازية في روسيا ، والدور الثوري للفلاحين كحلفاء رئيسيين للبروليتاريا . وكتب لينين سنة ١٩٠٩ قال : « خطأ تروتسكي الاساسي هو انه لا يريد ان يرى طابع الثورة البورجوازي ، وليس لديه فهم واضح لانتقال هذه الثورة الى الثورة الاشتراكية »(٢٣) .

وقد زعم تروتسكي ان ثورة ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ « أدخلت تغييرات موضوعية ذات أهمية مبدئية » بارغامها سلطة الدولة على قبول الحريات الدستورية الى حد ما . وكان تروتسكي ، على غرار المناشفة ، يعتبر ان روسيا قد أصبحت ملكية بورجوازية ، الامر الذي يجعل المعارك الثورية في المستقبل القريب ضعف احتمالا ، والمناقشات حول مصير الثورة عديمة المعنى . وأكدت برافدا تروتسكي ان ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية ، وتاميم الارض ، وقضايا اخرى «جميعها في ميدان التنبؤ النظري» وليس لها أي معنى عملي . والاستنتاج من ذلك ان مهمة الطبقة العاملة ليست تحضير ثورة جديدة وانما النضال من اجل اصلاحات من اجل المصالح المباشرة اليوم .

واكد تروتسكي ، مثل كل التصفويين ، ان المسألة الزراعية قد حلت في جوهرها بفضل قوانين ستوليبين ، ولا يجدر بالتالي

---

(٢٢) الارشيف المركزي للحزب في المعهد الماركسي اللينيني ، مستودع ٤٥١ قسم ٣ رقم ٢١٥٨٤ ورقة ٢ ، ٢ على الوجهين .

(٢٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٥ ص ٣٩٧ .

الاعتماد على الفلاحين في الثورة . وكتب يقــول : بما ان الحركة البروليتارية الثورية « لا تجد اي صدى في الريف » فيجب اذن التخي عن « فــكرة الكتلة الثورية من البروليتاريا والفــلاحين ، والتخلي عن الشعار الغامض والكاذب « الارض والحرية » . كانت تعني عمليا موضوعة تروتسكي هذه ، التخلي عن الثورة . وقد كتب لينين كاشفا بطلان آراء تروتسكي حول المسألة الفلاحية : « يساعد تروتســكي عمليا السياسيين العمــال الليبراليين الروس الذيــن « ينفون » دور الفلاحين لأنهم « لا يريدون » دفعهم الى الثورة ! مع ان هذه ، هي عقــدة المسألة في الوقت الحالي »(٢٤) . من خلال نفي حتمية ثورة جديدة ، طالب تروتسكي باعــادة النظر بشعارات الحزب الثورية . وكان شعاره التكتيكي الاساسي ، النضال من اجل « حرية التنظيم » ، اي التجمع والاضراب والاجتماع ... وقــد جاء في مقاله « مبادىء واحكام مسبقة » : « ان حرية التنظيم ليست بالنسبة لنا مجرد مــادة في البرنامج الديمقراطي ، بل هي المعيار الطبقي الاعلى في كل برنامج الديمقراطية السياسية »(٢٥) . كان هذا الشعار اصلاحيا يهدف الى اجراء تنازلات ضئيلة الاهمية وبعيــدة عن النضال في سبيل الاطــاحة بالاوتوقراطية . وأكــد تروتسكي ان شعــار « حرية التنظيم » ممــكن تحقيقه في ظــل الاوتوقراطية ، اذ، بالنسبة له ، تسير روسيا في طريق البرلمانية ، ويمكن لدوما الدولة ان تتجاوب مع مطالب العمال الحيوية . وطالب كذلك بالتخلي عن التحريض بين العمال ليركز جهوده على نشاط « ايجابي » في الدوما .

كانت برافدا تروتسكي تثرثر دون انقطاع ، انه بامكان الجماهير الشعبية ، من خلال الدوما ، ان تمارس تأثيرها على عمل الحكومة التشريعي . وقــد كتب تروتسكي : « ومع ذلك ، فــان مجلسنا النيابي هو حلبة النضال الاكثر تركيزا ، وغير العقيم على الاطلاق ، بين سلطة الدولة والطبقات الاجتماعية ... »(٢٦)

---

(٢٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٤٣٦ .
(٢٥) ناشازاريا ، ١٩١٢ ، عدد ٥ ، ص ١٢ .
(٢٦) جيفوايبه ديلو ، اذار (مارس) ١٩١٢ .

عارض لينين شعار « حرية التنظيم » ، وبيّن ان هذا الشعار ، في ظل القيصريـة ، هو ، موضوعيا ، أداة تسمح للبورجوازيـة بخداع الجماهير ، لأنه لا يمس أسس نظام الاستغلال . ووصفه بالشعار التصفوي الذي يحرف الشعب عن النضال الثوري . كتب لينين : « يعرف تروتسكي جيدا ان التصفويين في منشوراتهـم الشرعية « يجمعون » بدقة بين شعار « حرية التنظيم » وشعـار « فيسقط الحزب السري وليسقط النضال من أجل الجمهورية »(٢٧)

وهكذا ، فموضوعات برنـامج وتكتيـك تروتسكي في سنوات الردة الرجعية ، كانت منشفية تصفوية ومعادية للثورة .

ان الموقف الذاتي والميتافيزيائي مـن الواقع الملموس ، يمثل القاعدة النظرية للمواقف التروتسكية . وبدأ تروتسكي ، عـلى غرار التصفويين ، باعادة النظر في المسائل الاساسـية من نظرة الماركسية للعـالم .

وجاء في كتابه « حياتي » ، انـه في سنة ١٩٠٢ كان معجبا بمؤلفات بوغدانوف الذي « كان يجمع بين الماركسية ونظرية المعرفة عند ماخ وافيناريوس » . وكان لكاوتسكي ولاسـال تـأثير عميق في آراء تروتسكي .

في سنة ١٩٠٩ ، نشرت صحيفة التصفويين «فوزروجدينييه» رسالة كاوتسكي التي حاول فيها اثبات عـدم وجود اي فارق بين ماركس وديتزجن ، بما ان ماخ كان قريبا من ديتزجين ، فهو حتما قريب من ماركس ، وبالنتيجة ، فـان النضال ضد مـاخ ليس مبررا(٢٨) . وأكد كاوتسكي ان الفلسفة هي قضية خاصة بكل عضو في الحـزب ... وتمسك التروتسـكيون بهـذه الآراء المعـادية للماركسية ، وعارضوا ، مثل كاوتسكي ، فكر الحزب الفلسفي ، ونفوا العلاقة القائمة ما بين الفلسفة والنضال السياسي . وزعم تروتسكي ان النضال ضد آراء ماخ « لا يمكن ان يكـون ذا طابع الزامي من جانب الحزب(٢٩) . وفي ٢١ تشرين الثـاني (نوفمبر)

---

(٢٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٣٦٦ .

(٢٨) فوزروجدينييه ، ١٩٠٩ ، الاعداد ٩ ـ ١٢ ، ص ٧٨ .

(٢٩) سوسيال ديموكرات ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٠ .

سنة ١٩٠٩ ، وفي رسالة لأحد مؤيديه ، هاجم التروتسكي سمكوفسكي ، بليخانوف لأن هذا الاخير ربط مصير الماركسية بـ « المادة » وبـ « تفاهات اخرى » .

وكتب سمكوفسكي بصدد الصراع الذي احتدم داخل الحزب حول مسائل فلسفية : « ان يجعل من ذلك قضية حزبية ذات اهمية كبيرة لهو أمر سخيف ... »(٣٠) وأشار في نفس المقال الى ان بوغدانوف اقترح عليه كتابة مقال عن المادية الديالكتيكية والميتافيزياء من أجل كتاب مناقشات فلسفية موجه ضد كتاب لينين . وبناء على نصائح تروتسكي وبارفوس ، وافق سمكوفسكي على المساهمة في هذا الكتاب ، وطلب ان يشار في مقدمته الى ان المؤلفين « يتمسكون بالفكرة المطروحة في رسالة كاوتسكي في ان المناقشات الفلسفية ليست مشكلة حزبية هامة ، وليست بأي حال مسألة فئات . »(٣١)

هكذا نفى التروتسكيون أهمية النظرية الماركسية في الحركة العمالية ، وطالبوا باعادة النظر بالمادية الديالكتيكية ، وبشروا بفلسفة ماخ المثالية الرجعية ، واستبدلوا الديالكتيك بالانتقائية والسفسطة في رسالة الى كالنتاي . وفي آب (اغسطس) سنة ١٩١٥ ، صنّف لينين تروتسكي في عداد الكاوتسكيين الاكثر ايذاء وخطرا ، الذين يزينون الانتهازية بأشكال مختلفة ، و « يطبقون (كل على طريقته) الانتقائية بدلا من الماركسية الثورية . »(٣٢)

وجّه التصفويون والتروتسكيون ضربتهم الرئيسية ضد الحزب الثوري السري للطبقة العاملة، محاولين خلق حزب اصلاحي شرعي أسوة بالاحزاب الاشتراكية ــ الديمقراطية الغربية . ولكي يخفي التروتسكيون آراءهم التصفوية ، ادعوا انهم « خارج التكتلات » ، وأنهم يؤيدون الوسطية . والوسطية هي الايديولوجية التي تخضع مصالح البروليتاريا للبورجوازية الصغيرة في نفس

---

(٣٠) الارشيف المركزي للحزب في المعهد الماركسي اللينيني ، مستودع ٢٨٠ قسم ١ رقم ٣٦٥٩٩ ورقة ١٥ .

(٣١) نفس المصدر ، ورقة ١٦ .

(٣٢) ف. لينين، المؤلفات، الطبعةالروسية الخامسة، ج ٤٩، ص‌ص١١٧ــ١١٨ .

الحزب . وقد فضح لينين الوسطية المراوغة وفكرها التوفيقي البعيد عن المبدئية ، ولأن الوسطيين كانوا يعلنون لفظيا ولاءهم للماركسية ويخونونها عمليا .

وكتب لينين في رسالة مفتوحة موجهة الى ب. سوفارين ، قال : « ... النضال ضد كاوتسكي وممثلي « الوسط » الآخرين هو بالنسبة لي واجب اشتراكي . »(٣٣) ولافتا انتباه الاحزاب الشيوعية الشقيقة الى خطر الوسطية ، قال لينين سنة ١٩٢١ ، ان البلاشفة ، لو لم يخوضوا نضالا حاسما ضد الانتهازيين والوسطيين طوال خمسة عشر عاما ، لما استطاعوا الوصول الى السلطة ولا الحفاظ عليها(٣٤) .

كانت التروتسكية الشكل الذي اتخذته الوسطية لها في روسيا . وسنة ١٩٠٧ ، في المؤتمر الخامس لل حعادر في لندن ، حاول تروتسكي ايجاد تجمع وسطي، وأعلن ان التطلعات «الوسطية» يجب أن تكون اتجاه كل الاشتراكية ــ الديمقراطية . »(٣٥) حسب رأي تروتسكي ، يلزم الحزب بتحمل « وسط ماركسي » يلعب دور « المحايد » بين جناحي اليمين واليسار في الحزب ، ويؤمن هكذا الوحدة والانضباط(٣٦) . ويعني هذا عمليا تعايش الماركسيين الثوريين والانتهازيين في الحزب ، ومدخلا للعناصر البورجوازية والبورجوازية الصغيرة . ان الاصرار على وجود « وسط ماركسي » يعني تحويل الحزب الثوري البروليتاري الى حزب اصلاحات اجتماعية ، الى منظمة متنافرة مكونة من مجموعات وجمعيات غير جديرة بتنفيذ اي عمل جدي .

اعترض التروتسكيون على مبدأ المركزية الديمقراطية في الحزب ، وعلى اخضاع الاقلية للأغلبية . « الحزب مرتبط بجهاز موحد ، ليس من خلال ضغط خارجي ، بل من خلال علاقة معنوية » ، هذا

---

(٣٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢٣ ، ص ٢٢٣ .
(٣٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢٣ ، ص ٥٠١ .
(٣٥) المؤتمر الخامس لل ح ع ا د ر (لندن) ، المحاضر ص ٣٩٨ .
(٣٦) بوربا ، ١٩١٤ ، العددان ٧ ــ ٨ ، ص ٧ .

ما كتبه تروتسكي قاصدا الانضباط الحزبي في كلامه عن « الضغط الخارجي » . وكان التروتسكيون ينعتون التنظيم الحزبي الحديدي بأنه « سلطة الحلقات » . ان عضو الحزب ، حسب تروتسكي ، او المجموعة الحزبية ، يعترف بقرارات الاجهزة المركزية ما دام يراها صحيحة بالنسبة له ؛ وفي الحالة المعاكسة ، يمكن ألا تنفذ هذه القرارات حتى ولو اعتمدتها الاغلبية الحزبية . وقد وصف لينين هذه الآراء بفوضوية السيد الكبير الذي يهدم وحدة الحزب ويحوله الى حشد متهافت غير جدير بقيادة نضال البروليتاريا الثوري .

كان مؤيدو تروتسكي ينفون دور الحزب السري كطليعة للبروليتاريا في الثورة . وكانت برافدا تروتسكي تؤكد ان النضال في سبيل اعادة احياء منظمات الحزب السرية هو « طوباوية مضرة » . ويكتب تروتسكي : « لكنه يمكن ان يسأل اية منظمات هي اكثر أهمية ، العلنية ام السرية ؟ نحن نرفض قطعا الاجابة على هكذا اسئلة ، لأنها خالية المضمون » ؛ وكانت تلعب هذه التصريحات لعبة البورجوازية .

وسعيا منه «للتوفيق» بين الثوريين والانتهازيين، كان تروتسكي ينفي جذور الخلافات الطبقية بين البلاشفة والمناشفة مصورا اياها مسائل تنظيمية غير ذات أهمية . وقد وصف لينين هذه الادعاءات بأنها محاولات خداع العمال ؛ « في الواقع ، ان مسألة التنظيم ليست بالدرجة الاولى بالنسبة لنا الآن، بل مسألة البرنامج بكامله ، والتكتيك بكامله ، وطابع الحزب ، او بتحديد أدق ، مسألة حزبين : الحزب العمالي « الاشتراكي ـ الديمقراطي » ، والحزب العمالي « الستوليبيني » للسادة م. بوترسوف ، ولارين ، وسميرنوف وليفيتسكي وشركاؤهم »(٣٧) .

كان تروتسكي يرى السبب الرئيسي لخلافات البلاشفة مع المناشفة في الصراع بين مجموعات من المثقفين للتأثير على « بروليتاريا مفتقرة للنضوج السياسي » . وكان يؤكد ، مثل اكسلرود

---

(٣٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ، ص ٢٦٣ .

وتصفويين آخرين ، ان الـ ح‌ع‌ادر لم يكن حزب الطبقة العاملة بل حزب المثقفين البورجوازيين الصفار الذي تعتبره جماهير العمال « الحزب الاشتراكي ــ الديمقراطي وكأنه من خارج وسطها » . انه التزييف الفاضح لطابع وطبيعة الحزب البروليتاري ، « لأزمة ليبرالية وتصفوية معروفة، منذ زمن بعيد، وهي فيالواقع تستخدم كمقدمة لنفي الحزب . »(٣٨) وفي مقاله « خرق الوحدة من خلال صيحات : عاشت الوحدة ! » وفي كتابات أخرى ، فضح لينين أكاذيب تروتسكي مثبتا ان المثقفين قد سيطروا على الحركة الثورية في السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر فقط ، أما منذ التسعينات ، وخاصة بعد وجود الـ ح‌ع‌ادر ، أصبح العمال والفلاحون يشكلون الغالبية الساحقة من المناضلين الثوريين وقد انعكس هذا الواقع في التركيب الاجتماعي للحزب .

ويكمن أصل الخلاف بين البلاشفة والمناشفة في المحتوى الاقتصادي للثورة الروسية ، اذ كانت هذه الخلافات محددة بعلاقات الطبقات حينذاك وكان طابعها مبدئيا . واعتبر لينين فكر المناشفة التصفوي مظهرا من تأثير البورجوازية على البروليتاريا . وللحفاظ على الفكر الثوري السري ، وتعزيز وحدة الطبقةالعاملة، كان لا بد من « قطع » التصفويين عن الحزب وليس البحث عن التوافق معهم كما كان ينادي تروتسكي الى ذلك بالحاح. بالمشاركة مع التصفويين آراءهم كلياً في القضايا النظرية والسياسية ، وفي مسائل التنظيم، وجه التروتسكيون كل نشاطهم العملي لخلقحزب

---

(٣٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢٠ ، ص ٣٥٩ ــ ٣٦٠ .
ما زال المزيفون البورجوازيون لتاريخ الـ ح ش ا س يستخدمون نظرية التروتسكيين هذه . ويصرح المؤرخ الالماني الغربي ف. ماركرت بان تطور الحزب البلشفي قد حصل « بعيدا عن الطبقات » اي بعيدا عن اية علاقة بالعمال والفلاحين . وفي الواقع ، خلق الحزب البلشفي منذ البداية كحزب للطبقة العاملة . وكان في المؤتمر الثاني يضم عشرات الالوف من العمال . وسنة ١٩٠٥ كانت نسبة العمال في الحزب ٦١،٧٪ . وبين سنة ١٩٠٥ ــ ١٩١٦ بلغت نسبة التزايد السنوي للعمال والفلاحين في الحزب ٦٨،٢٪ .
(المرجع ، احصاء أعضاء الحزب الشيوعي الروسي ، ١٩٢٢ ، الملف الرابع ، موسكو ١٩٢٣ ، ص.ص ٣٧ ــ ٣٨) .

اصلاحي علني . في سنة ١٩٠٨ ، عندما كان تروتسكي يقيم في فيينا ، أقام صلات وثيقة بالتصفويين ، والاتزوفيين ، والبوند ، وانتهازيين آخرين، وذلك باتجاه خوض نضال مشترك ضد البلاشفة. ومنذ تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٩٠٨ حتى أيار (مايو) سنة ١٩١٢ ، أصدر في فيينا الصحيفة المعادية للحزب ؛ « البرافدا ». ولم تكن البرافدا صحيفة منظمة من منظمات الحزب الروسي، بل كما أشار لينين ، مؤسسة شخصية لتروتسكي . وكانت تطبع على نفقة التصفويين ، وبفضل اعانات الانتهازيين في قيادة الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي الالماني .

وخاضت « برافدا » تروتسكي، تحت راية الوسطية ، الصراع ضد البلشفية ودافعت عن التصفويين والاوتزوفيين(٣٩) وكانت حملة الادعاءات التي شنتها هذه الصحيفة على مقررات كونفرونس الـ ح ع أدر الخامس الذي أدان التيار التصفوي ، تأكيدا على ذلك. وقد كتبت برافدا فيينا : « ولتحاشي أي سوء تفاهم، كتبت برافدا فيينا : لو أن هيئة تحرير البرافدا هي التي صاغت القرارات التكتيكية ، لوضعتها بشكل يختلف تماما عما حصل في آخر مؤتمر للحزب . »

وعملت الصحيفة كل ما في وسعها لنسف تكتل البلاشفة مع الموالين للحزب من المناشفة مؤكدة ان هذا « التحالف » لا يفيد الحزب بشيء « ... هذا التحالف الجديد الفارغ سياسيا من اي معنى ، لا يعطينا اية ضمانة لثبات سياسي في المستقبل . ضمن

---

(٣٩) ل. شابيرو ، يؤكد انه خلال سنوات الردة ، وقفت برافدا تروتسكي خارج الصراع الفئوي ، و « تحاشت كل جدل » ، وعملت لوحدة الحزب، ودافعت عن مصالح العمال . (ل. شابيرو ، الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ص ١١٥) .

وفي الواقع ، كانت الصحيفة التروتسكية متحالفة مع التصفويين في العمل لهدم الحزب الثوري. وكانت آراؤها غريبة عن الطبقة العاملة الروسية. وفي ايلول (سبتمبر) سنة ١٩١٠ ، عندما ارسلت هيئة التحرير استمارات لمصانع روسيا ، لم تحصل من كل البلاد الا على خمسين جوابا . وقد تذمرت هيئة التحرير من ذلك بمرارة : « ان الرفاق جد كسالى في محيطهم. يجب انتزاع كل جواب منهم ، غالبا ، بالملاقط . »

هذه الشروط ، يكون في أقصى درجات عـدم الحذر ان يربط به حتى مصير البرافدا ، اذا لـم نتكلم عن الحزب »(٤٠) هذا ما كتبه تروتسكي بشأن تكتل مؤيدي بليخانوف مع البلاشفة .

وفضح لينين تصريحات تروتسكي هذه التي تهـدف الى شق وحـدة الحزب . وفي « وضع الحزب الداخلي » (كانـون الاول (ديسمبر) ١٩١٠) ، أشـار الى ان غالبية عمال روسيا يؤيدون تكتل البلاشفة مع مؤيدي بليخانوف كليا ، والى انه لا تمكن معارضة ذلك الا بالابتعاد عن وجهة النظر الماركسية . وكتب لينين يقول : « اذا كان تروتسكي يصرح بـأن تقارب المناشفة الموالين والبلاشفة » يخلو سياسيا من المعنى ، وغير ثابت ، مما يدل ببساطة على جهله التام ، وهذا يصف بوضوح غياب المعنى لديه بالذات . »(٤١)

عندما فشل في ايجاد دعم له عند عمال روسيا، بحث تروتسكي عن حلفاء من بين التجمعات الفئوية في الخارج . وأقـام علاقـات وثيقة مع تجمع « فبريود » المعـادي للحزب ، وسـاعد بامكانـاته مدرسة الاوتزوفيين في كابري . وكان تروتسكي يعتقد كسب هذه المدرسة الى جانب آرائه ، بغية تجنيد مؤيـدين له في روسيا . واقترح ان يعلم الصحافة فيها ، ويفتح لها صفحات برافـدا فيينا التي كانت تصدّر الى روسيا ، وان « يمد جسرا بهذه الطريقة بين المدرسة ونشاط الحزب . »(٤٢)

لكن تصميم التروتسكيين للاستفادة من المدرسة لصالحهم قـد باء بالفشل . فبعد ان وعى قسم من أعضائها طبيعة الاوتزوفية ، اعترضوا بقيـادة ن. فيلونوف على نشاط ادارة المدرسة المعـادي للحزب ، وفي سنة ١٩٠٩ سـافر هذا الاخير الى باريس لحضور ندوات لينين والبلاشفة الآخرين .

وخـاض البلاشفة نضـالا متواصلا ضد سيـاسة تروتسكي الوسطية . وبعد تعرية طابع التروتسـكية البورجوازي الصغير ،

---

(٤٠) سوسيال ديموكرات ، ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٠ .

(٤١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٢٩ .

(٤٢) ارشيف الحزب المركزي في معهد الماركسية اللينينية ، مستودع ٣٧٧ قسم ١ رقم ١٩٢٤٨ ورقة ٤ ـ ٥ .

فضح لينين تطلعها الى استبدال الماركسية بالاصلاحية ، وتحريفها لمسائل البرنامج والستراتيجية والتكتيك . واعترض على المواقف التوفيقية مع التروتسكية من قبل ج. زينوفييف ، و ل. كامينيف ، وأ. ريكوف ، و م. تومسكي ، و م. فلاديميروف ، و ا. ليوبيموف و س. لوزوفسكي و ا. غولدنبرغ وغيرهم ...

وأظهر التوفيقيون ، في ظل ظروف الردة ، ترددات ايديولوجية في تطبيق التكتيك الثوري ، وبثوا حالة فكرية انهزامية . ونادى التوفيقيون ، الذين ساندوا التروتسكيين ، باسم وحدة الحزب الوهمية ، بالتحالف مع الانتهازيين وباعتماد سياسة « الخط الوسطي » ، « الوسط بالضبط » !

وفي ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٨ ، كتب كامينيف الى بوغدانوف : « اني اقف ، في الخصومة التي بدأت ، في «الخط الوسط » وأتمنى ان أبقى فيه ... يبدو لي أن المصالحة هي الان الزامية بقدر ما كان الزاميا بالنسبة لي النضال ضدها سنة ١٩٠٤ » (٤٣) كان يعني هذا الخط الوسط ، واقعيا ، دعم التجمعات المختلفة المعادية للحزب في الخارج والتي كانت تعمل مع التصفويين . فموضوعيا ، كان التوفيقيون يدعمون التروتسكيين التصفويين في صراعهم ضد البلاشفة .

واقترح التوفيقيون ، في المؤتمر الموسع لهيئة تحرير البروليتاري ، ايقاف الصحيفة البلشفية « بروليتاري » ، واقامة محادثات مع هيئة تحرير البرافدا التروتسكية بهدف تحويلها الى صحيفة اللجنة المركزية (٤٤) . وبعد المؤتمر ، تابع كامينيف ، دون علم اللجنة المركزية ، اتصالاته بتروتسكي من اجل التفاهم على شروط تقديم مساعدة مادية وأدبية وغيرها لبرافدا فيينا . وكان كامينيف مدعوما من زينوفييف الذي كتب لـ ف. غولوشتشيكين في موسكو : « يبدو لي ان التفاهم مع البرافدا مرغوب فيه ... كيف يجب الان ان نتصرف في مواقعنا ؟ يمكن حاليا ويجب ان نفعل شيئا واحدا : اعتماد مقررات حول ضرورة تحويل البرافدا الى جريدة اللجنة

---

(٤٣) Pod Znamenem marxisma 1932 No. 9-10. p. 202

(٤٤) محاضر مؤتمر هيئة التحرير الموسعة « للبروليتاري » ص ١١٩ .

المركزية ، ويستحسن ان تقوم بذلك لجنة موسكو والدوائر المحيطة، وكلما كان أسرع يكون افضل ، سيكون ذلك وسيلة ممتازة للضغط . » (٤٥)

وعارض لينين نهائيا اي حوار مع برافدا فيينا . وفي ١٨ آب (اغسطس) سنة ١٩٠٩ كتب الى أ. ليوبيموف : « فيما يتعلق بتروتسكي ، يجب أن اقول بأني سأكون ، بشكل قطعي ، معارضا لمساعدته ... ودون أن تحسم هذه القضية من اللجنة التنفيذية (للمركز البلشفي) ؛ **ولا يمكن ان تقبل أية** بادرة لمساعدة تروتسكي . » (٤٦)

في هذه الاثناء ، أقر التوفيقيون والمناشفة اعضاء اللجنة المركزية المحصورة ، في ايار (مايو) ١٩٠٩ ، هيئة تحرير برافدا فيينا كتجمع أدبي للجنة المركزية . وعقد غولدنبرغ (مشكوفسكي) محادثات مع تروتسكي ، ووعد بمساعدة اللجنة المركزية لهذه الصحيفة . وقد نص العقد على ان يدخل دوبروفينسكي هيئة تحرير برافدا فيينا بصفة ممثل اللجنة المركزية ، وان تبقى هيئة التحرير ذات استقلال مطلق ، وتحتفظ بميزانيتها المستقلة ، وان تغطي اللجنة المركزية من وارداتها كل تكاليف الصحيفة وتطبعها في مطبعة البروليتاري في باريس . فقبل تروتسكي مصادقة العقد ، وصرح أنه يعتبر الحفاظ على « الطابع غير الفئوي للصحيفة شرطا لازما لوجودها اللاحق » . وفي ٢٠ حزيران (يونيو) سنة ١٩٠٩ ، اطلع دوبروفسكي (الراهب) على محادثاته مع مشكوفسكي وعن قبوله شروط العقد(٤٧) .

وأراد تروتسكي ان يتم الاعتراف بالبرافدا كجريدة اللجنة المركزية للـ ح‌ع‌أدر ، بقصد نشر الآراء التصفوية بين العمال، تحت ستار صحيفة الحزب . وبعد ان عرف برسالة تروتسكي

---

(٤٥) الارشيف المركزي للحزب في معهد الماركسية اللينينية ، مستودع ٣٧٧ قسم ١٠ رقم ٣٥٧٠٨ ورقة ٨ ، ٨ على الوجهين .

(٤٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـموسكو ، مجلد ٣٤ ص ٤١٦ .

(٤٧) ك. شالاغين ، نضال البلاشفة ضد التروتسكية (١٩٠٧ ـ ١٩١٤) ، موسكو، ١٩٦٥ ص ٣١ .

لدوبروفينسكي ، كتب لينين لزينوفييف في « ٢٤ آب (اغسطس) سنة ١٩٠٩ : « بشأن البرافدا ... ، هل قرأت رسالة تروتسكي للراهب ؟ (دوبروفينسكي) أظنك اقتنعت ، اذا كنت قد قرأتها ، بأن تروتسكي قد تصرف كأكثر الناس الوصوليين جبنا والتكتليين من طراز ريازانوف وشركاه . فهو لا يتهجم على الحزب أبدا ، ولكنه يتصرف كأسوأ كل التكتليين الآخرين . » (٤٨)

كان الفكر التوفيقي بالنسبة للحزب مضرا كأسوأ أشكال الانتهازية ، وقد قال لينين : « ... ليس التوفيقيون بلاشفة اطلاقا... ليس لديهم شيء واحد مشترك مع البلشفية... ليسوا الا تروتسكيين غير واعين . » (٤٩) وكان يصر على خوض نضال لا هوادة فيه ضد هذا الاتجاه الذي كان خطره مضرا بنشاط الحزب. ولعب التوفيقيون دورا مؤذيا خاصة في عقد دورة لجنة الـ ح ع أ د ر المركزية في كانون الثاني (يناير) سنة (١٩١٠)

لينين ضد سياسة تروتسكي « التوحيدية » في اجتماع لجنة الـ ح ع أ د ر المركزية الموسع في كانون الثاني (يناير) (١٩١٠)

في أواخر سنة ١٩٠٩، قام التروتسكيون، بدعم من زينوفييف وكامينيف وريكوف وغولدنبرغ (مشكوفسكي) ، بشن حملة من اجل عقد اجتماع مع اللجنة المركزية، غايته « توفيق » و « توحيد » كل التكتلات وكل التيارات في الـ ح ع أ د ر ؛ كذلك كان التروتسكيون والتوفيقيون وممثلو المنظمات الاشتراكية الديمقراطية في الخارج، وفي روسيا ، يطالبون بهذا الاجتماع الموسع .

في هذا الوقت، ، كان اعتقال عدة بلاشفة من أعضاء اللجنة المركزية، اضافة الى نشاطات الانتهازيين الهدامة، قد أضعف اللجنة المركزية ، الأمر الذي أعطى امتيازا أكيدا للعناصر المعادية للحزب. وكان واضحا ان ميزان القوى في الاجتماع الموسع ، لن يكون لصالح

---

(٤٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٣٤ ص ٤١٨ ــ ٤١٩ .
(٤٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٢٦٤ .

البلاشفة . وبالرغم من ذلك ، قرر البلاشفة المشاركة في أعمال المؤتمر بقصد استعمال هذا المنبر قدر المستطاع لفضح التصفويين، الأوتزوفيين والتروتسكيين .

اجتمعت لجنة الـ ح ع أدر المركزية في باريس في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٠ . وبان ذلك اخر اجتماع موسع في تاريخ الحزب يشارك فيه البلاشفة والمناشفة معا . حضر الاجتماع أربعة عشر عضوا لهم حق التصويت ؛ اربعة بلاشفة ، أربعة مناشفة ، اثنان من الاشتراكيين ـ الديمقراطيين البولونيين، اثنان من البوند، ممثل واحد عن الاشتراكية الديمقراطية الليتونية وممثل واحد عن مجموعة « فبريود » . ولم يحضر في الاجتماع الموسع اي منشفي موالٍ للحزب . كان المشاركون البلاشفة في المؤتمر ، زينوفييف، وكامينيف ، ودوبروفينسكي ، وغولدنبرغ (مشكوفسكي) ، ونوغوين ، وكانوا ينطلقون من مواقع توفيقية ومؤيدة لتروتسكي . فاضطر لينين للنضال ضد الانتهازيين والتوفيقيين من موقع بالغ التعقيد . وقد كتب فيما عد لمكسيم غوركي : « ... ثلاثة أسابيع من التسمم ، تحطم اعصابك ، مائة ألف شيطان !... »(٥٠)

تواجه رأيان متناقضان جذريا حول دور مهمات الحزب ، في الاجتماع الموسع. دافع لينين وحده عن خط ماركسي ثوري منسجم. وقد ناضل من اجل وحدة كل قوى الحزب على اسس ماركسية ، من أجل التعزيز والحفاظ على الحزب الثوري السري للطبقة العاملة ، ومن أجل فضح وفصل العناصر الانتهازية من الحزب .

وسعى التصفويون ، معتمدين عى مساندة تروتسكي ، لعزل البلاشفة وضرب تاثيرهم في صفوف الطبقة العاملة ، وخق الظروف الملائمة لتوحيد كل العناصر الانتهازية في حزب اصلاحي علني . والأكثر تصلبا منهم ، أصروا على فتح معركة مباشرة ضد البلاشفة، وللاستيلاء على قيادة الحزب وطرد لينين ومؤيديه من القيادة . بيد ان التصفويين لم يتجرأوا عى السير في طريق القطع مع البلاشفة، لأنهم يعرفون أن مؤيديهم في روسيا ضعفاء جدا ، وتنظيمهم غير كاف من أجل « العمل فورا على بناء تنظيم جديد للحزب . » (٥١)

---

(٥٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٤ ص ٤٤ .

كما صرح بذلك مارتوف .

وقرر التصفويون اخفاء نواياهم المعادية للحزب وراء الخطة المغامرة التي وضعها تروتسكي والبوند . وتدخل تروتسكي في الاجتماع الموسع تحت راية الوسطية ، وال « توفيق » و « توحيد » الكل وكل شيء . وحاول ، وهو يموه كافة النزاعات الاساسية ، انجاح التصويت على قرارات مقبولة كليا بالنسبة للتصفويين . كانت خطة تروتسكي تهدف الى « توحيد » كل التيارات في الحزب بمعزل عن موقفها من التيار التصفوي ، وكذلك ، الوصول تحت راية « الوحدة » الى حل التجمع البلشفي ورفض الخط اللينيني الذي يدعو للنضال على جبهتين ، وتأمين الموقع المهيمن في الحزب للانتهازيين . أصبح تصميم تروتسكي ، في الواقع ، بلاتفورم كل الانتهازيين . بهذا الاسلوب ، تشكل في الاجتماع الموسع تكتل تصفوي تروتسكي، يدعمه زينوفييف وكامينيف وتوفيف ونآخرون، « **تكتل اشخاص بلا مبادىء** ، موجه ضد روح المبدأ وروح الحزب » (٥٢) .

وانتقد لينين بلا شفقة المعنى التصفوي في مشروع تروتسكي . وأوضح ان تروتسكي يريد أن « يوفق » في الحزب « أفرادا وتجمعات ومؤسسات معينة » بمعزل عن خطهم الايديولوجي والسياسي ، وعن محتوى نشاطهم وموقفهم من التصفويين والأوتزوفيين ، متغاضيا عن الخلافات ، غير كاشف لجذورها وأهميتها وظروف ظهورها الموضوعية . فا « لتوفيق » بين أشخاص ومجموعات ، هو الأساس ، كما قال لينين . وان لم يتوصلوا لتطبيق خط مشترك ، ينبغي اخراج الخط بأسلوب يجعله مقبولا من الجميع . عيشوا ودعوا الجميع يعيشون . هذا هو « الفكر التوفيقي » البورجوازي الصغير الذي يؤدي مباشرة الى ديبلوماسية الندوات . ان « كتمان » اسباب الخلاف ، والتغاضي عنها ، و « تهدئة » التناقضات بأي ثمن ، وتحييد الاتجاهات المتناحرة ، كان الهدف الاساسي « لروح التوفيق » المقصود ، في المسألة . » ولقد دافع

---

(٥١) ل. مارتوف ، منقذون ام تصفويون ؟ باريس ١٩١١ ، ص ١٠ .

(٥٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٦ ص ٢٣٧ .

لينين في الاجتماع الموسع عن وجهة النظر الثورية بشأن وحدة الحزب المبنية على أساس ايديولوجي مبدئي ، وعلى أساس النضال دون هوادة ضد كل الانحرافات عن الماركسية .

وفتحت مناقشة قرار « الوضع الداخلي للحزب » المجال لمناقشات مستفيضة . وقد صاغ لينين مشروع القرار . وبالرغم من مقاومة التصفويين والتروتسكيين العنيفة ، انتهى الى تحقيق انتصار مبدئي . فالقرار المعتمد من قبل الاجتماع ، أشار الى ان التيار التصفوي والأوتزوفية هما من مظاهر تأثير البورجوازية على البروليتاريا ، مع ان هذه العبارات لم تستعمل في نص القرار .

وأثار المشتركون في الاجتماع الموسع نقاشا مبدئيا حول بند في القرار بشأن النضال على الجبهتين : ضد التصفويين وضد الأوتزوفيين . « لا شيء ، في الاجتماع ، لم يثر سخطا أشد — وغالبا ، اكثر تهريجا — من فكرة « النضال على جبهتين » . ان اشارة بسيطة الى هذا الموضوع تكفي لاخراج جماعة فبريود والمناشفة عن صوابهم »(٥٣) . واقترح تروتسكي ، في سبيل تمويه صياغة لينين الواضحة ، ادخال هذه الجملة مشروع القرار : « النضال ضد الانحرافيين بواسطة توسيع وتعميق نشاط الاشتراكية — الديمقراطية » وبعد مناقشة طويلة ، توصل جماعة البوند والتوفيقيون الى اقرار اقتراح تروتسكي . ومع هذا ، فقد أقر الاجتماع الموسع ضرورة النضال ضد « الانحرافيين » وهذا أمر كان بالغ الاهمية .

من المعلوم ان خط الحزب التكتيكي في مرحلة الردة قد وضع في مقررات مؤتمر الـ حءادر الخامس . وكان على الاجتماع الموسع أن يؤكد على قرارات المؤتمر الرئيسية . لهذا وضع لينين في مسودة مشروع المقررات « الوضع الداخلي للحزب » بحيث جاء ، « تأكيدا لقرارات كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٠٨ ، وتطويرا لهذه القرارات . » فأعلن المناشفة ، بشكل قاطع ، انهم لن يصوتوا على القرار ، اذا أبقيت فيه هذه العبارات . وساند تروتسكي

---

(٥٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس — موسكو ، مجلد ١٦ ص ٢٢١ .
(٥٤) نفس المصدر ، ص ٢٢٦ .

التصفويين ، واقر القرار بغالبية الاصوات ، دون كلمات « بالتأكيد » .

بالاضافة الى ذلك ، توصل المناشفة الى ادخال النقطة الأولى الغامضة والمبهمة في القرار . وقد جاء فيه ان تكتيك الاشتراكية ـ الديمقراطية هو دائما واحد من حيث المنطلق المبدئي ، وهو يهدف دائما الى أبعد النتائج ، وانه للمرة الاولى تنفتح أمام البروليتاريا الروسية الامكانية ، من خلال تنظيم نفسها في حزب اشتراكي ـ ديمقراطي جماهيري ، لتطبق بوعي ، تدريجيا ، بروح المثابرة ، هذا الاسلوب التكتيكي للاشتراكية ـ الديمقراطية العالمية(٥٥) .

لقد كان لينين ضد ادخال هذه النقطة في القرار . وقد قال : « لا وجود ، في مشروع القرار ، لهذه النقطة ابدا ـ وكمثل هيئة تحرير البروليتاري ـ قد ناضلت ضدها بأشد الاشكال عنفا . »(٥٦) ولا تعرض النقطة الاولى في القرار مبادىء تكتيك الاشتراكية ـ الديمقراطية ، وأهداف النضال الفورية وأساليبه ، وكذلك ، أسباب استمرارية خط الاشتراكيين ـ الديمقراطيين التكتيكي . كل ذلك ، كما قال لينين ، يحول النقطة الاولى الى « حشو تعيس وغير مجد . »(٥٧) اضافة الى ذلك ، فالصياغة : للمرة الاولى ، أمام البروليتاريا الواعية ، تنفتح الامكانية لتطبيق واع لأسلوب الاشتراكية ـ الديمقراطية العالمية التكتيكي ؛ وتسمح هذه الصياغة للتصفويين ، بتفسير المادة على انها تفرض ضرورة استعمال الوسائل الاصلاحية المأخوذة من الاحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية الغربية .

وحاول التصفويون ، بعد الاجتماع الموسع مباشرة ، استعمال هذه المادة من القرار لاظهار عدم جدوى الحزب السري . وفي صحيفتهم « غولوس سوتسيال ـ ديموكراتا » ، راحوا يؤكدون ان العمل السري « قد مضى وقته ولن يعود لظهور ابدا » وان على الحركة العمالية الروسية ان تتطور ببطء ولكن بثبات « باتجاه

---

(٥٥) الـ ح ش ا س في الوثائق والقرارات ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .

(٥٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٦ ص ٢٣٧ .

(٥٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٦ ص ٢٣٨ .

استيعاب الاشكال الاوروبية » .

وبعد نضال طويل ومرير ، أقر قرار « الوضع الداخلي للحزب » بالاجماع . وبواسطة عدة تعديلات وملاحظات واضافات ، استطاع تروتسكي والتصفويون الغاء عدة موضوعات هامة من القرار . وقد تحاشى القرار المصاعب ، وتركت بضعة مسائل هامة دون معالجة . فانتقد لينين مفصلا الاخطاء التوفيقية في القرار ، بعد الاجتماع الموسع ، في مقاله « ملاحظات صحفي » حيث أشار الى طابعه المتناقض والمتردد والموارب . وحلل كل أحداث الصراعات في الاجتماع الموسع وشرح مواقف البلاشفة والمناشفة من المسائل المعالجة ، وكذلك المقررات التي اتخذها الاجتماع(٥٨) . وقد وافق عدد كبير من مناضلي الحزب على تقييمات لينين . وفي ٢ آذار (مارس) ١٩١٠ ، كتب ف. دزرجينسكي الى ز ليدر : « ان قرار اللجنة المركزية لا يعجبني . فهو ضبابي ويفتقر الى الوضوح . انا لا اؤمن بتوحيد الحزب بمشاركة دان . وأعتقد انه قبل التوحيد ، من الاوفق دفع المناشفة نحو الانشقاق ، وطرد ، بادىء ذي بدء ، أمثال دان والتصفويين المقنعين من الحزب . »(٥٩)

وعالج اجتماع اللجنة المركزية الموسع ، في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٠ ، مسألة كونفرونس الحزب الدوري القادم ، وقرر الدعوة له. وبالرغم من التنازلات المختلفة للتصفويين والتروتسكيين، كان هذا القرار يستجيب لحاجات الحركة العمالية الحيوية. وكتب لينين قال : يجب ان يساعد الكونفرونس على « خلق قاعدة بروليتارية أوسع وأصلب واكثر مرونة في الاتحاد ، استعدادا للمعارك الثورية المستقبلية . »(٦٠)

ونشأت صراعات صعبة في الاجتماع الموسع حول مسائل التنظيم . ووفقا للقرار المتخذ ، قام في روسيا تجمع من اعضاء اللجنة المركزية يتمتع بكل امتيازات وحقوق لجنة الـ ح ع ادر المركزية ، بينما اقتصرت نشاطات مكتب اللجنة المركزية في الخارج

---

(٥٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٦ ص ٢٠٣ الى ٢٧٣ .

(٥٩)ف. دزرجينسكي ، مختارات ج ١ ، ص ٢٢٠ ، موسكو ١٩٦٧ .

(٦٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٦ ص ١٦٠ .

على الاعمال الدعائية والتقنية البحتة . فانتقل ، بهـذا الشكل ، مركز الثقل في نشاط اللجنة المركزية الى روسيا .

كان تنظيم مركز قيادي في روسيا عاملا ايجابيا ، لأنه يقرب قيادة منظمات الحزب المحلية ، ويساهم في التحام كافة قواها ، ويسمح بالنضال الفعال ضد معادي الحزب . بينما كانت للتصفويين أهداف مختلفة تماما . فـأرادوا ، بنقـل اللجنة المركزية الى روسيا ، اضعاف تأثير لينين على قضايا الحزب في روسيا ، وازالة نشاط مكتب اللجنة المركزية في الخارج ، ووضع المكتب الروسي تحت تهديد الشرطة . وحسب شهادة المنشفي المـوالي للحزب ، ف. فومين ، قال دان لمارتينوف في الاجتماع الموسع : « بالضبط ، نحن ننقل اللجنة المركزية الى روسيا لأنها ستفشل . وايضا ، يجب ان نعمل بشكل يحافظ على غولوس سوتسيال ديموكراتا . »(٦١)

أراد لينين ان يكون البلاشفة والمناشفة الموالون للحزب في هيئات الحزب المركزية ، ولكـن التكتل التصفوي ، والاوتزوفيين والتروتسكيين ، حـالوا دون ذلـك . ودخل بعض المنـاشفة ـ التصفويين في مكتبي اللجنة المركزية ، الروسي وفي الخارج .

وعندما كان يتعلق الامر بمسألة تأليف هيئة تحرير « سوتسيال ديموكراتا » ، حاول التصفويون ، وجماعة البوند ، وتروتسكي ، ازالة أثر التيارين المتعارضين من خلال عـدم تأييـد اي منهما ، الامر الـذي أدى مرارا الى وضع « خط متوسط » . واقترح المناشفة « كمحيد لتناقضات » تروتسـكي او اي واحـد مـن البوند . وقد كتب لينين : « هذا البوندي ، او تروتسكي ، كان عليهما ان يلعبا دور الخطّابة(*) التي أخذت على عاتقها « الجمع بعلاقات زواج » بين أشخاص ومجموعات ومؤسسات محددة » ، دون الاهتمام بمعرفة ما اذا كان أحـد الاطراف الحاضرين قـد تخلى ام لا عن التصفوية . »(٦٢)

رفض اقتراح المناشفة ، وكذلـك ترشيح تروتسكي ، امـا

(٦١) مختارات لينين ، ٢٥ ، ص ٨٣ .

* خطّابة = وهي الوسيطة في عقد الزيجات (المعرب)

(٦٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـموسكو ، مجلد ١٦ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

ترشيح البونـدي فلـم يصوت عليه . ودخـل في هيئة تحرير « سوتسيال ديموكراتا » ، من البلاشفة لينين وزينوفييف ، ومـن المناشفة مارتوف ودان ، وعن الاشتراكية ـ الديمقراطية البولونية فارسكي الذي استبدل فيما بعد بلـدر .

وتقرر ايضا نشر مجموع المناقشات بشكل ملحق لـ « سوتسيال ديموكراتا » ، وتألفت هيئة تحريره من ممثلي كل التيارات الموجودة في الحزب ، ومن المنظمات الاشتراكية ـ الديمقراطية الوطنية ومن البونـد .

وبناء على الحاح التصفويين وبموافقة من زينوفييف وكامينيف وتوفيقيين آخرين ، قرر الاجتماع الموسع مساعدة برافدا تروتسكي ماديا . وعين كامينيف بصفة ممثل للجنة المركزية في هيئة تحرير برافدا فيينا . واي تغيير في تركيب هيئة تحرير هذه الصحيفة لم يكن ممكنا الا بموافقة اللجنة المركزية . ولكن التروتسكيين لـم يتوصلوا بالرغم من ذلك الى تحويل برافدا فيينا الى جهاز لجنة الـ حعادر المركزية ، وأرجىء بحث هذه المسألة الى مؤتمر الحزب المقبل(٦٣) .

لقد كان ضررا جسيما للحزب ، القرار الذي اتخذه الاجتماع الموسع بحل التجمع البلشفي، وبوقف اصدار صحيفة «بروليتاري» البلشفية ، وكذلك بتسليم مالية البلاشفة بقسم منها الى اللجنة المركزية (حعادر) والقسم الاخر كاحتياط لممثلي الاشتراكية ـ الديمقراطية الالمانية ، ك. كاوتسكي ، و س. زيتكين ، و ف. ميهرينغ الذين كان يتوجب عليهم اعـادة هذه المالية الى صندوق اللجنة المركزية في مهلة سنتين .

عارض لينين ايقاف صدور البروليتاري واعطاء مالية البلاشفة الى « محايدين » ، وقـد طالب بالحـاح ان يكف المنـاشفة عن اصدار غولوس سوتسيال ديموكراتا ، وان يحلوا مركز تكتلهـم . وبناء على طلبه ، أدخل في القرار « حـول المراكز التكتلية » ان « مصالح الحزب ووحدة الحزب ، تقتضي في المستقبل العاجل

---

(٦٣) ح ش ا س ، في الوثائق والمقررات ، ج ١ ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ .

اقفال صحيفة غولوس سوتسيال ديموكراتا . »(٦٤)

لم يثق لينين بأن اتفاقا مع المناشفة يمكن ان يطول أمده . ومتوقعين ان المناشفة لن يطبقوا هذا الاتفاق ، اعلن البلاشفة ، في الاجتماع الموسع ، بمبادرة من لينين ، انه في حال رفض المناشفة حل مركز تكتلهم ، وايقاف صدور غولوس سوتسيال ديموكراتا ، ومساعدة مراكز الحزب في روسيا ، وفي الخارج ، يحتفظ البلاشفة بحق المطالبة باعادة ماليتهم ، وبدعوة لجنة الحزب المركزية الموسعة للانعقاد(٦٥) . وقد تحققت نبوءة لينين كليا ؛ فالمناشفة ، لم ينفذوا قرارا واحدا من قرارات اجتماع اللجنة المركزية الموسع .

وهكذا ، فقد تبنى اجتماع اللجنة المركزية الموسع في كانون الثاني (يناير) ١٩١٠ قرارات يشوبها الفكر الوسطي الرامي الى تحطيم تأثير البلاشفة في الحزب . ولم تهدف بعض قرارات هذا الاجتماع الى اضعاف الحزب البلشفي فحسب بل الى تصفيته . ولم يستطع الاجتماع حل المهمة المركزية ، وهي خلق الوحدة الحزبية الاصيلة ، الامر الذي كان مستحيلا في تلك الفترة ، نتيجة ميزان القوى . وأشار لينين ، سنة ١٩١١ ، الى ان قرارات الاجتماع الخاطئة ، قد أضعفت الحزب سنة على الاقل(٦٦) .

لقد ظهر في الاجتماع الموسع تشكيل تكتل معاد للحزب ، اتخذ شكله النهائي في مؤتمر التصفويين في آب (اغسطس) سنة ١٩١٢ . وقد كانت مقررات الاجتماع الموسع بالاجماع تحمل طابع المساومة . ونظرا لميزان القوى غير الملائم للبلاشفة في الاجتماع الموسع ، اضطر لينين القبول بتنازلات جزئية مختلفة ، ورأى امكانية وحتمية ذلك « من اجل الحفاظ على الخط الاساسي ، ومن أجل ازالة الخطر عن خط الحزب ، ما دامت هذه التنازلات لا تؤدي الى نفي هذا الخط ، وما دام بوسعها ان تخدم لربط مؤيدي الاوتزوفية والتصفوية بالحزب . »(٦٧)

---

(٦٤) الـ ح ش ا س ، في الوثائق والمقررات ... ج ١ ، ص ٢٤١ .
(٦٥) نفس المصدر ، ص ٢٤١ — ٢٤٣ .
(٦٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٤ ص ٤٦٤ .

وفي مقالاته « باتجاه الوحدة » و « ملاحظات صحفي » و « بصدد فئة جديدة من التوفيقيين ، الفاضلين » وغيرها ، أعطى لينين تقييمات ماركسية لقرارات الاجتماع الموسع . وفي مقاله « بصدد فئة جديدة من التوفيقيين ، الفاضلين ، أشار الى ان فضل اجتماع كانون الثاني (يناير) ١٩١٠ الموسع « ... هو انه رفض الآراء التصفوية ، والاوتزوفية ؛ وخطأه انه قبل بدون تمييز اشخاصا ومجموعات ، كانت وعودهم ... واعمالهم غير متطابقة . »(٦٨)

ولعب كامينيف وزينوفييف وتوفيقيون آخرون دورا مخزيا في الاجتماع اذ ساعدوا تروتسكي بانجاح قرارات لصالح التصفويين ؛ وقد انتقد لينين بعنف التوفيقيين لأنهم انجروا وراء تروتسكي ، ودعموا جهوده « التوحيدية » . فألحق الفكر التوفيقي ، الذي ساد الاجتماع ، ضررا بالغا بالحزب . ولم تكن الوحدة التي تكلم عنها غالبا التوفيقيون محنكة الا على أساس ماركسي مبدئي ، وليس على أساس اتفاقات انتهازية مع التصفويين والتروتسكيين .

ولاقى الفكر التوفيقي فشلا تاما فيما بعد ، وكذلك مقررات اجتماع كانون الثاني (يناير) ١٩١٠ الموسع ، والتي وصفها لينين « بالبلهاء » و « المميتة »(٦٩) ... وقد اشار الى « ان الخطأ التوفيقي للاجتماع أدى حتميا الى فشل القرارات التوفيقية . . »(٧٠) وبعد اجتماع كانون الثاني (يناير) ، لم تتوقف الصراعات الداخلية في الحزب ، بل تفاقمت اكثر فأكثر .

ولقد أثارت القرارات ، التي اتخذت في الاجتماع الموسع ، الانتهازيين . وفي ٢٠ شباط (فبراير) سنة ١٩١٠ ، كتب اكسلرود لبوترسوف : « لقد حققنا انتصارا معنويا عظيما . . »(٧١)

---

(٦٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٦ ص ٤٦٤ .
(٦٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٢٦٩ .
(٦٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٤ ص ٤٦٥ .
(٧٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٢٧٠ .
(٧١) الحركة الاشتراكية ـ الديمقراطية في روسيا ، ج ١ ، ١٩٢٨ ص ١٩٧ .

وكتبت ال غولوس سوتسيال ديموكراتا التصفوية ، في اليوم التالي للاجتماع : « بعد مقررات اللجنة المركزية ، يمكننا اعتبار « الحرب ضد التصفويين » ... كمرحلة فات أوانها . »

لم يكن الخبر قد جف بعد على اتخاذ القرارات في الاجتماع الموسع بشأن برافدا فيينا ، حتى بدأ تروتسكي يستعلم من كامينيف متى يستطيع الذهاب الى باريس « من اجل محادثات بشأن ناتج الاعانات ، وخصوصا من اجل قبضها فورا »(٧٢) وفي مقاله « على طريق الحزب » وصف مقررات الاجتماع الموسع بأنها « حدث هام » و « ذهب خالص للاشتراكية العلمية » . وقد نشرت برافدا تروتسكي وثائق الاجتماع الموسع التي كانت لصالح التصفويين بوضوح ، ولكنها لم تنقل كلمة واحدة عن مناقشة الاجتماع للتيار التصفوي والاوتزوفية ، وعن النضال ضد التيار التصفوي بشكل عام .

ومباشرة بعد الاجتماع الموسع ، أصدر التصفويون في الخارج عددا من ال غولوس سوتسيال ديموكراتا ، عرض بالواقع برنامج النضال ضد الحزب السري . وطالب ستة عشر منشفي ـ تصفوي في « رسالة مفتوحة » نقل مركز الثقل في نشاط الحزب الى منظمات شرعية وعارضوا تكتل البلاشفة والمناشفة الموالين، وطالبوا بتصفية المنظمات السرية . ان مقالات مارتوف ودان ونوفيتش المنشورة في الصحيفة ، كانت مليئة بالحملات الكاذبة ضد البلاشفة ، وتهدف الى الدفاع عن التيار التصفوي .

وفي نفس الوقت ، قام اربعة محررين في غولوس سوتسيال ديموكراتا ، وهم اكسلرود ودان ومارتوف ، ومارتينوف ، ونشروا على ورقة منفصلة بيانا تصفويا تحت عنوان « رسالة الى الرفاق » . وقد اصروا فيه على حل الحزب السري والدعوة فورا الى كونفرونس للتصفويين لخلق حزب اصلاحي . وحسب تقييم لينين، فان « رسالة الى الرفاق » وكذلك ، عدد غولوس سوتسيال ديموكراتا ، يشكلان « قنبلة غايتها تفجير الحزب فورا بعد اجتماع

---

(٧٢) الارشيف المركزي للحزب في معهد الماركسية اللينينية ، مستودع ٢٨٠ قسم ١ رقم ٣٧٧٨٩ ورقة ١ .

التوحيد ... »(٧٣)

وهكذا ، بعد اجتماع كانون الثاني (يناير) الموسع ، عمد المناشفة الى الدفاع عن التيار التصفوي بشكل اكثر صراحة من اي وقت مضى . وبدعم من التروتسكيين والتصفويين في الخارج ، أوجد المناشفة مركزا انتهازيا في روسيا بقيادة بوترسوف ، وتشيريفانين ، ونيفيتسكي ، وماسلوف ، وبدأوا نشاطهم الهدام ضد اجهزة الحزب القيادية . وفي كانون الثاني (يناير) ١٩١٠ ، باشر التصفويون اصدار مجلة سرية في روسيا ، « ناشازاريا » (فجرنا) التي كانت تقوم بدعاية واضحة لأفكار فييخي(٧٤) . وقد أسمى لينين هذه الصحيفة « أقذارنا » .

وكان المناشفة ، بالرغم من قرارات الاجتماع الموسع ، يكبحون بكل الوسائل ، نشاط مكتب اللجنة المركزية الروسي . وصرح المناشفة ا. ايسوف ، و ب. برونشتاين و ك. ايرمولاييف ، بأنهم يعتبرون ، ليس فقط قرارات الاجتماع الموسع ولكن حتى وجود اللجنة المركزية مؤذيا . ورفضوا الدخول في اللجنة المركزية وحتى حضور جلسة واحدة من اجل ضم اعضاء جدد(٧٥) . ان أعضاء مكتب اللجنة المركزية الروسي ، التوفيقيين دوبروفينسكي وغولدنبرغ (مشكوفسكي) ، ونوغين وليتيزن بعد اعتقالهما ، قاموا بمباحثات طويلة مع التصفويين بشأن تنظيم اللجنة المركزية ، ولكن مشروعهم لم يتحقق .

وسعى المناشفة ، في نفس الوقت ، لضرب الـ سوتسيال ديموكراتا ، جريدة الحزب المركزية . وكان دان ومارتوف يعترضان دائما على نشر مقالات لينين في هذه الجريدة . فعندما كتب لينين مقالين للعدد ١٢ من سوتسيال ديموكراتا ، كتب ا. فارسكي انه كان ينشب خلاف « تقريبا عند كل كلمة »(٧٦) . وقد تأزم صراع

---

(٧٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٦ ص ١٦١ .

(٧٤) فييخي ، مجموعة مقالات لصحفيين مبتدئين (١٩٠٩) موجهة ضد الماركسية. كان يسميها لينين « موسوعة المرتدين الليبراليين » ، « سيل الاوساخ الرجعية المنصب على الديمقراطية . »

(٧٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٦ ص ١٦٧ .

هيئة تحرير الصحيفة المركزية لدرجة جعلت لينين ، في ايار (مايو) ١٩١٠ ، يوجه الى لجنة الـ حـعادر المركزية رسالة يطلب بموجبها استبدال مارتوف ودان بمناشفة من انصار الحزب .

وبعد الاجتماع الموسع ، شرعت جماعة فبريود هي ايضا بمهاجمة الحزب . وقد نشروا في ايار (مايو) ١٩١٠ ، بيانا مليئا بالشتائم « الى الرفاق البلاشفة » ، ثم قاطعوا صفحة المناقشات ، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٠ ، انشأوا مدرستهم الفئوية في بولونيا (ايطاليا) .

أيد التروتسكيون ، بكافة وسائلهم ، تكتل التصفويين ومؤيدي فبريود . وثابرت برافدا فيينا على نشر المقالات الداعية الى الوحدة الفورية مع التصفويين . وبينما كان المناشفة يضربون كل مقررات الاجتماع الموسع ، كان تروتسكي يؤكد بأن « خطوة كبيرة الى الامام » قد تحققت ، وينادي بالوحدة دونما توقف . ودافعت برافدا تروتسكي عن مداخلة الستة عشر منشفيا تصفويا ، وعن بيان المحررين الاربعة في غولوس سوتسيال ديموكراتا ؛ وفي مقال بعنوان « نحو الوحدة متخطين كل الصعوبات » في العدد ١٢ ، قالت الصحيفة انها لا تريد ، ولا تستطيع الدخول في مناقشات الخلافات ، لأنها لا تملك وقائع . وقد وصفت « غولوس التصفويين ضد الحزب » مقال لينين الذي يفضح السياسة المعادية للحزب لجماعة الغولوس بأنه « عنيف الى أقصى الدرجات » . ونقد لينين بشدة في مقاله « احدى عقبات وحدة الحزب » ، موقف مؤيدي برافدا تروتسكي المعادي للحزب ، وقال ان هذه الصحيفة تجر الماء الى طاحونة التصفويين » .

وفي ١٧ نيسان (ابريل) سنة ١٩١٠ ، اتخذ نادي فيينا الذي كان مؤيدو تروتسكي جزءا منه ، قرارا معاديا للحزب . ذلك القرار المتستر بشعار « خارج الفئات » قد دافع عن التصفويين واتهم البلاشفة بنسف مقررات الاجتماع الموسع ، ودعا للوحدة مع التصفويين والاوتزوفيين . وقد كتب لينين : « ان قرار تروتسكي

---

(٧٦) ر. ايرمولاييفا ، « معطيات جديدة عن نضال لينين من أجل تعزيز الحزب » **«Voprossi Istoriik P.S.S.»** **١٩٦٠ رقم ٥ ص ١٧٥ .**

« جماعة فيينا) لا يختلف الا مظهريا عن « اندفاقات » اكسلرود واليكسينسكي . فقد كتب بكثير من الحذر وهو يهدف الى عدالة « ما فوق فئوية » . ولكن محتواه ؟ « فالرؤساء البلاشفة » هم المسؤولون عن كل شيء ، وبشكل آخر ، نفس « فلسفة التاريخ » عند اكسلرود وأليكسينسكي . »(٧٧) كان فكر تروتسكي التوفيقي عملية خداع للطبقة العاملة ، لذلك قال لينين : « ... هو شر أكثر ضررا لأنه يختبىء بخداع ، وبجمل جميلة وراء تصريحات مؤيدة للحزب بادعاء ، ومعادية للتكتلية . »(٧٨)

بعد اجتماع كانون الثاني (يناير) الموسع ، كان تروتسكي مدعوما ، كما في السابق ، ضد البلاشفة ، من حليفيه كامينيف وزينوفييف . وبعد ذلك بوقت قليل ، اجتمعت الجماعة الثانية (البلاشفة) مساعدة الـ ح‌عادر في باريس . وكما كتب فيما بعد ا. غريتشنيف ــ تشرنوف ، الذي حضر هذا الاجتماع ؛ وكشف لينين في مداخلته دور كامينيف وزينوفييف المشين في اجتماع اللجنة المركزية الموسع في كانون الثاني (يناير) . وبعد تحليل القرارات التي اعتمدها الاجتماع الموسع ، شكك لينين بامكانية تحقيقها(٧٩) .

ودافع كامينيف ، الذي قدم تقريرا عن الاجتماع الموسع ، عن مواقف توفيقية ، وأصر على التطبيق الالزامي لكل مقررات الاجتماع . وقد استعجل الذهاب الى فيينا للعمل سوية مع تروتسكي . وكما كتب غرتشنيف ــ تشرنوف ، فقد حذر لينين كامينيف : « لا أرى امكانية القيام بعمل مثمر مع تصفويي اليمين واليسار ، وخاصة مع تروتسكي ، ولكنني لا أعترض على سفرك الى فيينا لتتمكن من الاقتناع بنفسك من صحة أسس اقوالي »(٨٠) وأكدت الاحداث اللاحقة صحة كل ما قد توقعه لينين .

وبصفته ممثلا للجنة المركزية في هيئة تحرير البرافدا في

---

(٧٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٦ ص ٢١٩ .
(٧٨) نفس المصدر ، ص ٢٢٠ .
(٧٩) ذكريات عن فلاديمير لينين ، ١٩٠٩ ــ ١٩٢٢ ، موسكو ١٩٦٣ ، ص ٩٧ .
(٨٠) نفس المصدر ، ص ٩٨ .

نيينا ، مارس كامينيف سياسة مزدوجة . وحـاول الضغط على هيئة تحرير سوتسيال ديموكراتـا لتؤجل حملتها على برافـدا تروتسكي . وحسب رأي كامينيف ، فان ارادة العمل مع اللجنة المركزية قد أشير اليها بشكل محدد في عدد برافدا فيينا المخصص لاجتماع لجنة الـ حءادر المركزية الموسع في كانون الثاني (يناير) . وفي الواقع ، فالمواد التي احتوتها الصحيفة عن هذا الاجتماع لا تذكر شيئـا عن النضال ضد التـيار التصفوي . وفي ٢١ آذار (مارس) سنة ١٩١٠ ، كتب لينين لكامينيف : « امـا بخصوص تروتسكي ، فهو يتصرف بشكل ، هو بالاحرى ، فاسق ، في العدد العاشر من البرافـدا . »(٨١) واكـد كامينيف للينين ان تعـاون البلاشفة مع تروتسكي كان ضروريا ، وهو لا يبدي « اي اسف تجاه التيار التصفوي » .

وجاءت الحياة تكذب بسرعة تصريحـات كامينيف . فنشرت صحيفة تروتسكي في عددها الرابع عشر ، « رسالة من البرافـدا الى العمال المفكرين » ، دافعت فيها بصراحة عن التيار التصفوي . وبعد ان فضح البلاشفة نشاط التصفويين والاوتزوفيين المعـادي للحزب بعـد الاجتماع الموسع ، اصروا على تطهير الحزب منهـم . وكتبت برافدا تروتسكي ردا على هذا الاصرار : « هذه وجهة نظر خاطئة ومضرة الى ابعـد حدود . ويعني تطبيقها الافساد الكامل والانحلال للحزب . » فكانت الصحيفة التروتسكية تحث ليس على النضال ضد التصفويين ، بل للتعـاون معهم ، مصرحة ان زمـن المنظمات السرية قد ولى ، ويجب الان « الاعتماد فقط على الاشكال المكشوفة والعلنية للنضال الطبقي . »

ولكي لا يدانوا كمؤيدين للنشاط الصريح المعادي للحزب ، قدم كامينيف ، في ١٣ آب (اغسطس) سنة ١٩١٠ ، استقـالته من هيئة تحرير البرافدا . وتروتسكي بدوره ، ورغبة منه بالتملص من اية رقابة من قبل اللجنة المركزية ، اغتنم فرصة استقالة كامينيف، وحرره من وظـائفه في هيئة التحرير ، بالرغم من قرار الاجتماع الموسع ، دون ان يؤذن بذلك من اللجنة المركزية . وهكذا فضحت

---

(٨١) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٤٧ ص ٢٤٠ .

الحياة « الموحد » و « التوفيقي » تروتسكي الذي طالما مارس عمليا سياسة معادية للحزب موجهة ضد البلاشفة لصالح اعداء حزب الطبقة العاملة الثوري .

ومتابعا تكتيل كل القوى المعادية للبلاشفة في تجمع واحد ، أقام تروتسكي بعد الاجتماع الموسع ، علاقات وثيقة مع تجمع فبريود المعادي للحزب . وضاربا بقرارات الاجتماع عرض الحائط ، ذهب الى المدرسة المعادية للحزب لمؤيدي فبريود في بولونيا حيث عقد محادثات حول النضال المشترك ضد البلاشفة . وقد كتب ا. لوناتشارسكي فيما بعد ، انه أثناء وجوده في بولونيا ، كان تروتسكي « وفيا جدا معنا (اي مع مؤيدي فبريود) »(٨٢) وعرض اعطاء سلف لأعضاء المدرسة . ولم يتوقف ، في مداخلاته ، عن الافتراء على البلاشفة(٨٣) ولكن تروتسكي ، بالرغم من ذلك ، لم يستطع الوصول الى غايته . وكتب ت. كريفوف في مذكراته : « تقدم تروتسكي ببرنامجه المشترك (بلاتفورم) الذي كان يعني توحيد كل الفئات ، بدءا بالتصفويين وانتهاء بالبلاشفة مؤيدي فبريود . وكانت غالبية الاعضاء (خاصة جماعة الاورال) ضد هذا البلاتفورم ، ونسفوا اقتراح تروتسكي . »(٨٤)

وفي بولونيا ، اتفق تروتسكي مع مؤيدي فبريود على عقد مؤتمر موجه ضد البلاشفة . وكتب لينين ، فاضحا سياسة تروتسكي المغامرة ، في اوائل كانون الثاني (يناير) ١٩١١ ، قال :

---

(٨٢) أ. لوناتشارسكي ، الثورة الكبرى ، بتروغراد ١٩١٩ ، ص ٧٧ .

(٨٣) كان تروتسكي يقول لاعضاء المدرسة ان البلشفية كتيار سياسي ستختفي قريبا عن المسرح . وفي كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٠ ، كتب من بولونيا لاصدقائه في فيينا : « سوف تكون المعركة ضارية ، وسيلاقي لينين فيها الموت . » (الارشيف المركزي للحزب في معهد الماركسية ـ اللينينية ، مستودع ٢٨٠ ، قسم ٢ ، رقم ٢١٠٣٦) . يدحض هذا الواقع مرة اخرى تأكيدات مزيفي تاريخ الـ ح ش آ س البورجوازيين ، الذين يزعمون ان تروتسكي لم يكن عدو الحزب البلشفي وقائده لينين. في كل مراحل التاريخ، كان الحقد على لينين واللينينية وعلى الحزب البلشفي ، ميزة تروتسكي الخاصة .

(٨٤) بروليتارسكايا ريفوليوتسيا ، ١٩٢٦ ، عدد ٣ (٥٠) ص ١٣٨ .

« على الرغم من القرار الواضح جدا للجنة المدرسية المعينة من الاجتماع ، والذي وضع ان أياً من المجتمعين في الحزب لا يمكنه الذهاب الى مدرسة فبريود الفئوية، فان يهوذا الصغير، تروتسكي قد ذهب اليها ودرس مع جماعة فبريود مشروع المؤتمر الذي نشرته الآن هذه الجماعة في منشور لها .

ويضرب يهوذا الصغير نفسه على صدره ، ويعلن عن أمانته للحزب ، مؤكدا انه لم يزحف اطلاقا أمام مجموعة فبريود والتصفويين . هكذا تصبغ حمرة الخجل جبين يهوذا الصغير تروتسكي . »(٨٥)

وفي نهاية سنة ١٩١٠ ، على اثر عدة أعمال تخريبية قام بها التصفويون ، مرّ الحزب بأزمة حادة ، فقرر التروتسكيون بأن الساعة قد حانت لدفن مقررات اجتماع كانون الثاني (يناير) الموسع نهائيا . فأعلن تروتسكي الدعوة لعقد مؤتمر « الحزب » ، لانشاء تكتل موحد من كل العناصر المعادية للحزب ، وبالرغم من عدم تكليفه ، ومتجاوزا لجنة الحزب المركزية . وفي ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٠ ، عقد اجتماع نادي فيينا ، وألقى فيه تروتسكي خطابا مليئا بالتهجم الحاقد على البلاشفة والرابوتشايا غازيتا التي انشأوها هم ، وضد التكتل مع المناشفة ــ أنصار الحزب . وكان تروتسكي ، في نفس الوقت ، يدعو المجتمعين باصرار للعمل النشيط مع التصفويين ، محاولا اثبات انه بدون التصفويين لا يمكن توسيع الحزب « ... حتى اذا اعتبرنا انه يجب سحق التصفويين ، فمن المستحيل تطبيق ذلك ، لأن القوى غير موجودة ... التصفويون وحدهم الآن يتحركون على المسرح السياسي ، وانطلاقا من هذا الواقع ، تتوجب حمايتهم ومساندتهم والانضمام اليهم ... »(٨٦)

ودعا القرار المتخذ في اجتماع نادي فيينا الى ايجاد صندوق لتحضير ولعقد مؤتمر « عام الحزب » . وفي رسالة الى

---

(٨٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٣٩ .

(٨٦) ارشيف الحزب المركزي في معهد الماركسية ــ اللينينية ، مستودع ٢٩ ، قسم ١٢ ، رقم ١٩٢٦٢ ، ورقم ٦ على الجهتين .

كاربينسكي ، كتبت كروبسكايا : « اي فاجر (اعذرني على التعبير) هو تروتسكي . لقد صوت في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) في نادي فيينا (الذي يسيطر عليه التروتسكيون) على بيان ضد الرابوتشايا غازيتا . وفي نهاية هذا القرار ... عولجت ايضا مسألة المؤتمر . وهو يدافع في الوقت الحالي بكل قواه عن هذه المغامرة ... »(٨٧)

وبذل التروتسكيون غداة الاجتماع نشاطا عمليا بغية تحضير المؤتمر . وفي ٢٥ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩١٠ ، أوجدت لجنة فيينا ، من أجل الدعوة لعقد المؤتمر ، وكان أعضاؤها التروتسكي سيمكوفسكي واربعة من التصفويين(٨٨) . وتكلم تروتسكي في عدة منظمات منشفية في الخارج ، داعيا لانشاء لجان للدعوة للكونفرونس وعقد محادثات مع مؤيدي غولوس سوتسيال ديموكراتا وفبريود ، والبوند ايضا ، بشأن مشاركتهم في الكونفرونس . كما حاول تروتسكي اشراك المنظمات الاشتراكية ـ الديمقراطية الروسية في الكونفرونس . فأرسل بيان نادي فيينا الى روسيا ، في رسالة دورية تطالب بالبدء في انتخابات المندوبين للكونفرونس .

في روسيا ، كما في الخارج ، عارض البلاشفة بشدة مغامرة تروتسكي . وفي كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩١٠ ، كتب لينين ، « رسالة للمعهد الروسي للجنة المركزية لل ح ع ا د ر » ومقالا « وضع الحزب الداخلي » ، تعرض فيهما لتحرك تروتسكي المعادي للحزب بنقد لاذع . وقال لينين ان الهدف الرئيسي لتروتسكي هو « هدم المؤسسات المركزية التي يمقتها التصفويون ، وفي نفس الوقت، معها الحزب ايضا كتنيظم . »(٨٩) ووصف تدخل التروتسكيين بالمغامرة الرامية الى شق الحزب . وكان تروتسكي يكتل كل أعداء الماركسية ، وكل مؤيدي الانحلال الايديولوجي . بينما كان توحيد

---

(٨٧) نفس المصدر ، مستودع ٢٩ ، قسم ٦ ، رقم ٣٧٧٤٥ ، ورقة ١ ـ ٣ على الجهتين .

(٨٨) سوتسيال ديموكراتا ، ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩١١ ، ملحق .

(٨٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ١٧ .

الحـزب الحقيقي غير ممـكن الا على أسـاس الحسم القاطع مع التصفويـين والاوتزوفيين ، وقـد جمع تروتسكي الاوتزوفيـين والتصفويين وخدع الحزب والبروليتاريا . وحضّر المؤتمر بعيدا عن اللجنة المركزية ، وبدون قرارها ، الامر الـذي يعني انشقاق الحزب .

وصرح لينين بأن التكتل الذي يحاول ان يركبه تروتسكي كان حتما سيبوء بالفشل ، كتجمع بدون مبادىء . وراح يدعو الحزب الى الوقوف الحازم ضد مغامرة تروتسكي . وفي « رسـالة الى المعهد الروسي للجنة الـ ح‌ع‌ادر المركزية » وضع أمام الحزب ثلاث مهمات مركزية : ١) التعزيز والدعم الواسع لتحالف وتجمع مجموعة بنيخانوف والبلاشفة ، من أجل الدفـاع عن الماركسية ، والرد على الانحلال الايديولوجي ، والنضال ضد التصفويين والاوتزوفيين . ٢) النضال من اجل اجتماع موسع ، الحل الشرعي لأزمة الحزب . ٣) النضال ضد مغـامرة تروتسكي الانشقاقية واللامبـدئية التي تجمع بين بوترسوف وماكسيموف (بوغدانوف) ضد الاشتراكية ـ الديمقراطية . »(٩٠)

لاقت هذه المهام تأييدا حارا من منظمات الحزب المحلية التي أضعفت بشكل قاطع ادعاءات التروتسكيين المعادية للحزب . وبعد مناقشة قرار نادي فيينا ، رفعت لجنة الـ ح‌ع‌ادر في **دون** احتجاجا حازما بشأن الكونفرونس . وأشـار القرار الذي اعتمدته الى ان مهمـة الحـزب الاسـاسية كانت تعزيـز المنظمـات الاشتراكية الديمقراطية المحلية ، واعـادة اللجنة المركزية الى روسيا . وعلى اللجنة المركزية المرممة ان تدعو الى الكونفرونس ، واذا تعذر ذلك ، يجب ان تدعو اليه هيئة الحزب المركزية(٩١) .

باسم لجنة **دون** ، كتب ب. دجاباريدزيه ، الذي كان في تلك الفترة في روستوف ـ الدون ، « رسالة مفتوحة الى هيئة تحرير برافدا فيينا » ، انتقد فيها بعنف نوايا تروتسكي المعادية للحزب . وقال ان الكونفرونس الذي يدعو التروتسكيون لعقده هو مجرم

---

(٩٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ١٦ .

(٩١) سوتسيال ديموكراتا ، ١٩ اذار (مارس) ١٩١١ .

يحق الحزب ، لأنه سوف يؤدي الى انشقاقه ، وبالتالي لن تكون له اية أهمية « بنظرنـا (وكذلـك بنظر كل التجمعات والمنظمات المحلية) ولن تكـون له اية سلطة »(٩٢) . وطلب دجاباريدزيه الى برافدا فيينا ألا تقوم بأعمال لم تكلف بها(٩٣) .

وفي ٢٠ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩١٠ ، تلقت منظمة الـ حءادر في تزاريتسين ، دعوة من هيئة تحرير برافـدا فيينا للمشاركة في اعمال الكونفرونس الذي يجري تحضـيره . وكتب بلاشفة المنطقة جوابـا الى هيئة تحرير سوتسيال ديموكراتا بـأن العمال الاشتراكيين ــ الديمقراطيين يعتبرون مهمتهم الرئيسية هي النضال ضد الاوتزوفية ، وخاصة ضد التيار التصفوي الذي هو « اسوأ زؤان في حقل الحزب » . وجاء في آخر الرسالة « يجب على محرري البرافدا أن يعلموا ان الاشتراكيين ــ الديمقراطيين قد تجاوزوا سن تلقي الاوامر ... وهم ، في الوقت الحالي ، لا يثقون بالكلام ، ويطلبون اثبات جدوى كل ما يقترح عليهم »(٩٤) .

وطالب ف. دزرجينسكي ، في رسالة الى ل. تيزكـا ، ان ترفض ادارة الاشتراكية ــ الديمقراطية في بولونيا وليتوانيا كل دعم لبرافـدا تروتسكي ، وفضح فـي الصحيفة المركزية للحزب مؤامرات تروتسكي ؛ وقد كتب : « لقد حان الوقت لضرب ثرثـار هؤلاء العجاجين . ان ازدراءهم للنضال الايديولوجي ضد التـيار التصفوي ، والمبالغة في حجم نشاطهم الذي هو ، برأيي ، ليس سوى طعم ، سيلحقان ضررا بالغـا بالحزب . اما بشأن قرارهم الاخير الذي أرسلتموه الي ، فهـو يخرق التنظيم مباشرة . »(٩٥)

وأدان عضوا مكتب اللجنة المركزية في الخارج ، البلشفي ن. سيماشكو ، والاشتراكي ــ الديمقراطي البولوني س. غولدنبرغ

---

(٩٢) ب. دجاباريدزيه ، مقالات ، خطابات ، رسائل مختارة ، ١٩٠٥ ــ ١٩١٨ ، موسكو ١٩٥٨ ص ١١٨ .

(٩٣) نفس المصـدر ، ص ١١٩ .

(٩٤) حزب البلاشفة في سنوات الانطـلاق الثوري الجديد (١٩١٠ ــ ١٩١٤) ، مجموعة الوثائق ، موسكو ١٩٦٢ ص ٣٣٧ .

(٩٥) ف. دزرجينسكي ، المؤلفات المختارة ، ج١ ، ص ٢٤١ .

(ستانيسلافا) ، بشكل نهائي ، مبادرة تروتسكي المغامرة .
وعندما اقترح التصفوي غولدمان (غوريف) باسم المكتب في الخارج التصويت على قرار يؤيد قرار مجموعة فيينا حول الدعوة لعقد كونفرونس « عام للحزب » ، وجه ن. سيماشكو رسالة رسمية الى مكتب اللجنة المركزية في الخارج ، تعبر عن احتجاج عنيف ضد هذا الاقتراح ، وتصف قرار التروتسكيين « بالمحاولة المغامرة للحلقة في الخارج »(٩٦) . وفي ٤ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١١، كتب تيزكا الى س. غولدنبرغ بشأن قرار التروتسكيين انه « يمثل ليس فقط عمل سفاهة نادرة ، بل عملا غوغائيا ايضا . »(٩٧)

وعارض المناشفة ـ أنصار الحزب ، هم ايضا ، قرار نادي فيينا ؛ ووصف بليخانوف ، مصرحا بأن قرار نادي فيينا يؤجج « نار الانشقاق » ، انه من الطراز المميز لهذا « الادب » « الذي لا يبقى منه للقارىء غير صداع عنيف ... »(٩٨) وفشلت مغامرة تروتسكي تحت وطأة الضربات المشتركة من البلاشفة والمناشفة ـ أنصار الحزب .

لقد اثبتت أعمال التصفويين والتروتسكيين ، بعد اجتماع كانون الثاني (يناير) الموسع ، ان هدف هؤلاء هو التحطيم الشامل للحزب الثوري . وجهدوا لتوجيه الحركة العمالية في طريق النضال الاصلاحي ، في سرير السياسة الليبرالية البورجوازية .. ونسف تكتل التصفويين والاوتزوفيين والتروتسكيين امكانية تطبيق مقررات اجتماع كانون الثاني (يناير) الموسع ، وعمل دوما على تحطيم الحزب . فلقد كان مؤامرة على الحزب .

وتعقد الموقف بسبب ان الحزب كان يفتقر الى مركز قائد محارب ؛ وبسبب خيانة المناشفة ، كان من المستحيل دعوة مكتب اللجنة المركزية الروسي للانعقاد ، وكانت تنتمي غالبية أعضاء

---

(٩٦) ارشيف الحزب المركزي في معهد الماركسية ـ اللينينية ، مستودع ١٧ ، قسم ١ ، رقم ٩٣١ ، ورقة ١ على الجهتين .

(٩٧) نفس المصدر ، رقم ٩٣٥ ، ورقة ٣٦ على الجهتين .

(٩٨) بليخانوف ، المؤلفات ، ج١٩ ص ٣١٤ .

المكتب في الخارج ، الى التصفويين والتوفيقيين . وقد كتب لينين في رسالة وجهها الى ريكوف ، في شباط (فبراير) سنة ١٩١١ : « ان اجتماع ١ ـ ١٠ الموسع قد أوقف عمل الهيئات المركزية الملموس **لمدة سنة** ، مجمدا اياها ، **ومسلما اياها مجمدة للتصفويين** . »(٩٩) ووحدها صحيفة سوتسيال ديموكراتا ، حيث كان لينين يلعب دورا قياديا فيها ، خاضت النضال من اجل روح الحزب بالرغم من مقاومة التصفويين العنيفة .

لا يمكن ان يكون البلاشفة مسؤولين عن تحركات التصفويين والاوتزوفيين المعادية للحزب بتشجيع تروتسكي . وقد وجد لينين مخرج الازمة الخطرة التي يعاني منها الحزب ، في الدعوة لعقد اجتماع موسع جديد للجنة المركزية في الخارج . رأى البلاشفة ان الاجتماع الموسع سوف يخلق الاجهزة القيادية القادرة على جمع كل القوى الحزبية الاصيلة ، وتحضير كونفرونس لحزب عامة روسيا . وقد كتب لينين قال : « ان النضال من اجل اجتماع موسع يماثل النضال من اجل الشرعية ، النضال من اجل الحزب . ان نضال مجموعة الـ **غولوس** ضد الاجتماع الموسع ، اصبح نضالا ضد مخرج الحزب من الازمة ، ضد الشرعية . »(١٠٠)

وأودع البلاشفة ، في ٥ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩١٠ ، مكتب لجنة الـ ح ع ادر المركزية في الخارج ، طلبا جاء فيه ، انه وفقا لقرار الاجتماع الموسع في كانون الثاني (يناير) ، يطالبون ببيان يدعو مباشرة لاجتماع موسع للجنة المركزية . وفي كانون الثاني (يناير) ١٩١١ ، وجه لينين الى اللجنة المركزية رسالة أشار فيها الى ان الاتفاق المتخذ في الاجتماع الموسع ، بعد ان نسفه التصفويون ، يعتبر البلاشفة احرارا في النضال ضد العناصر المعادية للحزب(١٠١) . وصرح لينين ، فاضحا المؤامرة ضد الحزب : « ان اللعبة الصغيرة التي ترتكز على « دعوة » جماعة الـ **غولوس** والتروتسكيين للمشاركة في المراكز لا تؤدي الا الى

---

(٩٩) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٤٨ ص ١٦ .

(١٠٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ١٣ .

(١٠١) نفس المصدر ، ص ١٤ .

جعل المقربين من الحزب عاجزين تماما ، ويكفيهم ما هم عليه من ضعف .

واذ نحرر أنفسنا من كل مسؤولية في هذه المهزلة ، سنغض النظر عن ذلك ونطبق خطتنا ، **في سبيل الحزب** ، المرتكز على التقرب من أتباع بليخانوف، والنضال دون هوادة ضد التكتل »(١٠٢)

وأثبتت الحياة ان التصفويين والاوتزوفيين والتروتسكيين كانوا الاعداء الذين أدانهم الحزب ، وان اية وحدة معهم لم تكن ممكنة . وكان لينين يرى ان مهمة الحركة الرئيسية تكمن في طرد العناصر المعادية للحزب . ودعا الى رص الصفوف و « ... جمع القوى المشتتة وشن النضال في سبيل حعادر نقي من كل مشيعي تأثير البورجوازية في قلب البروليتاريا(١٠٣) . يجب ان تنفذ هذه المهمة بواسطة الكونفرونس الحزبي العام الذي تقرر عقده في أجتماع كانون الثاني (يناير) ١٩١٠ الموسع للجنة المركزية لـ حاعدر .

---

(١٠٢) نفس المصدر ، ص‌ص ٣٨٩ ــ ٣٩٠ .

(١٠٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٢١٧ .

الفصل الرابع

حزب لينين ضد التروتسكية
أثناء الدفع الثوري الجديد

فشل مغامرة التروتسكيين « الوحدوية »
المقررات التاريخية لكونفرونس براغ
للـ ح ع ادر بفصل الانتهازيين من الحزب

كانت الرجعية تعبث في روسيا منذ اكثر من ثلاث سنوات ، ولكنها لـم تستطع ان تخنق رغبة الشعب بالتخلص من القيصرية والرأسمالية . وفي سنة ۱۹۱۰ ، برزت أولى مظاهر دفع ثوري جديد . فاجتاحت البلاد ، في الصيف والخريف ، موجة اضرابات وتظـاهرات ، وتعزز نضال الفـلاحين ضد المـلاك العقاريـين . « فالانتعاش » الذي يتحدث عنه الجميع هو برعم صعود جديـد للثورة . »(۱) هكذا قال لينين .

وكان على الحزب ان يقود الحركة الثورية بسرعة . لذلـك ، كان يجب الانتهاء من الازمة الحادة التي يعيشها الـ ح ع ادر ، نتيجة سياسة التصفويين والتروتسكيين والانتهازيين الآخرين ، والدعوة الى كونفرونس عام للحزب ، وسحق الانتهازيين وطردهم من الحزب وتعزيز وحدة صفوفه .

فناضل البلاشفة بقيادة لينين ، بلا هوادة ، لتعزيز الحزب الذي أضعفه الانتهازيون في سنوات الردة الرجعية . وكتب لينين قال : « وحدها البلشفية التي تجهل الترددات ، نحو اليمين او نحو اليسـار ، تستطيع ان تضع الحزب في الطريق المستقيم . »(۲)

وبالرغم من ملاحقات الشرطة ونشاط الانتهازيين الفوغائي ، تابعت منظمـات الحزب المحلية نشاطها بين الجماهير الكـادحة ،

---

(۱) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ۲۱ ص ۸۰.
(۲) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ۳٦ ص ۱۷۳ .

وعززت تكتل البلاشفة والمناشفة ـ مؤيدي الحزب ، وناضلت بتصميم ضد العناصر المعادية للحزب . وموست عملية تعزيز القوى الحزبية في كل البلاد .

ولعبت الصحافة البلشفية دورا كبيرا في هذه المرحلة من أجل تعميق تلاحم الحزب . وفي ٣٠ تشرين الاول (اوكتوبر) (٢١ تشرين الثاني (نوفمبر)) سنة ١٩١٠ ، ظهر في باريس العدد الاول من الصحيفة البلشفية السرية رابوتشايا غازيتا ؛ كان لينين رئيس تحريرها ، وكانت لجنة التحرير تتألف من ن. كروبسكايا و س. غوبنر و ب. دجاباريدزيه و ن. سيماشكو و س. شاوميان وآخرين غيرهم . وقد عملت الرابوتشايا غازيتا الكثير من اجل تعزيز وحدة الحزب وفضح التصفويين والاوتزوفيين والتروتسكيين. وكانت لها جماهيرية واسعة بين العمال ، تطبع ٦٠٠٠ نسخة . ومنذ سنة ١٩١٠ حتى ١٩١٢ وصلت الرابوتشايا غازيتا وسوتسيال ديموكراتا الى ١٢٥ مكانا في روسيا توزع فيها على ٣٥٦ عنوانا[٣] .

وشن تروتسكي من خلال برافدا فيينا حملة على الرابوتشايا غازيتا ، ودعا العمال الى مقاطعة جريدة الحزب هذه .

ان اكثر ما آلم التروتسكيين في الرابوتشايا غازيتا هو انها طرحت « النضال على جبهتين في داخل الحزب كشعار اول »[٤] وفي كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩١٠ ، فضح لينين في مقاله « وضع الحزب الداخلي » ، تهجمات تروتسكي على الرابوتشايا غازيتا .

وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٠ ، بدأت تظهر في موسكو المجلة البلشفية العلنية «ميسل» ، وفي نهاية ١٩١١ في بطرسبورغ ظهرت صحيفة بروسفيشتشينيه . وكان ظهور الصحيفة العلنية زفيزدا حدثا هاما ، وظهر اول عدد منها في ١٦ كانون الاول

---

(٣) **الطبقة العاملة والحركة العمالية في روسيا (١٨٦١ ـ ١٩١٧) ، موسكو ، ١٩٦٦ ص ٢٤٢ .**

(٤) **ثورة الحزب الشيوعي الروسي في المستندات والوثائق ، ج ٥ ، موسكو ١٩٢٤ ، ص ٣٠٤ .**

(ديسمبر) سنة ١٩١١ . ومحرروها هم ف. بونش ـ برويفيتش و ن. بوليتاييف و م. اولمينسكي و ك. ايريمييف و س. سباندريان و ج. ستالين و م. غوركي و د. بيدني ، الخ ... وبقيادة لينين ، أصبحت الصحيفة زفيزدا والمجلتان ميسل وبروسفيشتشينيه ، الدعـاة لبرنامج وتكتيك الـ حـعادر . ولعبت دورا كبيرا في تثقيف الطبقة العاملة السياسي . فقد كانت هذه الصحف تطلعهـم على النظرية الثورية والشعارات الثورية ، وتساعد على توطيد العلاقات بين المنظمات الحزبية المحلية وبين المراكز البلشفية في الخارج ، وعلى فضح التصفويين والتروتسكيين ، وتعزيز وحدة الحزب .

ورأى لينين انه لتعزيز طاقة الحزب النضالية ، يجب تكوين ثوريين يتقنون النظرية جيدا ، وذوي ارادة صامدة ، ومتحدرين من الطبقة العاملة وجديرين بقيادة النضال ضد الانتهازيين . من اجل ذلك ، نظم البلاشفة مدرسة حزبية في ربيع سنة ١٩١١ في لونجومو في ضواحي باريس. وأتى تلامذة هذه المدرسة من منظمات الحزب في المراكز البروليتارية في روسيا . لم يكن بين هؤلاء بلاشفة فحسب بل وايضا مناشفة ـ موالون للحزب ، وممثلون عن الاشتراكية ـ الديمقراطية البولونية وغيرهم(٥) .

وقدم لينين لهؤلاء ٥٦ محاضرة ؛ كما قـدم تقريرا عن الوضع الراهن ، وعن الحالة في الحـزب . واتسمت محـاضرات لينين بالعمق العملي وبالصلة الوثيقة بالممارسة الثورية في روسيا . وكان مناضلو مدرسة لونجومو يناضلون فيما بعد من اجل تلاحم منظمات الحزب في روسيا ، ولتحضير كونفرونس عام للحزب .

كان على كونفرونس الحزب العـام ان يجمع كل القوى الامينة بالفعل للحزب ويخلصه من الانتهازيين . وقال لينين في شبـاط (فبراير) سنة ١٩١٠ : « من هنا الضرورة الاولية والملحة والحيوية للكونفرونس ... »(٦)

ولحـل مسألة عمل مراكز الحـزب وضرب نشاط الانشقاقيين والتصفويين والتروتسكيين ، واتخاذ القرار بالدعوة الى كونفرونس

---

(٥) **Istoritcheski Arkhiv 1962 No. 5, p. 40**

(٦) **ف. لينين ، المؤلفات ، موسكو ـ باريس ، مجلد ١٦ ص ١٥٩ .**

الحزب العام ، كان يستلزم عقد اجتماع موسع للجنة المركزية . ومن المعروف ، ان البلاشفة أصروا منذ الخامس من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩١٠ ، على عقد الاجتماع الموسع في الخارج ؛ الا ان التروتسكيين والتصفويين رفضوا هذا الطلب الشرعي .

واستخدم التصفويون وحلفاؤهم اغلبيتهم في اللجنة المركزية في الخارج ، وجمدوا عمل مكتب اللجنة المركزية الروسي ، وسعوا مع مؤيديهم الى تفتيت منظمات الحزب . وبعد ان فضح البلاشفة النشاطات الانتهازية للمكتب في الخارج ، قطعوا علاقاتهم مع هذه المنظمة المعادية للحزب . وفي ١٤ (٢٧) ايار (مايو) سنة ١٩١١ ، اعلن ن. سيماشكو ، ممثل البلاشفة رسميا انه ترك هذه الهيئة .

وبما انه ، عمليا ، لم يكن مكتب اللجنة المركزية الروسي موجودا ، وبما ان المكتب في الخارج تجاهل الطلب بدعوة اللجنة المركزية الموسعة للاجتماع فورا ، اتخذ البلاشفة ، بالاتفاق مع الاشتراكيين – الديمقراطيين البولونيين ، اجراءات استثنائية من اجل الدعوة لاجتماع أعضاء اللجنة المركزية للـ ح‌عادر ، من اجل حل مسألة كونفرونس الحزب .

وفي ١٤ (٢٧) ايار (مايو) سنة ١٩١١ ، وجه لينين ، باسم خمسة من أعضاء اللجنة المركزية، رسالة لكل أعضاء اللجنة المركزية الموجودين في الخارج يدعوهم فيها للحضور الى هذا الاجتماع(٧) . وانعقد اجتماع اعضاء اللجنة المركزية في باريس من ٢٨ ايار (مايو) (١٠ حزيران (يونيو) حتى ٤ (١٧) حزيران (يونيو) ١٩١١) ، ترأس لينين اعماله وقدم « تقريرا عن الوضع الداخلي في الحزب »(٨) . وكان محور النقاش الدعوة لعقد كونفرونس الحزب العام . وبما انه كان من الصعوبة عقد اجتماع اللجنة المركزية الموسع ، تبنى الاجتماع مبادرة الدعوة للكونفرونس السادس للحزب في روسيا . وفي القرار المتخذ بهذا الشأن ، اشير الى ان اقتراب موعد انتخابات الدوما الرابعة ، وانتعاش الحركة العمالية ، ووضع الحزب الداخلي ، تجعل الدعوة الى كونفرونس

---

(٧) مختارات لينين ، ٢٥ ، ص ٨٠ .

(٨) ف. لينين، المؤلفات، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٢٠ ص٢٦٢–٢٦٦ .

عـام مسألة ملحة وعاجلة . »(٩) وأوجدت لجنة تنظيم المؤتمر في الخارج لتقوم بأعمال التحضير ، اضافة الى لجنة تقنية مـن اجل تأمين الطباعة والنشر والنقليات .

أشركت لجنة التنظيم في الخارج ، في التحضير للكونفرونس ، ممثلين عن المنظمات المحلية في روسيا، كان عليهم ان يشكلوا بأقصى سرعة تجمعا روسيا . واعتبر لينين ان مركز تحضير المؤتمر يجب ان يكون في روسيا وان يتمتع بالاستقلالية الضرورية .

واقترح التوفيقيون الموجودون فـي الاجتماع اشـراك ممثلي البرافدا التروتسكية ، وجماعة فبريود ، والبوند ، وتجمعـات اخرى في الخارج ، في اعمال لجنة التنظيم في الخارج . اعترض لينين على ذلك بعنف مصرحا ان هذه التجمعات ليست « مؤهلة للعمل الا ضد الحزب ، ولاعاقة عمله ، ومساعدة الحزب العمالي العلني المستقل ، او الاوتزوفيين . »(١٠)

لعب اجتماع حزيران (يونيو) لأعضـاء اللجنة المركزية دورا هاما في اعـادة جمع كل القـوى ضد التصفويـين والتروتسكيين والاوتزوفيين ، وفي التحضير لعقد الكونفرونس العام . وقد لاقت مقررات حزيران (يونيو) مسانـدة بالاجماع من قبل منظمـات الحزب في روسيا ، والبلاشفة الموجودين في الخارج .

واستقبـل التصفويـون التروتسـكيون والاوتزوفيون هـذه المقررات بعداء سافر . فترك مارتوف ودان هيئة تحرير سوتسيال ديموكراتا ، معلنين انهما يرفضان التعاون مع البلاشفة . لم يبق ، بعـد ذهابهما ، الا هيئة مركزية واحـدة في الحزب يعمل فيها البلاشفة بالمشاركة مع التصفويين . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) سنـة ١٩١١ ، تـرك التصفوي ليـدر ، ممثـل الاشتراكيين ـ الديمقراطيين البولونيين، هيئة تحرير الجريدة المركزية. فأصبحت سوتسيال ديموكراتا ، منذ ذلك الحين ، بلشفية كليا .

وشن تروتسـكي حملة جديـدة من الافتراءات على مقررات اجتماع أعضـاء اللجنة المركزية في حزيران (يونيو) . فكـانت

---

(٩) الـ ح ش أ س ، في الوثائق والمقررات ... ج١ ، ص ٢٤٨ .
(١٠) ف. لينين، المؤلفات، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٢٠ ص ٢٧٣ .

البرافدا تصرخ « بالبونابرتية » و « بالاغتصاب » و « بالاستيلاء على السلطة » و « بالانشقاقية » الخ ... وكتبت انها تعتبر سياسة البلاشفة داخل الحزب « خاطئة جذريا » . وفي ١٧ حزيران (يونيو) سنة ١٩١١ ، تبنى تجمع فيينا قرارا يعترف فيه بمكتب اللجنة المركزية الانتهازي في الخارج كالمؤسسة الوحيدة الممثلة لكل الحزب ، وأكد له « كل تعاطفه ودعمه المعنوي »(١١) من ناحية اخرى ، قدمت هيئة تحرير البرافدا التروتسكية لمكتب اللجنة المركزية في الخارج دعما ماليا ، ودعت لايجاد لجنة تنظيم في أقرب وقت للدعوة الى كونفرونس « لكل الحزب » ما عدا البلاشفة .

ومن ٢٠ آب (اغسطس) حتى ٢٣ منه سنة ١٩٢٣ ، جمع التروتسكيون والتصفويون في بيرن كونفرونسا اسموه « الكونفرونس المقرب من مكتب اللجنة المركزية في الخارج » . وقد نظمه تروتسكي ودان . وتبنوا البيان « الى كل اعضاء الحزب » الموجه ضد قرارات اجتماع حزيران (يونيو) والداعي لخلق لجنة تنظيم في روسيا من اجل الدعوة لمؤتمر تصفوي . ولكن منظمات الحزب في روسيا انصرفت عن الانتهازيين ولم ينجح هؤلاء بتركيز لجنة التنظيم خاصتهم .

فقط قسم قليل من التوفيقيين في الخارج ، الذين لم يكن نهم اي دعم في منظمات الحزب في روسيا ، أيد التروتسكيين . وبعد اجتماع حزيران (يونيو) ، شكل التوفيقيون في الخارج تجمع « البلاشفة ـ الموالون للحزب » ، (م. فلاديميروف ، س. لوزوفسكي ، ا. ليوبيموف وآخرون) . وعرض التوفيقيون البلاتفورم الخاص بهم في كراس عنوانه «الى كل اعضاء الـ ح ع ادر» ابهموا فيه البلاشفة بالانشقاقية ، ودعوا الى الدعوة لعقد مؤتمر ، بأي ثمن على أساس وحدة كل الاتجاهات في الحزب ، اي عمليا ، على أساس البرنامج التروتسكي « لتجميع » كل التيارات . وأصدر، فيما بعد، تجمع « البلاشفة ـ الموالون للحزب » صحيفة في الخارج زابارتيو ، وفي روسيا صحيفة ايدينستفو ، بالتعاون مع جماعة بليخانوف .

---

(١١) ليستوك غولوساسوتسيال ـ ديموكراتا ، ١٩١١ ، ٢٥ حزيران (يونيو).

وفي كتابه « بصدد فئة جديدة من التوفيقيين الصالحين » المنشور في سوتسيال ديموكراتا في تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٩١١ ، انتقد لينين بلاتفورم توفيقيي باريس ، مظهرا انه لا يوجد اي فرق بين التوفيقيين والتروتسكيين ، وان التوفيقيين مثل التروتسكيين لا يجمعهم شيء بالبلشفية : « لا توجد اية موضوعة لا يردد حولها هؤلاء الزاعمون انهم بلاشفة (والذين هم في الواقع تروتسكيون متناقضون) اخطاء تروتسكي . »(١٢) ودعا لينين البلاشفة ، مظهرا مرة اخرى مخاطر التوفيقية ، لجمع كل قواهم في النضال من اجل الدعوة السريعة للكونفرونس .

لم يستطع البلاشفة الموجودون في لجنة التنظيم في الخارج الوصول الى روسيا لأن التوفيقيين استولوا على هذه اللجنة ، وعلى اللجنة التقنية ، وحالوا بكل الوسائل دون التحضير لمؤتمر الحزب وبذريعة « اعادة جمع » كل الفئات ، طالبوا بقطع التحالف بين المناشفة ـ الموالين للحزب والبلاشفة . وتردت الاحوال الى درجة رفض التوفيقيون تزويد البلاشفة بالمال اللازم لحاجات الحزب ، وخاصة لاصدار سوتسيال ديموكراتا . وكتب ا. بياتنيتسكي ، الذي كان حينذاك مسؤولا عن ايصال المنشورات من الخارج الى روسيا ، قال : « ... أصر ليوفا (فلاديميروف) عضو اللجنة التقنية ، ألا أرسل السوتسيال ديموكراتا الى روسيا ، واقترح في نفس الوقت ، ايصال المذكرة الاعلامية التي أصدرتها اللجنة التقنية في الخارج ... وما ان اقتنع بأني لن اوقف ارسال سوتسيال ديموكراتا الى روسيا ، حتى صرح لي بأن اللجنة التقنية ستتوقف عن تأمين الوسائل المالية من اجل النقل . »(١٣)

لم تنجح محاولات التوفيقيين لعرقلة عمل البلاشفة لتحضير المؤتمر مباشرة بعد اجتماع حزيران (يونيو) ، فأرسل ج. اوردجونيكيدزيه (سيرجو) و ا. شوارتز (سيميون) و ب. بريسلاف (زاخار) بصفتهم مفوضين مطلقي الصلاحية لايجاد لجنة تنظيم روسية . وحيثما كان يذهب هؤلاء كانت منظمات

---

(١٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٢٦٣ .
(١٣) أ. بياتنيسكي ، مذكرات بلشفي ، موسكو ١٩٥٦ ، ص ١٥٧ .

الحزب تعود الى الحياة ، وينتظم عمل الحزب من جديد ، ويبدأ التحضير للمؤتمر .

حاول التروتسكيون منع ايجاد لجنة تنظيم في روسيا . وكانوا ينشرون كافة انواع الاكاذيب عن اللجنة ، ويجهدون لاقناع مناضلي الحزب المحليين ، بأن البلاشفة يعقدون مؤتمرا انقساميا ، وأنهم ينبذون كل عمل شرعي ، ويضطهدون مناضلي المنظمات الشرعية .

حاول التروتسكيون اقناع المناشفة ـ انصار الحزب ان يرفضوا كل مشاركة في لجنة التنظيم الروسية ، والمشاركة في تحضير مؤتمر التصفويين الذي أسموه كونفرونس « كل الحزب » . ولممارسة سياستهم الفوضوية ، استعان التروتسكيون بالعناصر الاشد عداء للبلشفية . وفي تقريره عن عمل لجنة التنظيم في روسيا ، كتب اوردجونيكيدزيه : « يقيم تروتسكي كل من استطاع ضدنا . »(١٤) ولاقى نشاط التروتسكيين الاستفزازي مقاومة صامدة من كل المنظمات ، وهكذا حاول احد عملاء تروتسكي ، في منظمة باكو لل ح‌ع‌ادر ، اقناع الاعضاء بعدم المشاركة في خلق لجنة التنيظم الروسية ولكنه لاقى معارضة جازمة . وفي ايلول (سبتمبر) ١٩١١ ، كتب س. شاوميان الى ن. كروبسكايا : « علمت اليوم ان احد اتباع البرافدا (التروتسكي) من لجنة التنظيم الثانية قد وصل ، فهو بالطبع لن يصل الى شيء . »(١٥) وكذلك لم يستطع العملاء التروتسكيون التوصل الى غاياتهم في كييف وروستوف وييكاتيرينوسلاف ، وفي مدن اخرى .

وفي ٢٩ ايلول (سبتمبر) ، افتتحت في باكو الجمعية العامة للجنة التنظيم الروسية . وشارك فيها ممثلو منظمات الـ ح‌ع‌ادر في باكو ، وتفليس وييكاتيرينورغ وكييف وييكاتيرينوسلاف . وكان من بين حضور المؤتمر س. شاوميان و س. سبانداريان ، والمبعوث المكلف من لجنة التنظيم في الخارج ، ج. اوردجونيكيدزيه وكان صوته في الكونفرونس استشاريا .

وتحولت الجمعية الى لجنة التنظيم الروسية لعقد مؤتمر

(١٤) ج. اوردجونيكيدزيه ، مقالات وخطب، ج١ ، موسكو ١٩٥٦ ص ٢١ .

(١٥) س. شاوميان، الرسائل ١٨٩٦ ـ ١٩١٨، منشورات أرمينيا ١٩٥٩، ص١٦٤

الحزب ، وأقرت نداء الى منظمات الحزب المحلية « للمساهمة ، بكل الوسائل ، في قضية نهضة حزبنا ، وانتخاب مندوبين بسرعة الى كونفرونس الحزب ، واحياء عمل الاشتراكيين ــ الديمقراطيين على الصعيــد المحلي . »(١٦) وقــد قرر المجتمعون ان تطلع لجنة التنظيم الروسية بالتحضير للكونفرونس وبالتالي تكون اللجنة في الخارج واللجنة التقنية خاضعتين للجنة التنظيم الروسية ، ولا تستطيعان القيام بأية خطوة دون موافقتها(١٧) .

لقد تعاون البلاشفة والمناشفة ــ الموالون للحزب من أجل خلق لجنة روسيا للتنظيم ؛ وتجدر الاشارة هنا الى ان هذا العمل قــد حصل دون مشاركة بليخانوف . فحجم أخطاء المناشفة لم يساعده في الظرف الدقيق ان يقطع نهائيا ورسميا مع التصفويين . وكتب لينين في رسالة الى غوركي : « بليخانوف يتــذبذب ، هو دائمــا هكذا ، عنــدما يقترب القطع ، انه مثل المرض . »(١٨) وأيــدت منظمات الحزب بحرارة قرارات لجنة روسيا للتنظيم . وبدأت في كل مكان انتخابــات المندوبين للمؤتمر . وكان خلق مركز للحزب مخول بسلطة واسعة في روسيا ، حدثــا كبير الاهمية في حياة الـ ح‌عادر ؛ فقد وضع حدا لأزمة « التوحيد » في الحزب . وكتب لينين : « لقد رفعت الراية كل روسيا ، وتتجه الحلقات العمالية نحوها ، واي هجوم معــاد للثورة لن ينال منها بعــد الان . »(١٩) ولكنه كان يجب ايضا قبل عقــد الكونفرونس القيام بعمل تنظيمي جبار ، وتجنب ملاحقات الشرطة السياسية القيصرية ، والرد على هجمات التصفويين والتروتسكيين والتوفيقيين وانتهازيين آخرين .

واتخذ التروتسكيون مواقف معادية لمقررات لجنة التنظيم في روسيا ، مصرين كما في السابق على جمع كل الكتل والفئات في حزب واحد . وظهر العدد الثاني والعشرون من برافدا تروتسكي بعــد شهر من لجنة التنظيم ، لازما الصمت حول مقرراتها . ولكن

---

(١٦) ح ش أ س ، في الوثائق والمقررات ... ج١ ، ص ٢٥٣ .

(١٧) نفس المصــدر ، ص ٢٥٤ .

(١٨) ف. لينين، المؤلفات، باريس ــ موسكو ، مجلد ٣٦ ص ١٧٤ ــ ١٧٥ .

(١٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٣٥٣ .

العدد كان ينشر المــواد المدافعة عن جماعة فبريود والتصفويين . وفي هذه المناسبة ، كتب لينين : « بالنسبة لتروتسكي ، هــذه اللجنة غير موجودة ... وجود مركز الحزب الروسي المشكل مــن الاغلبية الساحقة من المنظمات الاشتراكية ـ الديمقراطية الروسية ! او بالاحرى ايها الرفاق ، هل تروتسكي ومجموعته الصغيرة في الخارج الذين هم عدد غير مهــم بالنسبة للمنظمات الاشتراكية ـ الديمقراطية الروسية ؟ »(٢٠)

بينما كانت منظمات الحزب في روسيا تستعــد لكونفرونس الحزب العام ، عاد التروتسكيون الى الضجيج في صحيفتهم حول « حرية التحالف والتنظيم » جاهدين لاقناع العمال بــأن ذاك هو مطلبهم الطبقي الاساسي في المرحلة الراهنة . وقد كتب لينين بأن تروتســكي كان يغطي عمليا انتهــازية الاوتزوفيين والتصفويين . واطلق التوفيقيون في لجنة التنظيم في الخارج الحملات الحانقة على لجنة التنظيم في روسيــا ، واتهموها بالانقسامية وبالعــداء للمنظمات القومية ، وبعدم مراقبة التوجيهات . وفاضحا نشاط التوفيقيين المعادي للحزب ، كتب ج. اوردجونيكيدزيه الى هيئة تحرير سوتسيال ديموكراتا بــأن لجنة التنظيم الروسية « سوف تدعو للكونفرونس العام للحزب بالرغم من كل جهود معارضيها . اما بالنسبة للجنة التنظيم في الخارج واللجنة التقنية ، فبعــد أعمالهما الاخــيرة ، أصبحتا غــير موجودتين بالنسبة للمنظمــات الروسية . »(٢١)

ورغبة منهم في عدم تحمل مسؤولية اعمال التوفيقيين المعادية للحزب ، ترك البلاشفة لجنة التنظيم في الخارج واللجنة التقنية في تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٩١١ . وقــد سقطت اللجنتان تحت ضربات البلاشفة ، وتبعهما مكتب اللجنة المركزية التصفوي في الخارج ، حيث زال من الوجود . ان سياسة التروتسكيين والتوفيقيين « التوحيدية » التي لم ترتكز على اي مبدأ قد فشلت.

---

(٢٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٣٦٤ .

(٢١) ج. اوردجونيكيدزيه ، مقالات وخطب ، ج١ ، ص ٣٢ .

واشار لينين الى ان سياسة التوفيق ، « في غضون سنة ونصف السنة ... قد لاقت **فشلا** تاما : فهي لم « تصالح » احدا ، ولم تخلق اي شيء في اي مكان ، وقد تأرجحت عاجزة من جهة الى جهة ، واستأهلت لذلك تهانيء التفصوبين . »(٢٢) لم يتبع الحزب التروتسكيين والتوفيقيين بل تبع البلاشفة ولينين في طريق التلاحم وفقا لمبادىء الماركسية الثورية . وبقي التروتسكيون والتوفيقيون كما كانوا ، حفنة من المتآمرين في الخارج ، منقطعين عن الواقع الروسي، ولا يجمعهم شيء بحزب الطبقة العاملة الثوري.

وساعد خلق لجنة التنظيم الروسية، والعمل النشيط لمنظمات الحزب في روسيا ، على توحيد وتعزيز القوى البلشفية في الخارج . وعقد في باريس ، في ٢٧ كانون الاول (ديسمبر) حتى ٣٠ منه ، كونفرونس التجمعات البلشفية في الخارج ، افتتحه لينين بخطاب ، كما قدم تقريرا عن الوضع في الحزب . واعطى لينين تحليلا عميقا لنضال الحزب ضد الانتهازيين بعد اجتماع كانون الثاني (يناير) الموسع للجنة المركزية ، وأظهر ان التصفويين يخلقون حزبا جديدا ، ويعطاون عمل منظمات الحزب ، ويخربون وحدة الطبقة العاملة ، مساعدين في ذلك البورجوازية . وطالب لينين صراحة بفصل التصفويين من الحزب ، فقال : « اننا على ارض حزبيين .. »(٢٣) وانتقد بحدة في تقريره، التروتسكيين والتوفيقيين والاوتزوفيين الذين كانوا يساعدون التصفويين على خداع العمال . وقال ان عزل هذه المجموعات المعادية للحزب هي مهمة البلاشفة هذه القوة الثورية الوحيدة في الحزب . وعندما صرح ا. بوبوف (انطونوف) ان منظمة البلاشفة ليست « لا فئة ولا حزبا » ، واقترح تسميتها « اتحاد الاشتراكيين ـ الديمقراطيين » او « الجناح اليساري للحزب » ، قال لينين : « اقتراح انطونوف هو من النزعة التروتسكية ؛ لا يوجد اشتراكيون ـ ديمقراطيون آخرون غير البلاشفة . »(٢٤) وقد أقر الكونفرونس ان البلاشفة

---

(٢٢) ف. لينين، المؤلفات، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .
(٢٣) مختارات لينين ، ٢٥ ـ ص ١٠٩ .
(٢٤) مختارات لينين ، ٢٥ ، ص ١٠٩ .

والمناشفة ـ الموالين للحزب بعدهم ، هم الذين يشكلون الحزب .

وأقر المؤتمر القرار الذي اقترحه لينين ، والذي يحيي مقررات لجنة التنظيم الروسية ، ويعلن مشاركته في كونفرونس الحزب المقبل ، وانتخب الكونفرونس لجنة تنظيم الـ حعادر في الخارج ، وكان من أعضائها ا. آرمان و ن. كروبسكايا و ن. سيماشكو و م. فلاديميرسكي .

بفضل نشاط البلاشفة من اجل تعزيز الحزب في روسيا وبفضل نضالهم المرير ضد التصفويين والتروتسكيين والاوتزوفيين، والتوفيقيين ، جرى كونفرونس الـ حعادر السادس الذي عقد في كانون الثاني (يناير) ١٩١٢ في براغ . تمثلت في هذا الكونفرونس كل المراكز البروليتارية الكبيرة في روسيا، اي مندوبو ٣٧ مدينة(٢٥).

وتشكل الكونفرونس شرعيا بصفته « الكونفرونس العام لـ حعادر ، الهيئة العليا في الحزب »(٢٦) .

عندما دعي بليخانوف الى الكونفرونس ، رفض المشاركة في اعماله بحجة انه لا يمثل كل منظمات الحزب . ودعي ايضا غوركي الى الكونفرونس ولكن المرض منعه من الحضور فأرسل للمشتركين فيه رسالة تحية حارة(٢٧) .

ووجهت جماعة من المندوبين الى الكونفرونس رسائل للمنظمات الاشتراكية ـ الديمقراطية الوطنية ، ولهيئة تحرير برافدا تروتسكي ولمجموعة « فبريود » ،ولبعض المنظمات الاخرى، تدعوهم للمشاركة في الكونفرونس . ولكن القيادات في المنظمات الاشتراكية ـ الديمقراطية الوطنية رفضت ارسال مندوبيها بالرغم عن رأي القاعدة .

---

(٢٥) ونفرونس عامة روسيا لحزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي ، ١٩١٢ ، باريس ، ص ٧ .
(٢٦) الـ ح ش أ س ، في الوثائق والمقررات... ج١ ، ص ٢٧٠ .
(٢٧) م. غوركي ، المؤلفات ، ج ٢٩ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

كما ان القرار « حول غياب مندوبي المراكز الوطنية الى الكونفرونس العام للحزب » اشار الى ان هذه المراكز الوطنية تتحمل المسؤولية الكاملة عن هذا التغيب . وكلف المؤتمر اللجنة المركزية اقامة علاقات طبيعية مع المنظمات الوطنية ، وعبر عن ثقته بأنه بالرغم من كل العوائق « فالعمال الاشتراكيون ـ الديمقراطيون في كل القوميات الروسية سوف يناضلون بأخوة ، جنبا الى جنب، من اجل القضية البروليتارية ، وضد كل اعداء الطبقة العاملة »(٢٨) ويكذب هذا الواقع بوضوح تأكيدات التروتسكيين بأن البلاشفة قد فصلوا من الحزب المنظمات الاشتراكية ـ الديمقراطية القومية .

وقد رفض ايضا توفيقيو باريس ، وأعضاء « فبريود » والتروتسكيون ، المشاركة في الكونفرونس . وبينوا بذلك رفضهم للعمل الى جانب ممثلي المنظمات الاشتراكية ـ الديمقراطية الروسية ، كما ظهروا أعداء حقيقيين للحزب الثوري .

ان اعمال الكونفرونس الذي كانت، له اهمية مؤتمر حزبي ، جرت في جو من المناقشة الجدية والرفاقية للمسائل الاساسية المطروحة على البلاشفة في تلك المرحلة . وكانت كل الاعمال بقيادة لينين الذي قدم تقارير عن المسائل الرئيسية في جدول الاعمال ، وهو الذي صاغ ايضا مشروعات المقررات الهامة .

وقدم لينين في تقريره « حول المرحلة الراهنة ومهام الحزب » ، تحليلا لوضع وتكتيك الحزب في ظروف المد الثوري الجديد . ويشدد القرار ، الذي اتخذ على اساس هذا التقرير ، على منظمات الحزب لتعزيز الحزب السري ، ولوحدة الطبقة العاملة واتحاد البروليتاريا والفلاحين ، ولدعم حركة الجماهير الثورية » تحت راية شعارات الحزب المطبقة كليا »(٢٩) .

وعمل كونفرونس براغ على احياء وتعزيز الحزب الماركسي السري ، وتخليصه من الانتهازيين ، وعلى تشكيل هيئة الحزب القيادية ـ اللجنة المركزية . وكتب لينين بعد الكونفرونس الى

---

(٢٨) الـ ح ش أ س ، في الوثائق والمقررات ... ج١ ، ص ٢٧١ .
(٢٩) الـ ح ش أ س ، في الوثائق والمقررات ، ج١ ، ص ٢٧٣ .

غوركي : « واخيرا ، نجحنا ، بالرغم من هؤلاء التصفويين القذرين ، باعادة الحياة الى الحزب والى لجنته المركزية »(٣٠) .

لقد قدم كونفرونس براغ حصيلة نضال البلاشفة سنين عديدة ضد الانتهازيين ، من اجل خلق حزب من طراز جديد ، هو حزب اللينينية . ونظرا الى ان التصفويين الملتفين حول المنشورات العلنية ناشازاريا وديبلوجيزني ، قد قطعوا منذ زمن بعيد مع الـ ح‌ع‌ادر ، على الصعيدين الفكري والتنظيمي ، وشكلوا حزبا علنيا جديدا ، اعلن المؤتمر ان « كتلة ناشازاريا وديبلوجيزني ، قد وضعت نفسها ، من خلال سلوكها ، منذ زمن بعيد خارج الحزب »(٣١) .

واولى الكونفرونس اهتماما كبيرا لعمل الحزب في الخارج . فالتروتسكيون واعضاء « فبريود » والبوند ، الذين انفصلوا عن الـ ح‌ع‌ادر وكانوا يمارسون ضده نشاطا هداما ويساعدون التصفويين على ايجاد حزب جديد اصلاحي ، قد لاقوا من الكونفرونس نقدا قاسيا .

واصر لينين على خوض نضال حاسم ضد الكتل المعادية للحزب، وعلى فضح التروتسكيين . وقد قال في احدى مداخلاته في الكونفرونس « ما هو رئيس التوفيقيين ، تروتسكي ؟ هذا السيد ... تحت شكل ادب سري للحزب ، يسرب خفية وبالتهريب ، الفكر التصفوي الى الوسط العمالي الروسي . كان يجب فضح ذلك . ولم يكن من بد ، ايضا ، من اظهار الذين يمارسون لعبة تروتسكي اراديا او لا اراديا ... انه صراع حتى الموت يجابهنا اليوم ولا يجدي نفعا التحسر والشكوى »(٣٢) . وأشار المندوبون ، في المداخلات ، الى انه من خلال اعمالهم لصالح التصفويين قد رمي التروتسكيون ، منذ زمن بعيد ، خارج الحزب .

نقض الكونفرونس القرار الخاطىء الذي اتخذه الاجتماع الموسع

---

(٣٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ١١ .

(٣١) الـ ح ش أ س ، في الوثائق والمقررات ... ج١ ، ص ٢٨٣ .

(٣٢) تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي، ج٢ ، ص ٣٦١ – ٣٦٢ .

في كانون الثاني (يناير) ١٩١٠ بشأن الاتفاق مع البرافدا التروتسكية . وطالب الكونفرونس بشن نضال حاد ضد كل أعداء الحزب ، ومساعديهم ، ودعا الى تلاحم كافة العناصر في الخارج الامينة فعلا للحزب . وقد اعترف بضرورة وجود منظمة موحدة في الخارج للحزب تقوم بكل الاعمال ، تحت رقابة اللجنة المركزية . وثبت المؤتمر لجنة منظمات الـ ح ع ادر في الخارج ، المنظمة الاشتراكية ـ الديمقراطية الروسية الوحيدة في الخارج . اما بالنسبة للتكتلات في الخارج ، « التي لا تخضع للمركز الروسي للعمل الاشتراكي ـ الديمقراطي ، اي للجنة المركزية ، وتزرع الفوضوية من خلال علاقات خاصة بروسيا من وراء اللجنة المركزية، فلا يجوز لها استعمال اسم الـ ح ع ادر »(٣٣) . هذا ما جاء في القرار « حول منظمة الحزب في الخارج » . كان يعني هذا عمليا أن التروتسكيين ، وجماعة «فبريود» و «الفولوس» ، والتوفيقيين والبوند وغيرهم من التجمعات والمجموعات الضئيلة المعادية للباشفية ، قد فصلت من صفوف الـ ح ع ادر .

هكذا طهر كونفرونس براغ ، الحزب من الانتهازيين . كان ذلك الانتصار الكامل لخط لينين الهادف الى القطع مع الانتهازيين . وبوجودهم مع المناشفة في صفوف الـ ح ع ادر ، شكل البلاشفة في الواقع حزبا مستقلا بقيادة لينين ، له منطلقه الخاص ، وتكتيكه الثوري الخاص ، ومركزه البلشفي ؛ وقال لينين : « منذ سنة ١٩٠٣ حتى ١٩١٢ ، بقينا مع المناشفة ، أحيانا لعدة سنوات ، بالاسم في نفس الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي ، دون ان نتوقف محاربتهم على المستوى الايديولوجي والسياسي كعملاء لتأثير البورجوازية على البروليتاريا ، وكانتهازيين »(٣٤) .

لو لم يتطهر الحزب من الانتهازيين ، ويعزز وحدته ، لما كان ممكنا انتصار الثورة البروليتارية واقامة ديكتاتورية البروليتاريا . وقد كتب لينين سنة ١٩٢٠، بالاعتماد على تجربة الثورتين الروسية والمجرية : « اذا أبقت في صفوفها اصلاحيين ومناشفة ، **لا تستطيع**

---

(٣٣) الـ ح ش أ س ، في الوثائق والمقررات ... ج١ ، ص ٢٨٦ .

(٣٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣١ ص ٦٨ .

الثورة البروليتارية ان تنتصر ، **ولا تستطيع** الصمود . هذه مسلمة مبدئية ... هذا اعتبار محـــدد »(٣٥) .

لقد كان لطرد الانتهازيين شأن عالمي كبير ، لقــد كان ، بالنسبة لكل العناصر الثورية في احزاب الاممية الثانية ، مثالا للنضـــال المبدئي من اجل وحــدة الحزب البروليتاري الثوري ضد عمــلاء البورجوازية في الحركة العمالية . واعتبر لينين انه يجب على كل حزب ماركسي ان يضع لنفسه قانونـــا يبعد بموجبه مـــن الحزب القادة الاصلاحيين ، ويستبدلهم بأناس ثوريين حقـــا . وقد كتب « ان مسألة استبدال القادة المجربين الاصلاحيين ، او الوسطيين بمبتدئين ، ليست مسألة خاصة لا تتعلق الا ببلد واحـــد في مرحلة معينة ، بل هي مسألة عامة تتعلق بكل ثورة بروليتارية ... »(٣٦).

ومع ان البلاشفة كانوا قـــد حسموا مع الاصلاحيين ، عـــلى الصعيد التنظيمي ، الا انهم لـــم يديروا ظهورهم ابدا للعمال الذين تبعوا الاصلاحيين . وطالما طالب لينين بأن يوضح لهؤلاء العمال ، خطر السياسة الانتهازية ، من خلال الاحداث الملموسة . وقـــد كتب : « يجب التوجه الى العـــمال الروس المرتبطين بـ **فبريـــود** و **البرافدا** من خارج قيادات هذه الكتل وضدها ، هذه السياسة التي مارستها ، والتي تمارسها وسوف تمارسها البلشفية بالرغم من كل العقبات »(٣٧) .

بعد ان تقرر طرد الانتهازيين من الحزب ، شـــكل كونفرونس براغ الاجهزة المركزية التي كان قـــد هدمها الانتهازيون ؛ وانتخب اللجنة المركزية وعلى رأسها لينين . ومن اجل قيادة العمل اليومي في روسيـــا ، أوجـــد مكتب اللجنة المركزية الروسي . وشـــكل الكونفرونس ايضا هيئة تحرير الجريدة المركزية للحزب، **السوتسيال ديموكراتـــا** . واعترف الكونفرونس بـ **الرابوتشايا غازيتا** جريـــدة رسمية للجنة الحزب المركزية .

جمع الكونفرونس كل منظمات الحزب السرية في روسيا تحت

---

(٣٥) نفس المصـــدر ، ص ٣٩٨ .

(٣٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٣١ ص ٤٠٢ .

(٣٧) نفس المصـــدر ، مجلد ١٧ ص ٢٧٧ .

قيادة اللجنة المركزية المنتخبة . وفي ظروف النمو الثوري كان ذلك يساهم في تعزيز دور الحزب القيادي في الحركة العمالية . وجاء في وثيقة الكونفرونس : « كل من هو حي ، كل من يرغب في خدمة قضية تحرير الطبقة العاملة ، ينضم مجددا تحت راية الـ ح‌ع‌ادر المجيدة . كل من هو ضعيف الفكر ، كل من يتردد ، يذهب الى الجانب الاخر من الحاجز ؛ الحزب ، يسير الى الامـام ويجتاز كل المصاعب التي تعترض سبيله »(٢٨) .

لقد عززت مقررات كونفرونس براغ انتصار مبادىء اللينينية الثورية في انشاء الحزب البروليتاري ، ممارسة تأثيرا كبيرا على نضاله من اجل ديكتاتورية البروليتاريـا ، وأظهرت لكل العناصر الثورية في الاحزاب الاشتراكية الاوروبية الغربية مثالا من الجرأة والامـانة للمبادىء .

ومـا ان انتهى كونفرونس براغ حتى نشرت اللجنة المركزية وثائقه ، وأرسلتها الى روسيـا . وكذلك عـاد اعضاء الكونفرونس واعضاء اللجنة المركزية الى بلادهم ليشرحوا مقررات الكونفرونس ، وليقوموا بأعمال التنظيم .

وايدت منظمات الحزب ، في كل مكـان ، مقررات كونفرونس براغ . ويذكر ا. اونوفرييف ، احد عمال بطرسبورج المندوبين الى الكونفرونس فيقـول : « اينمـا سنحت الفرصة لي للتكلـم عن كونفرونس براغ ، الذي كان رئيسه وملهمه فلاديمير ايليتش لينين، كان العمال يؤيـدون مقرراته بحمـاس ، ويطرحون العديـد من الاسئلة عن اعماله . وبالطبع ، كان العمال في كل اجتماع يسألونني عن لينين »(٢٩) .

منذ شهر شباط (فبراير) حتى منتصف نيسان (ابريل) ١٩١٢ ، أيـدت مقررات كونفرونس براغ ، منظمات الحزب في بطرسبورج وموسـكو وتفليس وايناكييفو واوديسا ونيكـولاييف

---

(٣٨) مؤتمر عـامة روسيـا لحزب العمـال الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي ، ١٩٢٠ ، ص ١١ ـ ١٢ .

(٣٩) أ. أونوفرييف ، لقاءات مع لينين (ذكريات مندوب الى كونفرنس الحـزب في براغ) ، موسكو ١٩٦٦ ، ص ٢٨ .

وروستوف وسامارا وساراتوف وريفا ويكاتيرينبرغ ... وأيد البلاشفة في الخارج سياسة الحسم مع الانتهازيين . وكتبت اينيسا آرمان في تقريرها عن اعمال لجنة تنظيم الـ حعادر في الخارج ، ان البلاشفة في الخارج « قد ايدوا الكونفرونس بالاجماع وكذلك مقرراته ومراكز الحزب التي اختارها »(٤٠) .

اهتاج التصفويون والتروتسكيون ، المطرودون من الحزب ، ضد مقررات كونفرونس براغ . وراحوا يشيعون الاكاذيب عن « لا شرعيته » وعن « طابعه التكتلي » . وفي شباط (فبراير) سنة ١٩١٢ ، كتبت كروبسكايا الى سامارا ان تروتسكي « بدأ نقاشا مسعورا » بشأن الكونفرونس وان الفولوس سوتسيال ديموكراتا « تنشر بامتنان هذا النقاش على ورقة خاصة »(٤١) .

كانت برافدا تروتسكي تقنع قراءها بأن كونفرونس براغ ، كان يتميز بتركيب محدود، وحيد الجانب من حيث اختيار المشتركين، وانه كان اجتماعا خاصا لمؤيدي لينين . وهيئة التحرير التروتسكية تأسف لعدم دعوة ممثلي الفولوس سوتسيال ــ ديموكراتا ومنظمات تصفوية اخرى الى الكونفرونس . وقد نشر تروتسكي مقالا بعنوان « ضربة سيئة للحزب » تكلم فيه عن « اغتصاب السلطة » من قبل البلاشفة ، وعن « الطابع اللاشرعي » و « عدم جدوى » كونفرونس براغ ، الذي لا يمكن ان يمارس أدنى تأثير على عمل منظمات الحزب الروسية(٤٢) .

---

(٤٠) Istoritcheski Arkhiv ١٩٦١ ، عدد ٢ ، ص ١١٢ .

(٤١) لينين وسامارا ، وثائق مختارة ، كويبيشيف ١٩٦٦ ، ص ٤٦٦ .

(٤٢) يستعيد مزيفو تاريخ الـ ح ش أ س البورجوازيون تأكيدات التروتسكيين . ف. شارندروف متباكياعلى عزل التروتسكيين من الحزب ، يردد اكاذيبهم، بأن كونفرونس براغ قد دعي اليه من قبل البلاشفة ، ومن قبل زعيمهم ، خارقين كل هيئات الحزب ، وفوق ارادة اللجنة المركزية ، وانه لم يكن له الحق في عزل التروتسكيين والمناشفة (W. Scharndorff. Die Geschichte وفي الواقع فقد دعي الكونفرونس وفقا لقرارات اجتماع كانون الثاني (يناير) الموسع للجنة المركزية (١٩١٠) ، ووفقا لكونفرونس حزيران (يونيو) لاعضاء لجنة الـ ح ع ا د ر المركزية . اذن لا يمكن التكلم عن خرق الانظمة الحزبية. وقد تمثلت اكثر منظمات الحزب اهمية في الكونفرونس ، وقد حضر له

ومحاولة منهم لضرب اعتبار مقررات كونفرونس براغ ، راح التروتسكيون يثيرون الضجيج حول عدم وجود منظمات حزبية في نيكولايف وبطرسبورج ويكاتيرينوسلاف وكازان وتفليس وغيرها من المدن التي ارسلت مندوبين . لكن البلاشفة تصدوا للتروتسكيين وكذبوا افتراءاتهم . في ٢ (١٥) شباط (فبراير) ١٩١٢ ، كتبت كروبسكايا بأن منظمة نيكولاييف » قد اتخذت القرار بالالتزام بمقررات الكونفرونس بالرغم من الدعاية التي وجهها التروتسكيون الذين جاءوا الى المدينة اثناء هذا الكونفونس.. »(٤٣)

عندما علم بلاشفة موسكو بادعاءات التروتسكيين القائلة بأن ممثلهم (البلاشفة) في الكونفرونس لم يكن بلشفيا ، بل عضوا في الحزب الاشتراكي البولوني ، اعلنوا مباشرة في رسالة وجهوها الى هيئة تحرير سوتسيال ــ ديموكراتا ، ان كل ذلك كان كذبا مشينا من بدايته حتى النهاية(٤٤) .

وجهد التروتسكيون ايضا للطعن بمندوب تفليس ج. اوردجونيكيدزيه مؤكدين انه قد عيّن من لدن عدد ضئيل من الاشخاص ، وانه لا توجد منظمة لل ح‌عادر في تفليس ؛ وأوضح بلاشفة تفليس، بالوقائع الملموسة ، كل لا معقولية هذه التأكيدات ؛ ومشيعة الافتراءات عن بلاشفة ما وراء القفقاس ، كانت برافدا تروتسكي تؤكد ان ممثل البروليتاريا القفقاسي الوحيد ، هي لجنة القفقاس التصفوية . وفي الواقع ، كانت تلك مجموعة من المناشفة المثقفين التصفويين الذين لا يتمتعون بأي دعم من الطبقة العاملة القفقاسية ومن منظمات الحزب في القفقاس . وقد كتب س. سباندريان عن لجنة القفقاس في تقريره الى كونفرونس براغ قال « ... ان لجنة المنطقة لا تمارس اي عمل سري ، اما بشأن عملها العلني ، فهو يعني التخلي المعيب عن التكتيك والخط البروليتاريين ... ان ادعاءاتها للتكلم باسم البروليتاريا القفقاسية مضحكة »(٤٦)

البلاشفة والمناشفة ــ انصار الحزب ، الذين حضروا ايضا كونفراس براغ.

(٤٣) الثورة البروليتارية ، ١٩٤١ ، رقم ١ ، ص ٥٩ .

(٤٤) سوتسيال ــ ديموكرات ، ٤ (١٧) حزيران (يونيو) ١٩١٢ ، الملحق.

(٤٥) نفس المصدر .

(٤٦) س. سباندريان ، مقالات ورسائل ووثائق ، موسكو ١٩٥٨ ، ص ٢٧٦ .

كان يجب الافتراء على البلاشفة لاظهارهم كتكتليين ، ولاظهار التصفويين المطرودين من الحزب « عناصر ثمينة من الـ حزادر » وقد طالب تروتسكي بالحاح بضرورة ذهاب البلاشفة الى كونفرونس التصفويين ، وشرح سبب طرد هؤلاء من الحزب . وكان تروتسكي يسأل : « من الذي أولاكم الرقابة المطبقة على كل الميول الاخرى في الحزب ؟ من الذي أعطاكم مفتاح الحزب كما يعطى للمنتصر مفتاح المدينة ؟ من الذي اعطاكم الحق بترك البعض يدخلون وباخراج آخرين ؟ » .

وكعدو لدود لمؤتمر براغ ، استعمل تروتسكي كل طاقاته لتنظيم حلف كل القوى المعادية للحزب ، في حزب عمالي ستوليبيني . الا ان مغامرة التروتسكيين « التوحيدية » هذه ، قد باءت هي ايضا بالفشل .

البلاشفة يحطمون تكتل آب (اغسطس) التروتسكي انتصار البلشفية على الانتهازية والوسطية في الحركة العمالية الروسية

وقد أرعبتهم نجاحات البلاشفة ، ورغبوا بأي ثمن التشهير بكونفرونس براغ ، قرر التصفويون بمبادرة من تروتسكي عقد كونفرونس « عام للحزب » خاص بهم ، للرد على الكونفرونس البلشفي .

وفي كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٢ ، وفي احدى مدن الحدود الروسية ، عقد البوند ، بموافقة تروتسكي ، اجتماعا لعدة مجموعات انتهازية ، وأوجدوا لجنة تنظيم من اجل عقد كونفرونس « عام للحزب » يجب ان يشارك فيه ممثلو « كل التجمعات والمنظمات في الحزب بغض النظر عن انتمائها لهذا او ذاك من التيارات »(٤٧) .

وأرسلت البرافدا التروتسكية مندوبها فورا الى لجنة التنظيم . وقام تروتسكي بحملة صاخبة لعقد الكونفرونس مهاجما كل الذين

---

(٤٧) كراس لجنة التنظيم من اجل عقد كونفرونس الحزب العام ٢٠ ايار (مايو) ، ٢ حزيران (يونيو) سنة ١٩١٢ .

ينادون بعدم دعوة التصفويين اليه . وقد كتب : « لا يمثل التصفويون شيئا آخر غير فئة من حزبنا (حعادر) القديم ... ولا يحق لأحد ان يقف معترضا طريقهم »(٤٨) . وقد حصل تروتسكي على خمسة آلاف مارك من ادارة الحزب الاشتراكي — الديمقراطي الالماني ، لتنظيم كونفرونس التصفويين .

وراح تروتسكي يستعجل اصدقاءه لعقد الكونفرونس ، بأسرع وقت ، معلنا اياه « مؤتمر الحزب » . وكتب دان الى مارتينوف قبل الكونفرونس بوقت قليل : « يعد تروتسكي « اتباعه » بأن يكون « اكثر دهاء » من لينين ، واخبرك بأكثر ما يكون من السرية ان تروتسكي قد راسلني منذ شهرين (ورجاني الا اخبر احدا بذلك) ويقول ان فكرة تدور في رأسه ، نظرا الى عقد كونفرونس لينين ، فمن الافضل ان تكون تسمية الكونفرونس الذي سنعقده ... مؤتمر الحزب » . وفي معرض انتقاده التصفويين بالميوعة وعدم النشاط ، هددهم تروتسكي بتركهم لخلق « تركيبة اخرى » . فموقف تروتسكي في الواقع ، فيما يتعلق بكل مسائل الحياة السياسية والداخلية في الحزب ، يتماثل كليا مع مواقف التصفويين . فذلك ما يعترف به أولئك انفسهم . وكتب مارتينوف الى تروتسكي : « لا تقبلوا بتسوية في مناقشة مسألة التنظيم ، ولا تقبلوا بطرد تصفوي واحد من الحزب ... اما فيما يتعلق بالمسائل السياسية الهامة ، فلا تتنازلوا ابدا عن برنامج حد ادنى يوضع لمصلحة « وحدة العمل » ... وما تكتبه في فورفارت ، فأي تصفوي يستطيع توقيعه ... فمن المسلم به ، انه الان في الحزب لدينا كل المسائل الجارية الهامة تكتيكان متعارضان . نحن واياك ندافع عن تكتيك ، ولينين عن تكتيك آخر »(٤٩) .

ولقد صرح تروتسكي بأن الروح الانقسامية كانت غريبة عن كونفرونس التصفويين ؛ ذاك ، ليخفي تحت قناع « الروح الحزبية » غاية التصفويين الحقيقية وهي خداع الطبقة العاملة الروسية. وفي كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٢ ، أرسل دان الى مارتينوف

---

(٤٨) بيان برافدا فيينا ١٥ (٢٨) حزيران (يونيو) ١٩١٢ .

(٤٩) بروليتارسكايا ريفوليوتسيا ١٩٢٧ ، عدد ١ (٦٠) ص ١٦٢ — ١٦٤ .

قرارات عدة جمعيات تصفوية في روسيا . وتشهد هذه الوثائق كلها على رغبتهم باستبدال منظمات الحزب السرية ، في كل مكان ، بأندية سياسية عمالية علنية، وبتشكيل مجموعة مركزية للمبادرة ، تتحول فيما بعد ، الى لجنة مركزية تصفوية(٥٠) .

هكذا كان التصفويون ، الذين دافع تروتسكي بحرارة عن كل مخططاتهم، يتحضرون ليس لتوحيد كل الاشتراكيين ـ الديمقراطيين ولكن لاعلان حزب علني اصلاحي . وقد كتب لينين مقيما التكتل الانتهازي الذي شكله تروتسكي : « قاعدة هذا التكتل واضحة ؛ للتصفويين كل الحرية بالدفاع « كما في السابق » عن خطهم في جيفوييه ديلو وناشازاريا بينما يقدم لهم تروتسكي من الخارج تغطية جملته « الثورية » التي لا تكلفه شيئا ولا تلزمهم هم بأي شكل »(٥١) .

كانت لجنة التنظيم التي أوجدها التروتسكيون ، وهللوا لها ، عاجزة تماما . وقد رفض الاشتراكيون ـ الديمقراطيون البولونيون وحتى « البلاشفة الموالون »(٥٢) المشاركة فيها . وكذلك صرح بليخانوف ، الذي دعي مرارا للمساهمة في اعمالها، بأن التصفويين يدعون لاجتماع جمعية تأسيسية لانشاء حزب جديد ، وقد رفض هو ايضا الدعوة . في النهاية ، لم تضم لجنة التنظيم سوى التصفويين وجماعة « فبريود » ، والتروتسكيين وممثلي البوند واللجنة المركزية للاشتراكية الديمقراطية الليتوانية . والاشتراكيون ـ الديمقراطيون الليتوانيون هم وحدهم الذين كانون يمثلون قوة حقيقية . ولكن يجب ان نأخذ بعين الاعتبار ، ان المنظمات المحلية الليتوانية لم تكن تدعم الخط التصفوي للجنة حزبها المركزية . وقال اوردجونيكيدزيه في كونفرونس براغ ، انه عند الليتوانيين ، كان المركز شيئا والعمال شيئا آخر . اما بقية المنظمات المساهمة في لجنة التنظيم فلم تكن تتمتع بأي دعم ابدا في الحركة العمالية

---

(٥٠) أرشيف الحزب المركزي في معهد الماركسية ـ اللينينية ، مستودع ٣٤١ ، قسم ٢ ، رقم ٢١٢٢٧ ، ورقة ١ ـ ٤ .

(٥١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٨ ص ١٧ .

(٥٢) البلاشفة الموالون او البلاشفة التوفيقيون او البلاشفة انصار الحزب .

الروسية . وبيَّن لينين ان ذلك ليس سببا للاستخفاف من هجمات التصفويين المعادية للحزب . وقد كتب الى اعضاء مكتب اللجنة المركزية في روسيا ؛ اوردجونيكيدزيه ، وسبانداريان وستاسوفا ، في أوائل نيسان (ابريل) ۱۹۱۲ : « يجب النضال بشكل عنيف وجدي ومنظم . يجب القيام بجولة عامة، وفضح تدجيل التصفويين في كل مكان »(٥٣) .

كان مندوبو كونفرونس براغ واعضاء اللجنة المركزية لل ح ع ا د ر ، يبذلون عملا كبيرا فيمنظمات الحزب المحلية لشرح مقررات الكونفرونس ، ونتيجة ذلك ، لم ترسل أية من منظمات روسيا ممثلين الى لجنة التنظيم التصفوية .

وبفضل عمل البلاشفة التوضيحي الاعلامي ، لاقى العملاء الذين أرسلهم تروتسكي الى منظمات روسيا مقاومة حادة . وفي أوائل شهر نيسان (ابريل) ۱۹۱۲ ، حاول التروتسكي ا. لوفيه اقناع منظمة كييف بالمشاركة في كونفرونس التصفويين . فرفضت منظمة كييف عروض التروتسكيين مصرحة انها لن تؤيد الانشقاق في الحزب . وكتب اعضاء لجنة كييف في رسالتهم الى هيئة تحرير سوتسيال ـ ديموكراتا : « منذ مدة وجيزة حضر الى هنا « برافدي » ، يتجول في كل مكان جاهدا « لانتزاع » ، حيثما استطاع ، قرارا لصالح كونفرونس البوند والتصفويين . وفي كييف ، حيث المنظمة على اطلاع جيد لذلك ، لاقى استقبالا يليق به »(٥٤) .

كذلك فشلت محاولة لوفيه في اوديسا . ولم يحصل عميلا التصفويين ن. برديتشيفسكي و ا. بايكس ، على اية نتيجة في حوض دونيتز وفي ييكاتيرينوسلاف . ورفضت منظمة خاركوف بشدة تقديم اي دعم للتروتسكيين . وعندما لم يحصلوا على شيء في سامارا ، حاول التروتسكيون اقناع بعض العمال بالحضور الى الكونفرونس ولكنهم لم ينجحوا في ذلك ايضا . وقد جاء في احد

---

(٥٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ٢٢ .

(٥٤) بلاشفة اوكرانيا في مرحلة ما بين الثورتين الاولى والثانية الديمقراطية ـ البورجوازية في روسيا (حزيران (يونيو) ١٩٠٧ ـ شباط (فبراير) ١٩١٧) مجموعة وثائق ومواد ، كييف ١٩٦٠ ، ص ٤١٢ .

تقارير شرطة سامارا : « عرض على كايروفيتش وميخاييل (الاسم غير معروف) من عمـال مطبعة لفنسن ، الذهـاب الى كونفرونس الاشتراكيين ــ الديمقراطيين في المانيا ، ولكنهم رفضوا »(٥٥) .

ورفض بلاشفة تساريتسين هم ايضا ، بشكل قاطع ، المشاركة فـي كونفرونس التصفويـين . ورفضت منظمـة بوليسييه حجج التروتسكيين، معلنة استحالة العمل المشترك الا على أساس الاعتراف باللجنة المركزية المنتخبة من كونفرونس براغ(٥٦) . ولما عاد التصفوي غولـدمان (غوريف) الـى بطرسبـورج ، عشية كونفـرونس آب (اغسطس) ، أعلم تروتسكي انه « وجد غيابا تاما للحلفاء » وان التصفويين فقط يستطيعون الذهاب الى الكونفرونس(٥٧) .

وتشهد كل هذه الوثـائق على سقوط التروتسكيين السياسي وعلى قطيعتهم الكاملة مع الحركة العمالية الروسية . وفيما عـدا ممثلي بعض « تجمعات المبادرة » التصفوية ، لم يستطع عملاء لجنة التنظيم خداع احد ؛ ولما لـم تلاق دعم المنظمات الحزبية الروسية ، فقد حكم عليها بالجمود . وعوضا عن كونفرونس ممثل لكل روسيا ، لم تنجح الا في تنظيم اجتماع لأنـاس منقطعين بغالبيتهم عن عمل الحزب في روسيا .

عقد كونفرونس التصفويين مـن ٢٥ حتى ٢٨ آب (اغسطس) سنة ١٩١٢ في فيينا . من ٢٩ مندوبـا لديهم ٣٠ تفويضا (١٨ يحق لهم التصويت الاجرائي و ١٢ صوتـا استشاريا) كانوا جميعهـم تقريبا من المهاجرين . لم تمثل منظمات روسيا الا بمندوبي التجمعات التصفوية من سيباستوبول ، وكراسنويارسك ، ومن نقـابة بحارة البحرية التجارية للبحر الاسود . كانت تفويضات كثير من المندوبين وهمية لأن احدا لم ينتخبهم . ومـن المعروف ان تروتسكي اعطى عملاءه توجيها بالحصول على تفويضات بأي وسيلة . لهذا السبب عمد التروتسكيون ، غالبا ، الى جمع شخصين او ثلاثة في بعض المنـاطق ، وجعلهم ينتدبون باسمهـم مندوبين الى الكونفرونس .

---

(٥٥) موجز تاريخ منظمة الـ ح ش أ س في كويبيتشيف، كويبيتشيف ١٩٦٠، ص ١٤٣ .
(٥٦) رابوتشايا غازيتا ، ١٢ آب (اغسطس) سنة ١٩١٢ .
(٥٧) ب. أكسلرود و أ. مارتوف ، مراسلات ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

فحصل مارتوف ، مثلا ، وهو الذي كان يمثل « مجموعة مبادرة » في موسكو دون ان يعرفه احد ، على تفويض كهذا .

وكان احد الاستفزازيين يمثل تجمع سيباستوبول التصفوي ، كما علم فيما بعد ؛ وفي ايلول (سبتمبر) سنة ١٩١٢ ، في اخبارية مطلقة السرية ، أعلم مركز الشرطة وزير الداخلية بأن مندوب سيباستوبول هو متعاون مع الشرطة ويمثل منظمة وهمية(٥٨) ولزيادة عدد المشاركين في الكونفرونس ، دعي اربعة من المندوبين بأصوات استشارية من الحزب الاشتراكي البولوني (ليفيكا) وهو ليس منظمة في الـ ح ع ادر . وبحكم تركيبه القليل العدد ، لم يشكل كونفرونس آب (اغسطس) كونفرونسا عاما للحزب ، كما اقترح تروتسكي ، بل « كونفرونسا لمنظمات الـ ح ع ادر » .

ودافع المقررون في المسائل الاساسية ، تروتسكي ومارتوف وليبير ، بأشكال مختلفة ، ولكن بنفس الصلابة والروحية ، عن وجهات نظر التصفويين . ومنذ بداية الكونفرونس ، اثناء مناقشة تقرير نشاط لجنة التنظيم ، أعلن المقرر ان اللجنة لم تكن لديها فكرة اعادة احياء الـ ح ع ادر القديم ، فهو غير موجود ، وانه يجب اعتبار الكونفرونس الحالي مؤتمرا تأسيسيا . ويبين هذا التصريح ، على اكمل وجه ، ان جمل تروتسكي عن « الوحدة » و « التعاون » و « غياب الطابع التكتلي » ، لم تكن الا ستارا تخفي وراءه نوايا التصفويين الحقيقية .

وتحاشى الكونفرونس مناقشة قضايا الساعة السياسية ، غير انه بالغ كثيراً في مسألة انتخابات دوما الدولة الرابع . وهكذا من اصل ١٦ جلسة في الكونفرونس ، خصصت ٥ منها لمناقشة جدول الاعمال ، ولتقارير أعضاء لجنة التنيظم ، وجلسة واحدة للنظام الداخلي ؛ وخمس جلسات للتقارير حول الحملة الانتخابية ، وعولجت المسائل الاخرى في خمس جلسات(٥٩) .

لم يعالج المساهمون في الكونفرونس تحليل وضع البلاد السياسي ولا المسألة الزراعية . وصرح باسوك (ميلينيفسكي)

---

(٥٨) الارشيف المركزي لثورة اوكتوبر مستودع ٥٥ قسم ١٩١١ رقم ٥ ورقة ٩٠
(٥٩) بروليتارسكايا ريفوليوتسيا .

مندوب « سبيلكا » ، ان مسألة الارض لم تعد مطروحة ، وان الدعاية بين الفلاحين لا تدخل في اطار مهام الاشتراكية ــ الديمقراطية .

وترك الكونفرونس ، في الواقع ، ايضا ، المطالبة بجمهورية ديمقراطية وتذبذب تروتسكي ، في تقريره حول هذا الموضوع ، محتجا بأن الاشتراكيين ــ الديمقراطيين في النمسا لا يطالبون بالجمهورية ، وان الاشتراكيين الانجليز لا ينادون الا بتصفية مجلس اللوردات ، وان الاشتراكيين ــ الديمقراطيين الالمان يرفعون شعار « لتسقط سياسة غليوم الشخصية » ! وهكذا كان يوحي بأن شعار الجمهورية الديمقراطية فارغ من المعنى ، ويجب استبداله بالانتخاب العام . وقد ذهب البوندي موفيتش ابعد من ذلك مؤكدا ان الديماغوجيين وحدهم الذين يحركون امام أنف الحكومة « خرقة حمراء » هم الذين يطرحون شعارات ثورية . وقد اراد تروتسكي ان يذكر المتكلمين بالحذر لأن « تطرف البرغماتية في السياسة » يمكن ان يضر القضية ، بيد انه لم يقف معارضا هذه التأكيدات ابدا .

بعد دفن شعار الجمهورية الديمقراطية ، قدم الكونفرونس شعار « حرية التنظيم » الاصلاحي ، كمطلب أولي(٦٠) .

وقد ذهب الكونفرونس الى ابعد ما نادى به البوند ، فاعترف بالشعار القومي الرجعي عن الاستقلالية الثقافية والوطنية الذي يتناقض مع مبادىء التضامن الطبقي لجماهير العمال ، الاممية البروليتارية(٦١) .

وحمل مشروع البرنامج الانتخابي الذي صاغه تروتسكي ومارتوف وليبر وبرون ، طابعا تصفويا واضحا . وكانت مطالبه الاساسية : انتخاب عام و « حرية التنظيم » واعادة النظر بالتشريع الزراعي لدوما الدولة الثالثة . وقد رفضت شعارات برنامج الـ ح‌ع‌ادر الثورية . وفي البلاتفورم المعتمد من الكونفرونس ، لم ترد كلمة واحدة عن تحضير الجماهير لثورة جديدة . واقترح أحد المشتركين في الكونفرونس ان تستبدل العبارة « الضغط العام على

---

(٦٠) بيان عن مؤتمر منظمات الـ ح ع ا د ر ، فيينا ، ١٩١٢ ، ص ٣٥ .
(٦١) نفس المصدر ، ص ٢١ .

القيصرية « في المقررات بكلمة « تمرد » ، ولكن مارتوف اعترض بشدة وصرح بأن كلمة « تمرد » قد فقدت قدرها عندنا » .

وكان ايضا قرار الكونفرونس « حول الاشـكال التنظيمية لبناء الحزب » ، ذا طابع تصفوي . فقد رفض الكونفرونس مبدأ الحزب السـري ، ووقف مع « الحـزب المنفتح » . وأكـد تروتسكي في الكونفرونس ان الحزب السري عودة للماضي ، لمرحلة « اللامساواة الاجتماعية التامة » . اما الان ، فتستطيع الطبقات المالكة ان تتنظم شـرعيا ، وهذا الطابع الاجتمـاعي الشرعي للطبقات المـالكة يخلق بالضرورة حركة اجتماعية بروليتارية شرعية » . ولكن تروتسكي لم يتساءل فيما اذا كانت هكذا « حركة اجتماعية بروليتارية شرعية » اي حزب ، تستطيع ان توجـد في ظل القيصرية . ان القرار المتخذ من الكونفرونس « حول الاشـكال التنظيمية لبـناء الحزب » كان يدعو منظمات الحزب « للتكيف مع الاشـكال والاساليب الجديدة للحركة العمالية المنفتحة »(٦٢) . وقد اظهر لينين نهائيا هزال هـذا القرار في مقاله « حزب غير شرعي وعمل شرعي » .

وتشكل في المؤتمر تكتل من القوى المعادية للحزب ، سمي تكتل آب (اغسطس) . وانتخب أعضـاؤه منه المركز القيادي ، لجنـة التنظيم . ووجهوا الى الاممية الثانية رسـالة شتموا فيها مقررات كونفرونس براغ ، وطلبوا من قـادة الاممية الانتهازيين ، التدخل في « القضايا الروسية » ، واعلنوا انهـم مستعدون للقبول بوساطة المكتب الاشتراكي الدولي « من اجل احياء وحدة التنظيم مع اجزاء الـ ح ع ادر الاخرى »(٦٣) . كانت تلك محاولة جديدة من التصفويين للاعتماد على الاممية الثانية في الصراع ضد الحزب الماركسي الثوري في روسيا .

وكانت نتائـج كونفرونس آب (اغسطس) بمجملهـا مخزية . توقعوه « توحيديا » لم يوحـد احدا غير التصفويين وشكليا فقط . وفيما يختص بالصحف الفئوية التصفوية (البرافـدا التروتسكية وغولوس سوتسيال ديموكرات) فلم توضع ، حتى رسميا ، تحت

---

(٦٢) بيان عن مؤتمر منظمات الـ ح ع ا د ر ، ص ٢٨ .

(٦٣) بيان من مؤتمر منظمات الـ ح ع ا د ر ، ص ١٧ .

قيادة لجنة التنظيم . ولم تتوقف المناوشات حتى في قلب التكتل نفسه . فما ان تشكل حتى عاد تكتل آب (اغسطس) فتفتت . وغادر ممثل مجموعة فبريود الكونفرونس قبل نهايته . واصطدمت التصريحات التصفوية من المشاركين بمقاومة الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الليتوانيين . ورفض الاشتراكيون ـ الديمقراطيون البولونيون ، منذ البداية ، الاشتراك في التكتل الذي يتشكل . ولم يدعم بليخانوف ايضا الكونفرونس، وأعلن انه لا يمثل منظمات روسيا ، وان نتائجه تعيسة ، ومقرراته « تفوح منها الديبلوماسية من بعيد »(٦٤) .

وهكذا فتكتل آب (اغسطس) الذي شكله تروتسكي كان اتحادا بلا مبادىء ، يتألف من قوى معادية للحزب ، غايتها محاربة البلشفية . كان محاولة لخلق حزب وسطي بورجوازي ـ صغير في روسيا يتخلى عن مبادىء برنامج وتنظيم الماركسية(٦٥) ، وبانقطاعه عن الحركة العمالية كان مصير تكتل آب (اغسطس) الفشل . منذ شهر ايار (مايو) سنة ١٩١٢ ، بينما كان التصفويون يحضرون كونفرونسهم ، أشار لينين الى ان التكتل الذي ينظمه تروتسكي محكوم عليه مسبقا بالفشل المعيب ، ذلك انه يرتكز « على انعدام المبادىء والخبث والجمل الجوفاء »(٦٦) كان حتميا هذا الفشل ، ذلك ان تكتل آب (اغسطس) لم يتمتع

---

(٦٤) ج. بليخانوف ، المؤلفات ، ج١٩ ، ص ٤٣٣ .

(٦٥) يؤكد اليوم المزيفون البورجوازيون ان تكتل آب (اغسطس) قد اوجده التروتسكيون من اجل انقاذ وحدة الحزب ، مقابل سياسة ابلاشفة الانشقاقية . ويكتب ، في هذا الموضوع ، براهم فيقول ان لينين مخطىء في تصنيف تروتسكي مع التصفويين ، لانه ، بحسب رأيه ، ناضل تروتسكي دائما من اجل وحدة الحزب ويقول : « مرة اخرى ، حاول تروتسكي بواسطة التكتل المسمى آب (اغسطس) ان ينقذ وحدة الحزب. »

(**Brahm Trotzkijs Kampf un die Nachfolge Lenins 45-46).**

لكن الوقائع تشير بوضوح الى ان تروتسكي كان يشارك كليا في مواقف برنامج وتكتيك التصفويين . وانه عدو غير متردد للحزب البلشفي مع انه قنّع آراءه باشعارات الوسطية . ولم يكن تكتل آب (اغسطس) الذي اوجده يرمي الى الحفاظ على وحدة الحزب ولكن الى تنظيم الانتهازيين للنضال ضد الحزب.

(٦٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٨ ص ١٧ .

بدعم الجماهير العمالية الروسية ومنظمات الحزب . فلم تعترف بقرارات كونفرونس آب (اغسطس) .

الا ان التكتل كان يشكل خطرا على الحركة العمالية الثورية . فقد كان للتصفويين بعض التأثير على المثقفين وحرفيي المدن ، وعلى العمال محدودي الوعي والذين جاءوا حديثا من الريف دون ان يعرفوا الصراع الطبقي البروليتاري . وكان تكتل آب (اغسطس) ، من ناحية اخرى ، مدعوما من قيادة الاممية الثانية . لذا دعا لينين البلاشفة الى النضال الحازم ضده . وأشار كونفرونس كراكوفيا للجنة المركزية لل ح‌ع‌ادر ، في مقرراته « عن الموقف من التصفويين والوحدة » ، ان كونفرونس آب (اغسطس) ١٩١٢ ، كان في الحقيقة مؤتمرا تصفويا ، وانه بعد الكونفرونس ، استمرت الصحيفتان ناشازاريا ولوتش في تشديد دعايتهما التصفوية : « لهذا جاء في القرار ، ان احدى مهام الحزب تكمن في النضال ضد تجمع التصفويين في ناشازاريا ولوتش ، وفي توضيح الضرر العميق الذي تسببه دعايتهما للجماهير العمالية »(٦٧) .

وتتابع المد الثوري الجديد . وكانت مجزرة لينا (نيسان ، ابريل) ١٩١٢) اشارة لانطلاقة جديدة للحركة الاضرابية للطبقة العاملة ، وللتوترات بين الفلاحين ، وفي الحربية البحرية .

وتطورت الحركة الثورية تحت شعارات الحزب البلشفي : « فليسقط الحكم الملكي القيصري ! » ، « عاشت الجمهورية الديمقراطية » ، « يوم العمل من ثمان ساعات » ، « مصادرة كل اراضي الملاك العقاريين » ، « عاشت الاشتراكية ! » ونقل الحزب الى الحركة العمالية روحه القتالية ، ومعنى التنظيم ؛ » وكان يجمع كل القوى الثورية في البلاد ضد القيصرية . ولاكمال مهامه الثورية بنجاح كان عليه ان يسحق تكتل آب (اغسطس) نهائيا ، وان يعزل عن الطبقة العاملة الانتهازيين ، الذين حاولوا جر الحركة الثورية نحو الاصلاحية واخضاع البروليتاريا لتأثير البورجوازية الليبرالية .

ومنذ شتاء سنة ١٩١٠ ، فتح التصفويون والتروتسكيون في

---

(٦٧) الـ ح ش ا س ، في الوثائق والمقررات ... ج١ ، ص ٢٩٨ .

بطرسبورج « حملة عرائض » : كان على العمال ان يقـدموا الى الدوما الرجعية عرائض تطالب « بحرية التنيظم » . عارض البلاشفة هذه الحملة بعنف موضحين للعمال ان التوجه الى الدوما لن يؤدي الا الى زرع الاوهام عند الجماهير حول التشريع ويبعدها عن النضال الثوري . وقـد وصف كونفرونس براغ في قراره حـول « حملة العرائض» بالشؤم علىالحركة العمالية. واشار القرار الى أن شعار « حرية التنظيم » ، معزولا عن مجمل المطالب السياسية للطبقة العاملة ، يعني عمليا « النضال الليبرالي من اجل تحديـد نظـام ٣ حزيران (يونيو) بمساعدة تحسينات جزئية »(٦٨) .

مع ان حملة العرائض لم تدعمها الطبقة العاملة ، وجمدت بفعل فشلها التام ، حاول التصفويون والتروتسكيون مرارا ان يفرضوا على البروليتاريا شعار « حرية التنظيم » الذي كانوا يقدمونه كمطلبها الاولي . وأكد تروتسكي بأن مطالبة العمال « بحرية التنظيم » كان في اساس احداث لينا ، والانطلاقة الثورية بمجملها .

وسخر لينين من تأكيدات تروتسكي هذه ، فكتب : « لا شيء أكذب من الزعم الليبرالي الذي يستعيده تروتسكي بعد التصفويين في برافدا فيينا ، الزعم الذي يدعي « أن النضال من اجل حريـة التنظيم هو في اســاس مأساة لينا ، كما في صلب الصدى القوي الذي حصل في البلاد » . لم تكن حرية التنظيم ، لا المطلب الخاص ولا المطلب الاساسي في اضراب لينا . وليس غياب حرية التنظيم ابدا هو مـا اظهرته مجزرة لينا ، ولكن غياب الحرية ... الضامنة ضد الاستفزازات والاستعباد والتعسف(٦٩) .

وشرح الحزب للعمال ان التأكيد بامكانية الحصول على حريات ديمقراطية في ظل القيصرية ، يعني خداع الجماهير . وأكـد لينين مرارا الى انه من السخف والحماقة ، في ظل الاوتوقراطية ، مطالبة نيكولا رومانوف ودوما المائة ـ السود « بحريـة التنظيم » ، وان الثرثارين الليبراليين فقط يستطيعون تركيز التحرك الثوري عـلى هذا الشعار . وقال لينين : « يجب الضرب في المركز ، ومهـاجمة

(٦٨) الـ ح ش س ، في الوثائق والمقررات ... ج١ ، ص ٢٨٢ .
(٦٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٨ ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

السوء في الجذور ، وتحطيم كل النظام ، كل الحكم القيصري ، والمائة السود في روسيا »(٧٠) .

وجهد التصفويون والتروتسكيون لمنع تزايد حركة الاضرابات في البلاد وكانت صحيفة لوتش تؤكد بأن كثرة استعمال الاضراب تفقد هذا السلاح معناه السياسي والاجتماعي ، وانه لا يجب التهور في « جموح الاضراب » . وفي كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩١٢، كتب لينين الى غوركي : « يخوض التصفويون في هذه اللحظة الهجوم ضد الاضرابات الثورية ! لقد وصلوا الى هذا الحد ! »(٧١)

وكانت لدى التروتسكيين احكام خاطئة حول الوضع في البلاد ، وينفون الامكانات الثورية للبروليتاريا والفلاحين الكادحين ، زاعمين ان الثورة في روسيا غير ممكنة الا في حال حرب اوروبية ، أو في حال انتصار الثورة في المانيا . وكان تروتسكي ، سنة ١٩١٢ ، قد صرح في مقاله « الوضع في البلاد ومهامنا » : « يجب ألا نتوقع انه في السنتين المقبلتين، ستسير الجماهير مجدداً فيطريق الاضرابات العامة والانتفاضات ؟ كلا ، لا نظن ذلك ... بالطبع ، اذا ما اندلعت قريبا حرب اوروبية تنجر القيصرية اليها ، او اذا ما قامت ثورة بروليتارية مفتوحة في المانيا ، فسوف يجرنا التيار الاوروبي نحن أيضا » .

هكذا اذن برأي تروتسكي ، بما ان الثورة لم تكن مطروحة بالافاق ، فيجب ان نناضل من اجل المطالب الاكثر مباشرة ، من اجل « حرية التنظيم » وليس الانجراف في « جموح الاضرابات » . اذا كانت الثورة في روسيا تتوقف على حرب اوروبية ، او ثورة المانية ، فعلى العمال الروس ، منطقيا ، ان ينتظروا الحرب او الثورة الالمانية . تلك كانت استنتاجات انتهازية واستسلامية ، تحكم على الطبقة العاملة بالانتظار السلبي ، وباجهاض النضال الثوري .

وقدر الحزب البلشفي الوضع في البلاد بشكل مختلف ، في مقالات لينين « الانطلاق الثوري » و « شعارات كونفرونس الـ ح ع ادر الروسي في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٢ وحركة ايار » ،

---

(٧٠) نفس المصدر ، ص ١١٤ .

(٧١) نفس المصدر ، مجلد ٣٥ ، ص ٥٩ .

التصفويون ضد الاضرابات الثورية الجماهيرية » ، « فهل يمكن لشعار « حرية التنظيم » ان يشكل قاعدة الحركة العمالية الان ؟ » ، « اول ايار (مايو) البروليتاريا الثورية » ، وغيرها ... فضح المواقف الانتهازية للتصفويين والتروتسكيين ، وأعطى تحليلا علميا للوضع في البلاد ، وسلح الحزب بالنظرة الماركسية لآفاق الثورة في روسيا .

بعد ان حلل بعمق الحركة الثورية، التي كانت تتطور في البلاد، خرج لينين في حزيران (يونيو) سنة ١٩١٣ بالاستنتاج التالي : « في روسيا ازمة سياسية على صعيد الامة كلها ؛ وهي ازمة تطال بالضبط **قواعد** تنظيم الدولة ، بما فيها نقاطها التفصيلية ، وقد وصلت الى **اسس** البناء ولا أحد أجنحته ، او احدى طبقاته »(٧٢) .

لم يكن ممكنا حل اي من المشكلات السياسية والاجتماعية الاساسية المطروحة في البلاد الا بالثورة ، وليس بالاصلاحات الجزئية التي يقترحها التصفويون والتروتسكيون . وفي هذه الظروف، كانت مهمة حزب البروليتاريا الثوري تكمن برفع مستوى تكوين الجيش السياسي للثورة الى ابعد الحدود ، وتوسيع دفع الجماهير الثوري .

وفي خضم تصاعد الحركة الثورية ، كانت المنظمات البلشفية ، وفقا لتعليمات لينين ، تخوض نضالا فعالا لاستقطاب الجماهير ، ولجمعها حول البلاتفورم الثوري لل ح ع ادر، كما كانت تفضح الطابع الضار للاوهام الاصلاحية التي نشرها منظمو تكتل آب (اغسطس) . ولعبت البرافدا ، الجريدة البلشفية اليومية العلنية التي انشأها لينين في ٢٢ نيسان (ابريل) (٥ ايار (مايو) ١٩١٢) دورا هاما في هذا النضال .

وبدأ التصفويون حربهم على البرافدا . وكتب ن. بوليتاييف، احد منظمي الصحيفة ، في مذكراته ، انه مباشرة بعد ان اعلنت صحيفة زفيزدا خبر ظهور البرافدا القريب « شد التصفويون والمناشفة على اسنانهم وشنوا حملة على الصحيفة الجديدة »(٧٣) .

---

(٧٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٩ ص ٢٣٣ .

(٧٣) البرافدا ، ٥ ايار (مايو) ١٩٢٥ .

وقام التصفويون ينظمون ، في الشركات والمصانع والاندية والنقابات ، اجتماعات علنية، يوضحون فيها ان حق اصدار صحيفة عمالية لا يعود الا اليهم وحدهم ، ولا يحق ذلك للبلاشفة بأي شكل من الاشكال .

وبدأ تروتسكي ايضا حملة افتراءات على **البرافدا** من الخارج ، وطالب حتى بضرورة تغيير اسم الصحيفة وحجته انه يصدر هو في فيينا ورقة ملفوف تروتسكية تحمل نفس الاسم. فرفضت هيئة تحرير البرافدا قطعا أدعاءات تروتسكي .

ضخم التروتسكيون ، قدر مستطاعهم ، الخبر القائل ان **برافدا** لينين لم تصدر بفضل الاموال التي جمعها العمال ولكن بفضل « مساعدات غامضة المصدر » . وقد تأثر لينين بعنف من كذب تروتسكي فكتب : « ... هذا المتآمر والتصفوي يكذب يسارا ويمينا »(٧٤) . وكتب ناصحا هيئة تحرير البرافدا بأن تجيب في زاوية « صندوق الرسائل » : « على تروتسكي (فيينا) : انك تتحمل مشقة توجيه رسائل دسائس وتشويش دون جدوى . فنحن لن نجيب عليها » (٧٥) .

واصدر التصفويون ، لمعارضة البرافدا البلشفية ، صحيفة يومية علنية هي لوتش في ايلول (سبتمبر) ١٩١٢ . وكان تروتسكي مساهما بارزا فيها. وكانت لوتش تقدم نفسها كجريدة « للماركسيين المتبايني الميول » ، وعمليا ، كان التصفويون والتروتسكيون فقط الذين يحررونها . وعندما لم يستطع التروتسكيون عرقلة البرافدا البلشفية ، بدأوا بحملة تهدف الى ضمها الى لوتش ، واخضاعها الى رقابة النقابات التي كان لا يزال في هيئاتها القيادية العدد الكبير من التصفويين . وأراد التروتسكيون والتصفويون ايضا تحويل البرافدا الى جريدة للتصفويين . وأشار لينين مرارا فاضحا نوايا تروتسكي ، الى انه من المستحيل ، في اي حال ، اتحاد البرافدا البلشفية مع لوتش الانتهازية .

وبقيادة لينين ، اصبحت البرافدا عمليا جريدة اللجنة المركزية

---

(٧٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ٣٠ .
(٧٥) نفس المصدر .

للـ ح٤ادر . وكانت اللجنة المركزيـة للحـزب البلشفي تراقب وتوجه البرافدا بصورة دائمـة . وكان يعمـل في لجنة تحريرها مناضلون في الحزب وصحفيون متمرسون ؛ ويصوغ لينين شخصيا عدة مواد للبرافدا ، وكانت المقالات الاساسية التي تشكل وجـه الصحيفة من انتاجه . ومن سنة ١٩١٢ حتى ١٩١٤ نشرت اكثر من ٢٨٠ مقالا للينين(٧٦) . ولعبت البرافدا دورا حـاسما في تعزيز الحزب البلشفي ايديولوجيا وتنظيميا ، وفي اكتساب الجماهير الى جانب الآراء البلشفية وسحق تكتل آب (اغسطس) المعادي للحزب.

وطالب لينين بأن تخوض هيئة تحرير البرافدا نضالا دون شفقة ضد التصفويين والتروتسكيين ومجموعات اخرى انتهازية ، وبـأن تطبق بشكل دائم مقررات كونفرونس براغ بشأن القطيعة النهائية مع الانتهازيين ، وقـد تصدى بشدة ضد رأي بعض أعضاء هيئة التحرير الخاطىء والقائل بأن البرافدا كجريدة « شعبية » ، لا يجوز ان تجادل التصفويين ، فكتب يقول : « للبرافدا دور قيادي حقا ، يجب الدفاع عنها بشرف ، يجب القول بوضوح وبهدوء وصلابة ، ضد التصفويين »(٧٧) .

فرسائل لينين الى هيئة تحرير البرافدا، واعادة تنظيم الصحيفة في ربيع ١٩١٣ ، بنـاء على قرار اجتماع كراكوفيـا للجنة المركزية لل ح٤ادر الموسع مع متفرغي الحزب ، وتعزيز هيئة التحرير بالكادر الحزبي المتمرس ، ساهمت، كل هذه العوامل في تعميق النضال في الصحيفة ضـد التصفويين والتروتسـكيين وانتهـازيين آخرين . وساعدت البرافدا ، التي كانت تناضل ضد الانتهازيين ، الحزب البلشفي على جمع اربعة اخماس البروليتاريا الواعية في البلاد حول بلاتفورم الصحيفة . وكان ذلك انتصارا ساحقا للبلشفية . وكان تأثير البرافدا من العمق بحيث ارغم أعداء البلشفية على الاعتراف به . وقد قال تروتسكي سنة ١٩١٤ : « لا يمكن الشك بأن غالبية العمال الروس ، خـاصة في بطرسبورج ، يتجمعون اليوم حـول البرافدا ... »(٧٨) كان يعني هذا ، في الواقع ، ان منظم تكتل آب

(٧٦) ف. لوغينوف، لينين والبرافدا ١٩١٢ ــ ١٩١٤، موسكو ١٩٦٢ ، ص٢٣٦ .
(٧٧) ف. لينين، المؤلفات، باريس ــ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ٣٥ ــ ٣٦ .
(٧٨) بوربا ١٩١٤ ، العددان ٧ ــ ٨ ، ص ٤ .

يعترف بهزيمته .

وحقق الحزب البلشفي نصرا هاما على تكتل آب (اغسطس) ، أثناء انتخاب المجلس العمالي في دوما الدولة الرابعة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٢ . وقد ركز البلاشفة حملتهم الانتخابية حول مقررات كونفرونس براغ و « بلاتفورم الـ حءادر الانتخابي » الذي صاغه لينين .

وجاء الحزب البلشفي الى الدوما من اجل استعمال هذا المنبر لنشر الافكار الاشتراكية ، وفضح سياسة القيصرية المعادية للشعب وكما كتب لينين : « وبكلمة ، لتحضير جيش المحاربين الواعين للثورة الروسية الجديدة »(٧٩) دعا بلاتفورم البلاشفة الانتخابي الجماهير الى تصفية الاوتوقراطية ، واقامة جمهورية ديمقراطية ، وتحديد يوم العمل بثمان ساعات ، ومصادرة كل اراضي الملاك العقاريين الكبار . اما تكتل التروتسكيين والتصفويين فقد تقدم من الانتخابات ببرنامجه الانتخابي المعتمد في مؤتمر آب (اغسطس) .

هكذا ، تجابه ، في الانتخابات ، برنامجان ؛ احدهما ثوري من وضع لينين والاخر اصلاحي تصفوي . وبهذا الصدد كتب لينين : « يريد الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي ان يستخدم الانتخابات ليثبت مرة اخرى بين الجماهير الفكرة بأن الثورة ضرورية ، وان انطلاقا ثوريا بدأ يظهر بالتحديد ... والتصفويون يستخدمون الانتخابات ليبشروا من خلالها لصالح الاصلاحات التشريعية **ولاضعاف** فكرة الثورة » (٨٠) .

واظهرت نتائج انتخابات دوما الدولة الرابعة ان الغالبية الساحقة من الطبقة العاملة ، تدعم سياسة الحزب البلشفي . وأرسلت المحافظات الصناعية السبع الاساسية الى المجلس العمالي ممثلين بلاشفة . وكانت المحافظات ، التي انتخبت الى الدوما بلاشفة ، تعد اكثر من مليون عامل ، بينما التي مثلها مناشفة لا تعد اكثر من ١٣٦ الف . مما يوضح بمن تضع البروليتاريا الروسية ثقتها .

---

(٧٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٥١٨ .

(٨٠) نفس المصدر ، مجلد ١٨ ص ٣٩٤ .

وطرحت بشكل حاد ، مع الدفع الثوري ، مشكلة الوحدة السياسية للطبقة العاملة . وأثناء الحملة الانتخابية وبعدها ، استعمل الانتهازيون ، بقيادة تروتسكي ، شعار الوحدة ديماغوجيا ، وجددوا اتهامهم للبلاشفة بالانشقاقية . وكان تروتسكي يتكلم دائما بالوصول « الى الوحدة بتجاوز كل العوائق » . وذاك مضاربة بشعار شعبي بين العمال ، ومحاولة لخداع الجماهير بقصد فصلها عن الحزب البلشفي . وفي الواقع ، كان مفهوم التروتسكيين عن الوحدة يعني تصفية الحزب الثوري ، والسعي الى « وحدة » الثوريين والانتهازيين بتشكيل تكتل « فوقي » من خلف ظهر الطبقة العاملة .

وفي مقالاته : « الوحدة » ، « بصدد الوحدة » ، « خرق الوحدة من خلال صيحات : عاشت الوحدة » وغيرها ، أظهر لينين ان الوحدة هي فعلا ضرورية للطبقة العاملة ، لأنها سلاحها الاساسي في صراعها ضد المستغلين . الا ان وحدة الطبقة العاملة تعني قبل كل شيء وحدة طليعتها ، ووحدة حزبها السياسي ، القائمة على الاعتراف بالنظرية ، والبرنامج ، والتكتيك والتنظيم الثوريين . وقد كتب يقول : « الوحدة شيء عظيم وشعار عظيم . ولكن ما تحتاجه القضية العمالية هي **وحدة الماركسيين** ، وليس وحدة الماركسيين مع أعداء ومزيفي الماركسية »(٨١) .

لا يمكن لوحدة الطبقة العاملة ان تنشأ الا على الاعتراف بالحزب السري وبالنظرية الثورية . وقد اعترف كونفرونس كراكوفيا للجنة المركزية للـ ح‌ع‌ا‌د‌ر ، كشعار وحيد بالوحدة من القاعدة ، بدءا بلجان المؤسسات ، وتجمعات الاحياء لكي يستطيع العمال بأنفسهم مراقبة « ما اذا كان معترفا فعلا بالمنظمة السرية ، ما اذا كانت الجماهير متأهبة لدعم النضال الثوري والتكتيك الثوري »(٨٢) . وبالارتكاز على شعار الوحدة من القاعدة ، جمع الحزب البلشفي الطبقة العاملة لتناضل ضد الاوتوقراطية .

وخلافا عن الاكاذيب التروتسكية التي تحمل مسؤولية «انشقاق»

---

(٨١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٠ ص ٢٤١ .
(٨٢) الـ ح‌ش‌ا‌س ، في الوثائق والمقررات ... ج١ ، ص ٢٩٨ .

الطبقة العاملة للبلاشفة ، أظهرت الوقائع التي ذكرها لينين ان الغالبية الساحقة من الطبقة العاملة قد تجمعت حول الحزب البلشفي ، وهكذا في دوما الدولة الثانية ٤٧٪ من النواب كانوا بلاشفة ، و ٥٠٪ في الدوما الثالثة ، و ٦٧٪ في الرابعة . وفي سنتي ١٩١٢ ـ ١٩١٣ كان هناك ٢٨٠١ تجمعا عماليا يساعدون البرافدا البلشفية باشتراكاتهم، مقابل ٧٥٠ فقط يساعدون لوتش. ويستنتج لينين : « اين تجتمع غالبية العمال الواعين حول قرارات واضحة ومحددة ،توجد **وحدة** آراء وعمل ، ويوجد فكر للحزب ، وباختصار ، يوجد حزب »(٨٣) .

وقد اظهر لينين معتمدا على وقائع لا يمكن دحضها ان وحدة الطبقة العاملة لم تتحقق فعلا الا بفضل البلاشفة ، وان التصفويين وتروتسكي « بقطيعتهم مع التنظيم السري وعن العمال المنظمين ... هم اسوأ المنشقين »(٨٤) .

وفي سنوات الصعود الثوري ، بالاعتماد على المبدأ اللينيني عن الجمع بين النشاطين السري والعلني ، قام البلاشفة بعمل فعال في المنظمات العلنية للطبقة العاملة : نقابات ، تعاونيات ، مؤسسات ثقافية وتأمينات ، حيث حولوا هذه المؤسسات الى نقاط ارتكاز للحزب ، وطردوا منها التصفويين .

واعتبر التصفويون هذه المنظمات العلنية معقلا لهم ، وافتروا على البلاشفة الذين ـ حسب زعمهم ـ يرفضون العمل في هذه المؤسسات . فكتب لينين : « لا شيء أفدح خطأ من التصديق بأن الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الموالين للحزب يرفضون العمل « العلني » ؛ بالعكس ، حتى في **هذا العمل** هم اقوى من التصفويين »(٨٥) .

ان كونفرونس بورونين للجنة المركزية الموسعة لل ح‌ع‌ادر في ايلول (سبتمبر) ١٩١٣ ، الذي تبنى قرارا خاصا « حول العمل في المؤسسات العلنية » ، كان يدعو كل الحزب لتعزيز نشاطه في

---

(٨٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٠ ص ٣٥١ .
(٨٤) نفس المصدر ، ص ١٦٥ .
(٨٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٥٥٣ .

المنظمات العلنية للطبقة العاملة ، « وللوصول الى ان تصبح كل من هذه المؤسسات معقلا للحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي »(٨٦) .

والمثال المقنع لنشاط البلاشفة في المنظمات العلنية هو عملهم في النقابات ، فقد كان التروتسكيون والتصفويون يطوبون نظرية « حياد » النقابات واسقلاليتها تجاه الحزب ، وهذا ما يعني فعلا اخضاع النقابات لتأثير البورجوازية . واتخذ البلاشفة بحزم موقفا مضادا لنظرية حياد النقابات ، وصرح الحزب بأن النقابات عليها ان تدافع عن وجهة نظر طبقية وتعمل تحت قيادته .

وعندما اقتنع العمال بأن التصفويين يعيقون نضالهم ضد الاوتوقراطية ، راحوا يطردونهم من قيادات النقابات وينتخبون ممثلين من الحزب البلشفي . فكسب البلاشفة ، بين ١٩١٢ ـ ١٩١٤ ، غالبية قوية في كل نقابات البلاد تقريبا .

وتدل هذه الغالبية في قيادات النقابات ، وسيطرة البرافديين في منظمات علنية اخرى ، والاشتراكات المدفوعة لصندوق الصحافة البلشفية ، على تأثير الحزب البلشفي الواسع على جماهير العمال ، وعلى الفشل الذريع الذي مني به التروتسكيون والتصفويون . وقد كتب التصفوي ف. بولكين في ناشازاريا : « عبثا كان ظننا ، نحن التصفويون بأن جماهير العمال كانت معنا ... فلا تزال البلشفية هي الناطقة باسمها ، وهي ايديولوجيتها ... فبقيادة البلاشفة ، سقط التصفويون ... في كل الهيئات القيادية ... واحدة بعد الاخرى ، وانتقلت المؤسسات العلنية من التصفويين الى البلاشفة ... وخطوة فخطوة ، تبعد البلشفية المناشفة من مواقع كانت تبدو كما لو انه بالمستطاع أخذها ... »(٨٧)

لقد اوصل المد الثوري في البلاد وانتصار البلشفية في الحركة العمالية ، تكتل آب (اغسطس) الى الهزيمة ، وأصبحت « هيئة أركان » التصفويين بدون فرق جنود ورفضت الجماهير العمالية برنامجها الاصلاحي . وعندما تأكد من ان تكتل آب (اغسطس) لا يمارس اي تأثير فعلي على الحركة العمالية في روسيا ، اعلن

---

(٨٦) الـ ح‌ش‌ا‌س ، في الوثائق والمقررات ... ج١ ، ص ٣١٤ .
(٨٧) ناشازاريا ، ١٩١٤ ، العدد ٦ ، ص ٤٥ ـ ٤٧ .

تروتسكي ، سنة ١٩١٣ ، انه ترك هيئة تحرير لوتش وناشازاريا ، واصدر ، في شباط (فبراير) ١٩١٤ ، مجلة « غير فئوية » هي بوربا . وكتب لينين في مقال : « تفتت تكتل آب » : « لم ينجح الموحدون الشهيرون حتى في الاتحاد فيما بينهم وقد ولد **اتجاهان** سميا اتجاها آب (اغسطس) : الاتجاه اللوتشي (ناشازاريا ، سفيرنايا ، رابوتشايا غازيتا) والاتجاه التروتسكي (بوربا)(٨٨) .

اما بلاشفة ليتونيا ، الذين ناضلوا سنوات ضد القيادة التصفوية ، للاشتراكية الديمقراطية على الارض الليتونية (ا.د.ا.ل) فقد سددوا رصاصة الرحمة لتكتل آب (اغسطس) . وطالبت منظمات الحزب المحلية اللجنة المركزية لل (ا.د.ا.ل) ان تترك تكتل آب (اغسطس) وان تدعو للمؤتمر الرابع للاشتراكية ــ الديمقراطية الليتونية . وحاولت اللجنة المركزية عرقلة عقد المؤتمر : فأعلنت عندئذ المنظمات المحلية المنشقية لل (ا.د.ا.ل) انها ستدعو للمؤتمر ضد ارادة اللجنة المركزية. فاضطرت قيادةالحزب ان تبدأ بتحضير المؤتمر . وقد ساعد لينين بلاشفة ليتونيا في تحضير المؤتمر . وفي أيار (مايو) سنة ١٩١٣ ، كتب « مشروع برنامج للمؤتمر الرابع للاشتراكية ــ الديمقراطية على ارض ليتونيا » حيث صاغ المهام الاساسية للاشتراكية ــ الديمقراطية الليتونية في النضال ضد التصفويين . وفي نهاية سنة ١٩١٣ ، التقى لينين في برلين وفي باريس بقادة الاشتراكية ــ الديمقراطية الليتونية : ج. جيرمان، و ج. جيبسليس ، و ج. برزنيس ــ زيميليس ، وتحدث معهم عن مؤتمر حزبهم المقبل(٨٩) .

عقد مؤتمر الاشتراكية ــ الديمقراطية الليتونية الرابع في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٤ في بروكسل ، وشارك فيه لينين . وقد ساعد بلاشفة ليتونيا على وضع خط تكتيكي سليم ، ومشاريع مقررات ، وقدم تقريرا عن علاقات الاشتراكية ــ الديمقراطية في ليتونيا مع الـ ح ع ادر والكتلة الاشتراكية ــ الديمقراطية في الدوما . وساهمت مشاركة لينين في اعمال المؤتمر ، في تقوية البلاشفة

---

(٨٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢٠ ص ١٦٣ .

(٨٩) مذكرات ثوار ليتونيا عن لينين ــ ريغا ١٩٥٩ ، ص ٣٥ ــ ٣٦ .

الليتونيين اثناء المؤتمر وبعــده .

ووصف مؤتمر الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الليتونيين التــيار التصفوي بالبورجوازي ، وقرر ترك تكتل آب (اغسطس) . كان ذلك انتصارا عظيما للبلاشفة الليتونيين . وقد كتب لينين عنهم انهم « سددوا ضربة قاضية الى تكتل آب (اغسطس) التصفوي »(٩١) . وبعد مغادرة الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الليتونيين ، انهــار تكتل آب نهائيا . وهكذا انتهت مغامرة التروتسكيين « التوحيدية » ، فلم يستطيعوا خلق حزب انتهازي وسطي في روسيا .

وبعد ان اصيبوا بهــذه الهزيمة الساحقة ، لم يترك تروتسكي الصراع ضد الحزب البلشفي ولم يقطع مع التصفويين . وبعد تركه المجلة التصفوية ناشازاريا ، كتب تروتسكي في شباط (فبراير) ١٩١٣ قال : « أظن أن لا ضرورة للتفسير بأن ذهابنا من ناشــازاريا ليس قطيعة مع التصفويين ... »(٩٢)

وفي ٢٥ شباط (فبراير) سنة ١٩١٣ ، وجه تروتسكي الى ن. تشخيدزيه رسالة يدعو فيها النواب المناشفة في دوما الدولة الرابعة لاتخاذ موقف ضد الشعار اللينيني ؛ الوحدة من القاعدة ، ولاصدار بيان منشفي يطالب بتحطيم « حتى القواعد اللينينية »(٩٣) لا اكثر ولا اقل . وتابعت المجلة التروتسكية بوربا دفاعها عن البرنــامج التصفوي لتكتل آب (اغسطس) . وقــد كتب تروتسكي ان مجلته تعتمد « على الافكــار العظيمة الموضوعة في آب (اغسطس) سنة ١٩١٢ »(٩٤) . وفي مقــال : « خرق الوحــدة بالصياح : عــاشت الوحدة » ، اظهر لينين ان وراء جمل تروتسكي المفخمة عن « غياب الفئات » ، وعن « الوحدة » ، تختفي نظرات تصفوية ومحاولة لايقاع العمال في الخطأ .

وكذلك ، اشار ا. سفردلوف الى الطابع التصفوي في مجلة

---

(٩٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٠ ص ٣٧٨ .

(٩١) ب. اكسلرود و ا. مارتوف ، مراســلات ، ج١ ص ٢٧٤ .

(٩٢) ج. ستالين ، التروتسكية أو اللينينية ؟ موسكو ١٩٢٤ ، الملحق ص ٢٩ ـ ٣٢

(٩٣) بوربــا ١٩٤١ ، عــدد ١ ، ص ٦ .

(٩٤) ن. جوردانيا ، تصفوي .

تروتسكي . وقد كتب الى ك. نوففورودتسيفا ــ سفيردلوفا في ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩١٤ : « بوربا هي جريــدة تروتسكي التي لجأت اليها جماعة فبريود ، وان (كوستروف)(٩٥) ، ولا يمــكن لمواقفهم كلها ان تعطي شيئا مختلفا عما يفعله التصفويون »(٩٦) . لقد فضح البلاشفة الجملة التروتسكية ، كما رفضها منطق النضال الثوري ذاته . وفي حزيران (يونيو) ١٩١٤ ، نظرا لغياب الدعم الجماهيري والتأثير في الجماهير ، توقفت بوربا عن الصدور .

وهكذا ، خلال المد الثوري الجديد ، انجز البلاشفة بقيادة لينين عملا عظيما لتعزيز وتلاحم الحزب، وسحقوا انتهازيي اليمين واليسار دفاعا عن نقاء الماركسية الثوريــة . وفي ظروف السرية المطلقة ، بالرغم من الاضطهاد القاسي ، نجح البلاشفة في عقــد كونفرونس عام للحزب، واجتماعين موسعين للجنة المركزية للـ حـ عادر للمناضلين الحزبيين . وكانت لجنة الحزب المركزية تجتمع دوريا ، وتتعزز المنظمات المحلية ، وكان الحزب يصدر بكميات كبيرة الصحف العلنية والسرية ، ومجلات ، وكراريس ، وبيانات تنشر الافكــار الثورية بين الجماهير ، وتجمعها حول الحزب البلشفي . والبلاشفة يجمعون بمهارة بين العمل السري والعمل العلني .

وصار الحزب قوة سياسية محددة من خلال تمكنه من النظرية الماركسية ــ اللينينية . فقد جمع حول شعارات كونفرونس براغ الغالبية الساحقة مــن الطبقة العــاملة ، واحتل طليعة كل القوى الثورية في البلاد . وفي المؤتمر التاسع للحزب الاشتراكي العمالي المجري ، قــال امين عــام اللجنة المركزية في الـ حـ ش اس ليونيــد بريجنيف : « انه لأمر صعب الوصول الى الطليعة في قيادة الشعب . يستلزم ذلك الامانة الثابتة للماركسية ــ اللينينية ، ولقضية الطبقة العاملة ، ولقضية الشعب الشغيل ، ويستلزم فكرا ثاقبا وتوجيها ثابتا وروحا مبدئية ، وفي نفس الوقت ، مرونة تكتيكية وجلــدا وهدوءا ، لتجاوز كل المصاعب والمنعطفات التاريخية المفاجئة »(٩٦) .

---

(٩٥) أ. سفردلوف ، مختارات ، ج١ ، موسكو ١٩٥٧ ، ص ٢٨١ ــ ٢٨٢ .

(٩٦) ل. بريجنيف ، خطاب في المؤتمر التاسع للحزب الاشتراكي العمالي المجري، البرافدا ، ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٦ .

وكانت للحزب البلشفي بفضل تربية لينين ، كل الصفات الضرورية لتوجيه المد الثوري الجماهيري وتوجيهه نحو ثورة جديدة .

لينين يفضح مناورات تروتسكي المعادية للبلشفية على الصعيد الدولي

لم يكن لينين يعزل الصراع ضد الانتهازية في قلب الـ حـعادر ، عن الصراع ضدها على الصعيد الدولي . وكان قد كتب في مؤلفه « ما العمل ؟ » : « ... الفابيون الانجليز ، والمينيستريـاليست الفرنسيون ، والبرنشتاينيون الالمان ، والنقديون الروس ، جميعهم يشكلون عائلة واحدة ، وجميعهم يتبادلون التهاني، ويتعلمون بعضهم من البعض الاخر ، ويشنون حملات مشتركة ضد الماركسية « الدوغماتية » ... »(٩٧)

وخاض لينين ، منذ بداية نشاطه الثوري ، نضالا لا هوادة فيه ضد الانتهازية العالمية . وكان يتابع تطور الحركة العمالية العالمية ، ويقلقه كثيرا تصاعد الميول الانتهازية . وفي عدة رسائل ومقالات ، ومن منبر المكتب الاشتراكي العالمي حيث كان يمثل الـ حـعادر ، كشف لينين خيانة القادة الانتهازيين الذين ، حسب تعبير كلارا زيتكين ، « كانوا يريدون تحويل الاشتراكية ـ الديمقراطية الى كلب صالون هادىء من نوع اشتراكي ـ قومي أو اشتراكي ـ ليبرالي ، كلب صغير يقدم يده بتهذيب الى كل البورجوازيين المتعفنين »(٩٨) .

وكان لينين قد لمس خطر الوسطية قبل الحرب العالمية الاولى . وكانت سياسة التعايش السلمي مع الانتهازيين والوسطيين غريبة عنه . وقد اكد ضرورة خوض النضال بلا شفقة ضدهم حتى القطيعة التامة معهم على الصعيد التنظيمي .

وخلال سنوات الردة الرجعية والمد الثوري الجديد ، كان كاوتسكي وقادة الاممية الثانية الاخرون يقدمون كل عون ممكن للتصفويين وللتروتسكيين ضد الحزب البلشفي . ومدح كاوتسكي ،

---

(٩٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٥ ص ٣٥٩ (تعليق) .

(٩٨) «Glorieuses bolcheviques» ، موسكو ١٩٥٩ ، ص ٦٢ .

وهو الفارق في الانتهازية ، الافكار الاصلاحية ، مؤكدا دون كلل ، أن على الاشتراكية ــ الديمقراطية ان تتحاشى كل ما يمكن « ان يؤدي بالبورجوازية واتباعها الى حالة هياج معاد للاشتراكية »(٩٩) وكان يدعو للتعايش السلمي بين الانتهازيين والثوريين في حزب واحد ، ولم يكن يناضل ضد التحريفية التي كانت تقرض الاشتراكية ــ الديمقراطية الالمانية . وحاول تروتسكي ، بمساعدة التروتسكيين ان يفرض على آلـ حعادر ، اسوأ التقاليد الانتهازية في الاشتراكية ــ الديمقراطية الالمانية . وكان ينفي امكانية قيام ثورة جديدة في في روسيا، ولا يعترف بالاشكال الاقتصادية لنضال الطبقة العاملة .

وقد ارتكزت وحدة الكاوتسكيين والتروتسكيين على أساس ايديولوجي مشترك وهو : الاعتراف اللفظي بالماركسية ومحاربتها عمليا . وكان تروتسكي يعتبر كاوتسكي « الرئيس الروحي » للبروليتاريا ، ويرجع الى سلطته في كل شاردة وواردة . وتفاخر البرافدا التروتسكية « بالتجربة الاوروبية » ، وتنادي للتطبيق الميكانيكي في روسيا ، كافة أشكال التكتيك الانتهازي والعلاقات في داخل الحزب الاشتراكي ــ الديمقراطي الاوروبي .

وأعار انتهازيو الاممية الثانية كبير اهتمامهم لتروتسكي ولمؤيديه ، وقدموا لهم دعما ماديا هاما للعمل ضد الحزب . وفتح الحزب الاشتراكي ــ الديمقراطي الالماني وأحزاب اخرى من الاممية الثانية صفحات صحفهم ومجلاتهم للتروتسكيين . وكان تروتسكي ، بدعم من كاوتسكي ومن وسطيين آخرين ، يشن حملات الافتراء على البلاشفة في اجهزة نشر الاحزاب الاشتراكية ــ الديمقراطية للاممية الثانية .

وفي ٢٨ آب (اغسطس) سنة ١٩١٠ ، يوم افتتاح مؤتمر كوبنهاغن للاممية الثانية ، نشرت صحيفة فوروارتس مقالا بدون توقيع عنوانه « الاشتراكية ــ الديمقراطية في روسيا » ، « من مراسلنا الروسي » ؛ كان تروتسكي كاتبه . وعرض فيه الحالة في الـ حعادر وكأنها مزرية جدا ، وحمل بحقد على اجهزة الحزب المركزية . وفي ٢ ايلول (سبتمبر) ، وبناء على اقتراح من لينين ،

---

(٩٩) ك. كاوتسكي ، طريق السلطة ، موسكو ١٩٥٩ ، ص ٦٩ .

وجهه باسم الـ حءادر الى اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي ــ الديمقراطي الالماني احتجاجا يشير الى ان رسالة تروتسكي تلحق الضرر بالحركة الاشتراكية ــ الديمقراطية في روسيا » ، وتشكل خرقا ، لا سابق له ، للتضامن والتآخي الامميين بالنسبة للاشتراكية ــ الديمقراطية الروسية »(١٠٠) . وعلى اثر ذلك ، كتب لينين مقال « كيف يقدم بعض الاشتراكيين ــ الديمقراطيين الاممية عن الحالة في الـ حءادر » الذي نشر في صحيفة سوتسيال ــ ديموكرات في ايلول (سبتمبر) سنة ١٩١٠ .

لم يعط القادة الاشتراكيون ــ الديمقراطيون الالمان اي انتباه لاحتجاجات الثوريين الروس . وقد نشرت المجلة النظرية الاشتراكية ــ الديمقراطية الالمانية ، دي نيو زايت ، في ايلول (سبتمبر) ١٩١٠ ، مقالا لتروتسكي بعنوان « الاتجاهات في تطور الاشتراكية ــ الديمقراطية الروسية » وبعده ، مقالا لمارتوف « المناقشة البروسية والتجربة الروسية » وكلاهما يشوه تاريخ الحركة الثورية في روسيا ، وآفاق الثورة الروسية ، والصراع داخل الـ حءادر .

وعندما كتب لينين للمجلة ذاتها مقالا مطولا ردا على تروتسكي ومارتوف ، رفض المسؤولان عنها كاوتسكي وورم نشره . وفي ٢٤ ايلول (سبتمبر) (٧ تشرين الاول (اوكتوبر)) سنة ١٩١٠ ، كتب لينين الى الاشتراكي ــ الديمقراطي البولوني ، ي. مارشليفسكي : « من المؤلم للغاية ألا يرى كاوتسكي وورم ، الخزي والسطحية في مقالات كمثل مقالات مارتوف وتروتسكي . . . انها فضيحة حقيقية ان يكذب مارتوف وتروتسكي دون عقاب ، وان يكتبا هجاءات بصفة مقالات صغيرة « علمية !! »(١٠١)

بعد ان رفضت هيئة تحرير دي نيو ــ زايت نشر مقال ضد مارتوف وتروتسكي ، كتب لينين مقالا على حدة ضد تروتسكي وأرسله الى كاوتسكي »(١٠٢) ، ونجهل مصير هذا المقال . وقد فضح لينين اكاذيب تروتسكي ومارتوف في مقال « المعنى التاريخي للصراع

---

(١٠٠) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٤٧ ص ٢٩٧ .
(١٠١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٣٤ ص ٤٤٤ .
(١٠٢) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ١٩ ص ٤٣٧ .

داخل الحزب في روسيا » الذي نشر في ايار (مايو) سنة ١٩١١ .

لقد رفض لينين تماما تأكيدات تروتسكي ومارتوف التي تزعم ان نضال البلاشفة ضد المناشفة ناتج عن تزاحم بين المثقفين الماركسيين للتأثير على « البروليتاريا غير الناضجة سياسيا » ، وأثبت ان الخلافات بين البلاشفة والمناشفة ، يكمن اساسها في المحتوى الاقتصادي للثورة الروسية . وفضح المقال مزاعم تروتسكي ومارتوف حول تخلف وغياب نضوج البروليتاريا الروسية . وكتب لينين : وحدها البروليتاريا تستطيع ان تكون قائدة الثورة ، وحدها « أمنت لنفسها دورا قياديا في المعركة من اجل الحرية والديمقراطية كعامل محدد للنضال من اجل الاشتراكية . واكتسبت ، في سبيل كل الطبقات المسحوقة والمستقلة في روسيا ، فن قيادة نضال الجماهير الثوري ، هذا النضال الذي بدونه لا يمكن في اي مكان في العالم الوصول الى شيء جدي في طريق تقدم الانسانية »(١٠٣) .

ولقد حاول تروتسكي ادخال مفاهيمه الوسطية ليس في روسيا فحسب ، انما في البلدان الاخرى ايضا . وهكذا في بلغاريا ، وبتشجيع من كاوتسكي ، جهد تروتسكي في تحقيق الوحدة بين حزب الاشتراكيين المنكمشين على ذواتهم (تيسنياكي) مع الاشتراكيين المنفتحين (« اوبشتشيديلتسي ») (١٠٤) .

كان حزب تيسنياكي ، بقيادة د. بلاغوييف ، الذي يجمع في صفوفه عناصر ثورية ، بالرغم من بعض نقاط الضعف (نقص في المرونة السياسية ، رفض امكانات الفلاحين الثورية) ، كان يتبع البلاشفة الروس ، ويناضل ضد الانتهازية ، في سبيل حزب ماركسي مستقل ، وفي سبيل الاممية البروليتارية . اما حزب اوبشتشيديلتسي ، فكان يجمع كل العناصر المعادية للماركسية ، ولم يؤيده العمال لأنه كان في الواقع حزبا بورجوازيا ، وكما كتب د. بلاغوييف « من العيار الفارق في السوقية »(١٠٥) .

أثار النشاط الثوري لحزب تيسنياكي ، وعلاقته بالبلاشفة ،

---

(١٠٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٦ ص ٤١١ ـ ٤١٢ .
(١٠٤) تاريخ الحزب الشيوعي البلغاري ، موسكو ١٩٦٠ ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ .
(١٠٥) سوسيال ديموكرات ، ١٣ (٢٦) كانون الثاني (يناير) ١٩١١ .

حقد التروتسكيين وانتهازيي الاممية الثانية . وفي صيف سنة ١٩١٠ ، وباسم المكتب التصفوي للجنة المركزية للـ ح‌ع‌ا‌د‌ر في الخارج ، شارك تروتسكي في اعمال مؤتمر الاشتراكيين المنغلقين على ذواتهم « تيسنياكي » ، محاولا الوصول الى جعلهم يتخلون عن البرنامج والتكتيك الثوريين ، وليتقاربوا من الـ «اوبشتشديلتسي» وبعد المؤتمر ، في خريف ١٩١٠ ، نشر في المجلة الاشتراكية ـ الديمقراطية الالمانية ديركامبف ، مقالا شوه فيه تاريخ الحركة العمالية البلغارية ، ووجه الافتراءات ضد الاشتراكيين المنغلقين مهددا اياهم بكل أشكال العقوبات من قبل الاممية الثانية .

وفي ٣١ تشرين الاول (اوكتوبر) سنة ١٩١٠ ، كتب د. بلاغوييف الى هيئة تحرير سوتسيال ـ ديموكرات بشأن تروتسكي : « انه يهددنا حتى بالمحكمة الاممية بسبب اشارتنا في صحيفة حزبنا رابوتنيتشيسكي فيستنيك انه « كان يستحق محاسبة الحزب على معلومات خاطئة في الصحافة الالمانية حول قضايا الحزب الروسي » ؛ انه حانق جدا علينا الان ، ونظن انه في كل مكان سيضع لنا عصيا في الدواليب »(١٠٧) .

وفي كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١١ ، نشر د. بلاغوييف في السوتسيال ـ ديموكرات ، مقالا بعنوان « الاشتراكية في البلقان »(١٠٨) فضح فيه افتراءات تروتسكي على الحركة العمالية البلغارية ، وأشار الى أن الجهود « التوحيدية » التي بذلها تروتسكي لعبت لعبة البورجوازية وكان بامكانها ان تلحق ضررا بالغا بالحركة العمالية ، هكذا رفض « اليتسنياكيون » البلغار كل محاولات تروتسكي واستمروا اوفياء للراية الثورية .

بعد كونفرونس براغ ، شن تروتسكي مجددا حملة افتراءات على البلاشفة . وايد القادة الانتهازيون للاممية الثانية باصرار اعمال تروتسكي المغامرة والمعادية للحزب .

---

(١٠٦) لينين والحركة العمالية العالمية . مذكرات ، ج١ موسكو ١٩٤٣ ، ص١١٣ .

(١٠٧) الارشيف المركزي للحزب في معهد الماركسية ـ اللينينية ، مستودع ٢٨ قسم ٣ رقم ٣٦٤٧١ .

(١٠٨) سوسيال ديموكرات ، ١٣ (٢٦) كانون الثاني (يناير) ١٩١١ .

وفي ١٢ آذار (مارس) ١٩١٢ ، عقد في باريس كونفرونس التجمعات المعادية للحزب : غولوس ، فبريــود ، التروتسكيون ، المناشفة والتوفيقيون . وتبنى كونفرونس باريس ، متهما البلاشفة باغتصاب السلطة في الحزب ، قرارا مضادا لقرارات كونفرونس براغ ، ودعـا المنظمات الحزبية المحلية لعـدم الاعتراف بالاجهزة المركزية التي انتخبها كونفرونس براغ . وارسل نص القرار الى المكتب الاشتراكي الدولي ، ثم أرسله الامين العـام ك. هيسمان الى كل الاحزاب الاشتراكية في اوروبـا الغربية والى لينين ايضا .

وأجـاب لينين هيسمان ان المجموعات المعـادية للحزب التي اتخذت هذا القرار ، تحتج على كونفرونس براغ للحزب ، لا تمثل احدا في روسيا وليس لها فيها اي تأثير . وكتب : « انه لمن السهل جـدا التصويت على قرار مفتر في باريس ، بقدر مـا هو صعب تحقيق شيء فعال في روسيا . وعلى كل حال ، صحيح انه لا باريس ولا فيينا ... لهما الحق بالتكلم باسم روسيا »(١٠٩) .

وارسل لينين ، باسم اللجنة المركزية للـ ح ع أدر ، الى المكتب الاشتراكي الدولي تقريرا رسميا يفضح فيه الطابع الافترائي لقرار باريس الانتهازي ، ويشرح الوضع الحقيقي في الحزب ، مشيرا الى ان كونفـرونس براغ كان يجمع الغـالبية المطلقة لمنظمات الحزب الموجودة في روسيا ، وانه كلف بوظائف هيئة الحزب العليا . ومعلنا فيما بعد طرد التصفويين من الحزب ، اعلن لينين ان الـ ح ع ادر لا يتحمل اية مسؤولية لسلوك التجمعات المعادية للحزب في الخارج ، وان المكتب الاشتراكي الدولي يجب ان يمر في كل علاقـاته مع الحزب باللجنة المركزية المنتخبة في كونفرونس براغ(١١٠) . وبنـاء على اصرار لينين ، ارسل هذا التقرير الى كل الاحزاب الاشتراكية لينشر في الصحافة . وبالرغم من ذلك استمر الحزب الاشتراكي — الديمقراطي الالماني بنشر افتراءات تروتسكي .

وفي ٢٦ آذار (مارس) ١٩١٢ ، ظهر في صحيفة فوروارتس مقال غير موقع بعنوان « حياة الحزب الروسي » متخم بالاكاذيب

---

(١٠٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ٢٠ .
(١١٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٧ ص ٥٠٩ ـ ٥١٢ .

حول كونفرونس براغ . وفي ٢٨ آذار (مــارس) كتب لينين الى اوردجونيكيدزيه وسبانداريان وستاسوفا : « نشرت فوروارتس في ٢٦ آذار (مارس) ، مقالا عنيفا ومشينا بحق الكونفرونس بــاسم هيئة التحرير . انه من تروتسكي ، وهذا واضح . فهناك معركة منيفة حول الكونفرونس »(١١١) . وقد كذب لينين ادعاءات تروتسكي في المقال : « تكتم فوروارتس والوضع في الـ ح ع ادر » ، وارسله الى هيئة تحرير هذه الصحيفة ؛ ولكن ادارتها الانتهازية رفضت نشره . عندئذ عمدت هيئة تحرير سوتسيال ــ ديموكرات الى طبع مقــال لينين في كراس منفصل وارسلته الى ستمائة عنوان في المــانيا : الى هيئات تحرير الصحف الاشتراكية ــ الديمقراطية ، الى المكتبات والى منظمــات الحزب المحلية(١١٢) . كان المقــال يعــالج مقررات كونفرونس براغ ، ويبين حقيقة ما كان عليه الوضع في الحزب .

وطلب لينين من البلاشفة ان يبلغوا الاشتراكيين في الخــارج حقيقة الوضع في الحركة العمالية الروسية ، ويفضحوا اكاذيب التروتسكيين والتصفويين في الصحافة الاجنبية ، وان يقفوا بشكل حاســم ضد تدخل قــادة الاممية الثانية الانتهــازيين في شؤون الـ ح ع ادر الداخلية . وأعطى لينين نفسه مثالا في ذلــك ، فكتب المقالات ، وقــدم تقارير للعمال الاجانب ، وأعلم في الوقت المناسب المكتب الاشتراكي الدولي بالوضع في الحزب دون أن يترك بدون جواب اي هجوم معاد للحزب من التصفويين والتروتسكيين ...

وقامت الصحافة الاشتراكية ــ الديمقراطية الالمــانية ، التي واجهت مقررات كونفرونس براغ بشكل عدائي ، بدعــاية صاخبة لمقررات كونفرونس آب (اغسطس) التصفوية . وســاعدت قيادة الحزب الاشتراكي ــ الديمقراطي الالماني تروتسكي في نشر مــواد الكونفرونس واضعة تحت تصرفه مطبعة فوروارتس(١١٣) ١٩١٢ ، نشــرت الصحيفــة الاشتراكية ــ الديمقــراطية الالمــانية ليبزيغر

(١١١) ف. لينين ، المؤلفات باريس ــ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ١٨ .
(١١٢) بروليتارسكايا ريفوليوتسيا ، ١٩٢٥ ، عدد ٥ (٤٣) ، ص ١٢٢ .
(١١٣) الارشيف المركزي للحزب في معهد الماركسية ــ اللينينية ، مستودع ٤٥١ قسم ١ رقم ٢١٣٨٧ ، ٢١٣٨٨ .

فولكزيتونغ مقالا غير موقع عن كونفرونس آب (اغسطس) للتصفويين يضلل الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الالمان ويشوه الطابع الحقيقي للتكتل التروتسكي الذي تشكل في الكونفرونس .

وتلبية لاصرار لينين، نشرت ذات الصحيفة في ٩ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩١٢ ، مقالا كتبه باسم اللجنة المركزية لل ح‌ع‌ادر جاء فيه : « نرى ان لا بد من الاشارة الى ان الكونفرونس المذكور لم يكن في الواقع ابدا كونفرونس منظمات الحزب الروسية »(١١٤) . وبيّن ان المراكز العمالية الروسية لم تكن ابدا ممثلة في الكونفرونس، وان رغبة مجموعات الخارج التي تكلمت باسم الـ ح‌ع‌ادر ، كانت محاولة خداع للاشتراكيين ـ الديمقراطيين الالمان . وتابع يقول : « نحن نحتج بشدة ونشير الى ان اخباريات التصفويين المجهولة سوف تخدع الرفاق الالمان طالما لا يصر هؤلاء على ان يتكلم « المخبرون » علنا بأسمائهم الشخصية واثباتاتهم بين ايديهم »(١١٥)

وساعد قادة الاممية الثانية ايضا تكتل آب (اغسطس) في الحملة الانتخابية لدوما الدولة الرابعة . واعتبر كاوتسكي المهمة الاساسية في الحملة الانتخابية هي « جمع الاخوة الاشتراكيين الاعداء »(١١٦) . وجهد كاوتسكي ، متدخلا ، بدون حرج ، في شؤون الـ ح‌ع‌ادر ، لاجبار البلاشفة ، من خلال نفوذه ، على التخلي عن مقررات كونفرونس براغ وعلى « التآخي » مع التصفويين .

وبمبادرة من تروتسكي، حاولت قيادة الاشتراكية ـ الديمقراطية الالمانية في ايلول (سبتمبر) ١٩١٢ في برلين عقد كونفرونس لل ١١ « مركزا » و « تجمعا » انتهازيا . كان على هذا الكونفرونس ، في الاساس، ان يحقق وحدة الاشتراكية ـ الديمقراطية الروسية، ويوزع ٨٠ الف مارك المقدمة من قيادة الاشتراكية ـ الديمقراطية الالمانية للحملة الانتخابية . ووصف لينين هذه المحاولة بمناورة هي غاية في الغباوة قام بها تروتسكي(١١٧) .

---

(١١٤) البرافدا ، ٢١ نيسان (ابريل) ١٩٦٣ .
(١١٥) برافدا ، ٢١ نيسان (ابريل) ١٩٦٣ .
(١١٦) لوتش ، ٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٢ .
(١١٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ٣٧ .

وجه لينين ، مناهضا بشدة دعوة هذا الكونفرونس ، الى قيادة الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي الالماني رسالة باسم اللجنة المركزية لـ ح ع ادر وهو عالم مسبقا ان ادارة الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي في المانيا ، لن تنشر الرسالة ، فنشرت السوتسيال ـ ديموكرات سنة ١٩١٢ باللغة الالمانية ، كراس لينين « الوضع الحالي في الـ ح ع ادر » الذي ارسل من مراكز المناطق والاحياء الى كافة هيئات تحرير الصحف الاشتراكية ـ الديمقراطية ، والى مندوبي مؤتمر الحزب في هيمنيتز . وأشار لينين مجددا الى ان كل « المراكز » و « التجمعات » في الخارج التي تعمل بمساعدة قيادة حزب الاشتراكية ـ الديمقراطية في المانيا لعقد كونفرونس « توحيدي » ليست لها اية صلة مع الحركة العمالية ، ولن يحول اي كونفرونس « الى وحدة **الصفر** التصفوي في الحركة العمالية الروسية »(١١٨) .

وحذر لينين قيادة الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي في المانيا ، أن المال الذي تنوي اعطاءه للتصفويين سوف يستخدم لتنظيم صحيفة تصفوية ، ولخلق حزب جديد مناهض للـ ح ع ادر . وبعد احتجاجات لينين العنيفة ، ألغى الكونفرونس التجمعات الانتهازية في الخارج. غير ان قسما كبيرا من المال اعطي لتكتل آب (اغسطس) .

ودعا لينين البلاشفة للنضال ضد الانتهازيين والوسطيين في الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي الالماني الذي يساعد التروتسكيين في اعمالهم المعادية للحزب . وانتقد بحدة كامينييف الذي أصر على ان يكون البلاشفة اكثر ليناً مع الانتهازيين ؛ والا فهؤلاء سوف « يستفزون » و « يغضبون » . ورد لينين على كامينييف ، قال : « **علينا** بالضرورة ان نناضل ضد الالمان ، وقد **بدأنا** ذلك ، أ ـ « بالمجهول » + ب) من خلال همينتز ...(١١٩) الحرب **على الطريق** ، وانت تقوم بدور الساذج : سيستفزون ، وسيغضبون . انا لا افهمك ! »(١٢٠)

---

(١١٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ١٨ ص ٢٢٤ .

(١١٩) المقصود كتابات لينين « مجهول فورواتس » والوضع في الـ ح.ع.أ.د.ر » ، « الوضع الحالي في الـ ح.ع.أ.د.ر » .

(١٢٠) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٤٨ ص ١٢١ .

لم يمنع فشل كونفرونس « المراكز » الانتهازية في الخارج ، من تدخل قـادة الاممية الثانية في شؤون الـ حعادر الداخلية . وفـي كانـون الاول (ديسمبر) ١٩١٣ ، بحث اجتمـاع المكتب الاشتراكي مسألة « الشؤون الروسية » ؛ وقـد بحثت بسرعة وبدون تحضير . واستعمل التصفويون الحاضرون كل الامكانيات لمهاجمة الحزب البلشفي . وقـدم كاوتسكي تقريرا عن القضايـا الروسية فقال انه لا يوجد في روسيا حزب اشتراكي ــ ديمقراطي مكتوبة له الحياة ، وان الاشتراكية ــ الديمقراطية القـديمة قـد ماتت . يتوجب اذن خلق حزب جديد في روسيا على نمط احزاب الاممية الثانية الاشتراكية .

احتج ممثل الحزب البلشفي م. ليتفينوف بشدة مشيرا الى انه يوجد في روسيا حزب اشتراكي ــ ديمقراطي ثوري يحظى بمسـاندة الطبقة العاملة ، ولن يقبل البلاشفة بـأي تحـالف مع الانتهازيين(١٢١) .

غير ان المكتب الاشتراكي الدولي كلف اللجنة التنفيذية بتنظيم كونفرونس للاشتراكيين ــ الديمقراطيين الروس لـ « تبادل آراء » حول الخلافات . وعبّر لينين عن رأيه بهـذا القرار وبمـداخلة كاوتسـكي ايضا ، في اجتماع المكتب الاشتراكي الدولي ، في المقالات « بصدد مقررات المكتب » ، « قرار جيد وخطاب سيء » ، « خطأ غير مقبول لكاوتسكي » .

واحتج لينين على تأكيدات كاوتسكي الكاذبة ، ووصف ، في رسالة لانييسا آرمـان ، مداخلة كاوتسكي انهـا « مخجلة مهينة مشوهة وجاهلة ... »(١٢٢) لم يكن يقبل حتى بفكرة امكانية تدخل المكتب الاشتراكي الدولي في القضايـا الداخلية البحتة للحـزب البروليتاري الثوري الروسي . ودعا لينين كل العمال الروس الى التعبير عن رأيهم من تدخل انتهازيي الاممية الثانية في شؤون الـ حعادر . وكان لينين يقول : يجب على المكتب الاشتراكي الدولي سماع الصوت الحقيقي للعمال الروس وليس وشوشات التصفويين.

---

(١٢١) بروليتارسكايا برافـدا ، ٨ (٢١) كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٣ .

(١٢٢) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٤٨ ص ٢٥٤ .

وفي كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٤ ، قابل لينين في بروكسل أ. فندرفلد ، رئيس المكتب الاشتراكي الدولي . وفي الحديث معه حول مسألة الوحدة مع التصفويين ، قال لينين ، حسبما يقول أ. بوبوف : « لن نبحث ولن نقترح ولن نناقش اي حل للمساومة ... لن نقوم بأي تنازل ايديولوجي »(١٢٣) . وصرح لفندرفلد ، ان على كل فئة ان تعرض علنا آراءها ، وتعرف كيف تجيب عنها امام الطبقة العاملة .

وفي ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤ ، ارسل لينين الى هيسمان « تقريرا الى المكتب الاشتراكي الدولي » وفيه يصرح مرة اخرى ان الحزب البلشفي بعد ان قطع على الصعيدين الايديولوجي والتنظيمي مع التصفويين والتروتسكيين وانتهازيين آخرين ، لن يقبل اي « اتحاد » او « مصالحة » معهم . وكتب : « بما اننا جمعنا ، خلال سنتين ، الغالبية الساحقة من التجمعات العمالية الاشتراكية ـ الديمقراطية ، نعلن مطالبتنا بأن يعترف بمنهجنا التنظيمي . لا يمكننا ان نعود عنه »(١٢٤) .

وأثار قرار المكتب الاشتراكي الدولي بعقد كونفرونس حول « القضايا الروسية » ، غضب التروتسكيين والتصفويين ، فشنوا حملة حقيقية على الحزب البلشفي . وفي ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤ ، كتبت كروبسكايا الى ف. كاسباروف : « ان مداخلة المكتب الدولي قد اعادت الحياة لكل انواع الجيف ؛ فالذين تركوا ، منذ زمن بعيد ، كل عمل، كالتوفيقيين وشركاهم ، بدأوا يتحركون الان ويستعدون ، بمشاركة المكتب ، لتحديد مصير الحزب »(١٢٥)

وبدأت الصحافة التصفوية تحضير الكونفرونس . وفي ١٥ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩١٣ ، طالبت جريدة التصفويين نوفايا رابوتشايا غازيتا ، في المقال « عشية الاممية » ، بوضع برنامج تكتيكي وتنظيمي ، يتمكن في اطاره كل تيار من متابعة خطه بحرية في نفس الحزب الواحد . كتبت الصحيفة : « ... يجب

---

(١٢٣) ذكريات عن لينين ، ج٣ ، موسكو ١٩٦١ ، ص ١٣١ .
(١٢٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٠ ص ٧٧ .
(١٢٥) الأرشيف التاريخي ١٩٥٧ ، عدد ١ ، ص ١٦ .

أن يكفل هذا البرنامج ، لغير اللينينيين امكانية شاملة ، في حدود الاشتراكية الديمقراطية الوحيدة ، للقيام بالدعاية ولخوض النضال من أجل اشتراكية ــ ديمقراطية منفتحة »(١٢٦) . وفي كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٤ ، نشر مارتوف في ناشازاريا مقاله « تدخل الاممية ووحدة الاشتراكية ــ الديمقراطية » . وكان يطالب عمليا بالاعتراف ببرنامج تكتل آب (اغسطس) ، مصرحا بوضوح انه « لا يمكن ان يقوم اتفاق على أساس الاعتراف ب ١٩٠٥ »(١٢٧) . ويعني هذا ان على البلاسفة ان يتخلوا عن برنامجهم وتكتيكهم الثوريين ، وان يتبنوا المواقف الاصلاحية . اما المجلة التروتسكية بوربا ، التي دعت لمتابعة مبادرة الاممية الثانية التوحيدية بجدية ، فقد ايدت كليا وجهة نظر التصفويين .

علق التصفويون والتروتسكيون آمالا كبيرة على رحلة فندرفلد الى سان بطرسبورج في ايار (مايو) ــ حزيران (يونيو) ١٩١٤ ، لأنه أراد ، كما زعم ، دراسة ميول الطبقة العاملة الروسية ميدانيا وموضوعيا . كان يهدف فندرفلد في الحقيقة الى « توحيد » البلاشفة والتصفويين . ومن خلف ظهر البلاشفة ، اتفق مع التصفويين على اعتراف هؤلاء غير المشروط بالمكتب الاشتراكي الدولي كحكم أعلى في شؤون الاشتراكية ــ الديمقراطية الروسية. وقال مارتوف بوضوح لفندرفلد ان التصفويين مستعدون للاعتراف مسبقا بالبرنامج « التوحيدي » الذي يضعه المكتب الاشتراكي الدولي(١٢٨) .

لكن رحلة فندرفلد لم يكللها النجاح . وحسب اقتراح لينين ، دعاه النواب البلاشفة الى هيئة تحرير البرافدا وبينوا له بالوقائع من هو الذي يحظى بعطف الطبقة العاملة في روسيا . وقال ج. بتروفسكي ، النائب البلشفي في دوما الدولة الرابعة ، لفندرفلد انه كان يجب درس الطبقة العاملة في روسيا « ليس من خلال وشوشات أشخاص في الخارج » ، وأن على مؤتمر الاممية المقبل

---

(١٢٦) نوفايا رابوتشايا غازيتا ، ١٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٣ .
(١٢٧) ناشازاريا ١٩١٤ ، عدد ١ ، ص ٣٤ .
(١٢٨) ب. أكسلرود و ا. مارتوف ، مراسلات ، ج١ ، ص ٢٩١ .

ان يهتم ليس « بالمصالحة » ، ولكن بأساس المسألة ، وبأن اتحاد البلاشفة « مع هيئة اركان جنرالات المثقفين بدون جيوش » هو من المستحيل. واستعلم فندرفلد عن تركيب المنظمات العمالية العلنية، وعن نشاط النواب في دوما الدولة ، وزار هيئات تحرير الصحف، واضطر للاعتراف بأن غالبية الطبقة العاملة في روسيا تتبع البلاشفة .

فضح لينين حملة التصفويين والتروتسكيين على الحزب البلشفي تحت رعاية القيادة الوسطية في المكتب الاشتراكي الدولي ، ودعا الحزب للرد على الانتهازيين الروس والاجانب . وكتب في كانون الثاني (يناير) ١٩١٤ لاينيسا آرمان : « .. سنحضر كما يبدو موجة جديدة من الفكر التوفيقي الأبله الذي سيستعمله المكتب الاشتراكي الدولي حتما من اجل مسرحية هزلية على غرار الاجتماع العام في ١ ــ ١٩١٠ . ولكننا الان ثابتون على أقدامنا وسنفضح هذه السفالة »(١٢٩) .

غير ان سلطة الاممية الثانية كانت لا تزال كبيرة، ورفض المشاركة في الكونفرونس كان يمكن ان يفهمه العمال خطأ . ووفقا لتعليمات اللجنة المركزية لـ ح ع ا د ر ، بحث قرار المكتب الاشتراكي الدولي في منظمات الحزب ، ونشرت مواد المناقشة في البرافدا .

وفي ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٣ ، نشرت البروليتارسكايا برافدا بتوقيع « تجمع ماركسيين منظمين » القرار حول قرار المكتب الاشتراكي »(١٣٠) ، صيغت فيه بوضوح الخلافات بين البلاشفة والتصفويين ، والشروط التي بموجبها يصبح الاتحاد ممكنا . وأشار القرار الذي كتبه لينين الى ان المنظمات العمالية الروسية وحدها التي يجب ان تمثل ولا الحلقات في الخارج .

وحضّر لينين تقرير اللجنة المركزية الذي سيقدم في الاجتماع ، ووضع كل التعليمات لوفد اللجنة المركزية ، وتباحث تفصيليا مع كل المندوبين . وشرح في رسائله لاينيسا آرمان ، كيف يجب ان يكون تكتيك الوفد الى الكونفرونس ، وما هي المواد التي كان لا بد

---

(١٢٩) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٤٨ ص ٢٥٣ .

(١٣٠) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، م٢٤ ص ٢٣٣ ــ ٢٣٥

من استخدامها في المناقشة .

والفكرة الاساسية عند لينين هي ان الانتهازيين الاجانب ، كائنا من كانوا ، ليس لهم الحق ان يفرضوا قراراتهم على الحزب البلشفي . وكتب لاينيسا آرمان : « ملاحظة . نحن حزب مستقل . تذكر ذلك جيدا . **لا يملك احد** الحق بأن يفرض علينا ارادة الاخرين، **ولا يملك** المكتب الاشتراكي الدولي **هذا الحق هو ايضا** . فاذا حصلت **تهديدات** ، فتلك **ثرثرة** ليس الا » (١٣١) . وقد اوضح لينين دائما ان على البلاشفة ان يذهبوا الى كونفرونس المكتب الاشتراكي الدولي ليفضحوا الطابع الانتهازي لتكتل آب (اغسطس) فقط .

وأرسلت اللجنة المركزية لل ح‌ع‌ا‌د‌ر وفدا الى الكونفرونس يتألف من ا. آرمان و م. فلاديميرسكي و ا. بوبوف ، ولم يذهب لينين . وقد كتب ي. غانيتسكي ، فيما بعد : « أذكر أنني حاولت اقناعه بأن يشارك هو شخصيا في الكونفرونس، فسلطته كانت تعني الكثير ، ويمكن ان تؤثر على المناشفة باتجاه تغيير في التكتيك . لكن ايليتش كان يسخر من سذاجتي ويقول : « لو قرر المناشفة ان يتبعونا لما كان عليهم عقد الكونفرونس . فهم يريدون فقط شتمي امام الاممية . لن اوفر لهم هذه المتعة . ثم ماذا تفيد اضاعة الوقت ، فمن المستحسن الاهتمام بقضايا جدية بدلا من الثرثرة . . . »(١٣٢)

وبدأ المؤتمر في ٣ (١٦) تموز (يوليو) سنة ١٩١٤ في بروكسل، واستمر ثلاثة أيام . وتلا اينيسا آرمان تقرير اللجنة المركزية لل ح‌ع‌ا‌د‌ر الذي صاغه لينين .

أعطى التقرير تحليلا دقيقا وواضحا للوضع في الاشتراكية ـ الديمقراطية الروسية . وكتب لينين، واصفا الخلافات بين البلاشفة والتصفويين : « ليس خلافا يتعلق بالتنظيم ، او **بالنهج الذي يجب اتباعه** لبناء الحزب ، بل هو خلاف حول مسألة وجود الحزب . اذن، لا يمكن البحث هنا بأية مصالحة، بأي اتفاق وبأية تسوية »(١٣٣)

---

(١٣١) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٤٨ ص ٣١٦ .

(١٣٢) ذكريات عن لينين ، ج١ ، موسكو ١٩٥٦ ص ٥٣٤ .

(١٣٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٠ ص ٥٣٠ .

وقد حدد التقرير ١٤ شرطا للاتحاد . جاء فيه : « ان الوحدة ليست ممكنة الا اذا كان التصفويون مستعدين للقطع نهائيا مع كل تكتيكهم ، والامتناع عن كونهم تصفويين »(١٣٤) .

منذ بداية أعمال الكونفرونس ، تكتل انتهازيو روسيا واوروبا الغربية ضد البلاشفة . ومن خلال التبشير « بالوحدة » ما بين البلاشفة والمجموعات الانتهازية ، اعلن قادة الاممية الثانية عمليا تصفية الحزب البلشفي . وقد كتبت كروبسكايا في رسالة لها الى المكتب الروسي للجنة المركزية للـ حع‌ادر قالت : « طالب مارتوف بمساواة كل التجمعات الموجودة في الكونفرونس . ولم تبحث اطلاقا مسألة معرفة من عنده الاغلبية ... كان كل شيء قد قرر سلفا بالاتفاق مع أكسلرود وتروتسكي وروزا وشركاهم »(١٣٥) .

وجهد كاوتسكي وفندرفلد ووسطيون آخرون من المكتب الاشتراكي الدولي لفرض شروطهم للوحدة على البلاشفة . وأيد ، بدون تحفظ ، بليخانوف ومارتوف واكسلرود ، ممثلي الوسطية الدولية . وكان تروتسكي يعمل بجهد ، مثل كل مرة ، ليثبت انه خارج الكتل المتصارعة ، ولكنه في ألواقع ، كان يؤيد كليا وسطيي الاممية الثانية والتصفويين .

ودعم الاشتراكيون ـ الديمقراطيون الليتونيون البلاشفة ، مما أثار حفيظة تروتسكي . وعندما اتهم ممثل البوند الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الليتونيين انهم يدعمون الـ ١٤ شرطا التي اقترحها البلاشفة للوحدة ، وبكونهم المسؤولين عن « الانشقاق » صرح تروتسكي : « صحيح تماما »(١٣٦) . وكان تروتسكي ، في كواليس الكونفرونس ، ينظم كل الحملات الهجومية على البلاشفة . ولكنه رفض ، ليخفي وجهه الحقيقي ، ان يتكلم في الكونفرونس ، مع انه عرض عليه مرتين . وصوت تروتسكي الى جانب قرار المكتب الاشتراكي الدولي مع سائر الانتهازيين .

---

(١٣٤) نفس المصدر ، ص ٥٤٧ .
(١٣٥) الأرشيف التاريخي ١٩٥٨ ، عدد ٦ ص ٢٨ .
(١٣٦) س. شاوميان ، « لينين وكونفرونس بروكسل التوحيدي » ، ايستوريا الاتحاد السوفياتي ١٩٦٦ ، عدد ٢ ص ٣٧ .

وكما هو معلوم ، كان من المتوقع في قرار المكتب الاشتراكي الدولي في كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩١٣ ، ان يقتصر الكونفرونس على تبادل وجهات النظر . بيد ان منظمي الكونفرونس طرحوا على التصويت قرار كاوتسكي الذي يؤكد فيه انه لا توجد في روسيا عقبات جدية أمام وحدة الاشتراكيين ـ الديمقراطيين . وجاء في القرار : « لا تفترض الماركسية الثورية اليوم ابدا الانقسام ، بل على العكس، فهي تتطور بصورة أفضل في قلب حزب موحد »(١٣٧) وفي الواقع ، كانت تلك محاولة لضرب مقررات كونفرونس براغ لل ح ع ادر بصدد فصل الانتهازيين من الحزب .

ولقد واجه الوفد البلشفي كل حملات الانتهازيين ، ورفض البلاشفة بحزم التصويت على قرار كاوتسكي، بالرغم من التهديدات والاهانات . ودافعوا بصلابة عن الاراء التي عبّر عنها تقرير اللجنة المركزية لل ح ع أدر الذي صاغه لينين. كما صوّت الاشتراكيون ـ الديمقراطيون الليتونيون الى جانب البلاشفة ضد القرار .

نجح القرار بفضل أصوات التصفويين والتروتسكيين وأتباع بليخانوف وانتهازيين آخرين . وأعطى كونفرونس بروكسل « التوحيدي » الحياة ، مكان تكتل آب (اغسطس) الى تكتل سمي بـ ٣ تموز (يوليو) ، « اي كما أشار لينين ، للتحالف الحاصل في بروكسل في ٣ ـ ٧ سنة ١٩١٤ بين لجنة التنظيم وتروتسكي وروزا لوكسمبورغ وأليكسينسكي وبليخانوف والبوند والقوقازيين والليتونيين **ولويكا** والمعارضة البولونية ، الخ... » (١٣٨)

اتخذ أعضاء تكتل ٣ تموز (يوليو) قرارا بتوجيه نداء « الى كل عمال روسيا » صاغه بليخانوف ومارتوف وتروتسكي . كان النداء يستعيد الافكار الاساسية في قرار كاوتسكي الذي اعتمده المكتب الاشتراكي الدولي . ولم يتمكن تكتل ٣ تموز (يوليو) من القيام بأي عمل ملموس ، وبسبب انقطاعه عن الحركة العمالية في روسيا ، ما برح ان تفتت مثل تكتل آب (اغسطس) .

رفض البلاشفة مقررات كونفرونس بروكسل ، ولم يقبلوا بأي

---

(١٣٧) ا. كريفوغوز ، الاممية الثانية ، ١٨٨٩ ـ ١٩١٤ ، موسكو ص ٤٥٨ .
(١٣٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢١ ص ١١٢ .

اتفاق مع الانتهازيين ، مظهرين ، مرة اخرى ، كيف يجب ان يخاض النضال من أجل نقــاء النظرية الماركسية ، ومن أجل وحدة صفوف الحــزب . وفــي ظروف غــاية في التعقيــد ، في عشية الحرب الامبرياليــة ، أنقذ البلاشفة ، بقيــادة لينين ، الحزب من انحلال انتهــازي ، ودافعوا عن برنــامجه وتكتيكه الثوريــين ، مظهريــن للبروليتاريا العالمية ، صلابته التي لا تلين ، وفكره المبــدئي ، وعدم تهادنه مع أعــداء الماركسية .

واعتبر الحزب البلشفي ، النضال ضد الانتهازية والدفاع عن الماركسية الثورية، واجبه الاممي الرئيسي . وكتب لينين في تشرين الاول سنة ١٩١٤ : « تكمن مهمتنا ، في الوقت الحالي ، في خوض نضال كامل ومعلن ضد الانتهازية الدولية ، وضد الذين يموهونها ... انها مهمة اممية ، وهي تقع علينا ، ولا يتحملها احد غيرنا . ولا يمكننا التهرب منها »(١٣٩) . كان نفوذ سيــاسة الحزب البلشفي الثورية الثابتة تكبر اكثر فأكثر بين صفوف البروليتاريا العالمية .

بعد رد كل هجمات الانتهازيين والوسطيين ، وبعــد اسقاط كل عملائهم في الحركة العمالية الروسية ، قــاد الحزب اللينيني بثبات الجماهير الكادحة في روسيا على طريق الثورة . وتجاوبت سياسته مع المصالح الحيوية للطبقة العاملة ولكل الشغيلة .

---

(١٣٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ١٥٨ .

الفصل الخامس

نضال الحزب البلشفي ضد التروتسكية أثناء الحرب العالمية الأولى وثورة شباط (فبراير) في روسيا

تكتيك الحزب البلشفي في الحرب العالمية الاولى
نقد لينين المناهض لشعارات تروتسكي التكتيكية

تابع الحزب البلشفي ، أثناء الحرب العالمية الاولى ، اعداد البروليتاريا بنشاط لمجابهات جديدة مع القيصرية . وقد حدد الحزب موقفه من المسائل الاساسية لنضال البروليتاريا الطبقي ، تلك المسائل التي طرحت من زوايا جديدة في ظروف الحرب ، وكان الحزب ايضا قد قاد نضال الجماهير ضد الحرب والقيصرية والرأسمالية . وكان على البلاشفة ان يدافعوا عن خطهم الستراتيجي والتكتيكي ويكرسوه بصراع عنيف ضد الاشتراكية الشوفينية والوسطية وضد الانعزالية « اليسارية » .

كانت الحرب محكاً للمنطلقات النظرية وللنشاطات العملية لكل الاحزاب الاشتراكية ــ الديمقراطية وقادتها . وكان الموقف من الحرب هو الخط الفاصل في الاشتراكية ــ الديمقراطية بين الثوريين والانتهازيين .

وكان الحزب البلشفي ، بقيادة لينين ، هو الذي يوجه الاتجاه الثوري في قلب الاشتراكية ــ الديمقراطية الروسية والعالمية .

وقد نشبت الخلافات، واتخذت الغالبية من الاحزاب الاشتراكية ــ الديمقراطية في الاممية الثانية ، مع المناشفة والاشتراكيين الثوريين في روسيا ، موقف المدافع المفضوح عن الامبريالية . وسقطت الاممية الثانية. وتحولت انتهازية زمن السلم الى اشتراكية شوفينية مرتبطة مباشرة بالبورجوازية الامبريالية .

ومحددا كافة قوى الاشتراكية ــ الديمقراطية الروسية والعالمية ، أشار لينين الى الاتجاهات التالية : الشوفينيون

(الاشتراكيون الوطنيون) وأصدقاؤهم المتحمسون (الوسطيون) والمعادون للشوفينية (الثوريون الامميون المنسجمون)[1] . وفي الكتابات العديدة التي صدرت في تلك الفترة حلل لينين بعمق الجذور الاجتماعية والسياسية للاشتراكية ـ الشوفينية ، وكذلك أسباب سقوط الاممية الثانية ، وشرح سبب تخليها عن النضال الطبقي وانتقالها الى التحالف المكشوف مع البورجوازية الامبريالية. وكتب لينين ان الاشتراكية ـ الشوفينية ليست ظاهرة عارضة فهي ذات جذور في خصوصيات المرحلة الامبريالية : البورجوازية التي تنهب وتستغل البلدان المستعمرة ونصف المستعمرة ، تستطيع ان تحتوي الفئة العليا من الطبقة العاملة .

كان قادة الاشتراكية ـ الشوفينية الغربيون : بيسولاتي ، فندرفلد ، غويد ، سمبات وشيدمان وغيرهم ... وكان في روسيا : اكسلرود ، بليخانوف ، ليفينسكي ، بوترسوف . وكان شعار الاشتراكيين ـ الشوفينيين « الدفاع عن الوطن » ، ويدعون العمال للتعاون مع بورجوازية بلدانهم . وهكذا كان بليخانوف يؤكد انه في ظروف الحرب يجب ان تكون سياسة الطبقة العاملة والبورجوازية سياسة « **تعاون** في الاتحاد عندما يطرح الدفاع عن البلاد ضد هجمات من الخارج » [2] .

وصف البلاشفة الاشتراكيين ـ الشوفينيين بأسوأ خونة للطبقة العاملة، ودعوا لمحاربتهم بلا هوادة. كان الاشتراكيون ـ الشوفينيون المموهون او الوسطيون أخطر أعداء البروليتاريا . وفي سنوات الحرب ، كما في السابق ، بقي كاوتسكي أحد قادة الوسطية على المسرح العالمي . وكان تروتسكي ومارتوف زعيمي التيار الوسطي في روسيا .

وعبرت الوسطية في ظروف الحرب عن تردد البورجوازية الصغيرة بين الاشتراكية ـ الشوفينية ، ومسالمة البورجوازية ـ الصغيرة . لم تكن تعلم ما اذا كانت ستنضم للبروليتاريا ام للبورجوازية . بينما دافع الاشتراكيون ـ الشوفينيون علنا عن

---

(1) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(2) ج. بليخانوف ، المؤلفات ج.٢ ، ص ١٣ .

مصالح البورجوازية الامبريالية ، وكان الوسطيون ، بتطبيقهم نفس السياسة هم ايضا يزينونها بالجمل « اليسارية » . وكخدم أمناء للبورجوازية كانوا يستخدمون، لتحويل الجماهير عن النضال الثوري وخداعها عن طريق المطالب الوهمية « بالسلام العادل » و « بنزع السلاح العام » . لم يكن الوسطيون من مؤيدي الثورة الاشتراكية الموجهة ضد حكوماتهم ؛ اذن لم يدعوا للثورة ، ولم يقوموا بأي عمل ثوري بين الجماهير ، واكتفوا باغراقها بكلام الواعظ الثوري جدا . وحاول التروتسكيون فرض الاراء الوسطية على الطبقة العاملة في روسيا بأمل موازنة الخط الثوري للحزب البلشفي .

تابع تروتسكي في باريس ، خلال هذه السنوات ، الصراع ضد الحزب البلشفي بقيادة لينين(٣) . وفي كل المسائل الحيوية الملحة المتعلقة بالحرب والسلم والثورة ، كان برنامج التروتسكيين يتعارض مع برنامج البلاشفة. وكانت آراء المناشفة ــ التروتسكيين تنشر أثناء الحرب في صحيفة غولوس ، في باريس ، وفيما بعد في ناشي سلوفو وكتب لينين بهذا الصدد قال : « تأسس في باريس صحيفة ناشي سلوفو (غولوس سابقا) ، بمساعدة مارتوف وتروتسكي خاصة اللذين يرغبان الربط بين الدفاع الافلاطوني عن الاممية ، والمطالبة المطلقة بالوحدة مع ناشازاريا، لجنة التنظيم او كتلة تشخيدزيه »(٤) نشرت هذه الصحف مقالات ومداخلات القادة الاشتراكيين ــ الشوفينيين والوسطيين ، أمثال فندرفلد وكاوتسكي وبليخانوف واكسلرود واليكسينسكي الخ . . . وكان من بين أعضاء هيئة التحرير المساهمين المقربين في ناشي سلوفو؛ مارتينوف، آستروف، لارين،

---

(٣) مزيف تاريخ الـ ح.ش.ا.س ، التروتسكي ا. دويتشر ، حاول الايحاء بان أثناء الحرب، لم تحصل بين لينين وتروتسكي خلافات مبدئية ، انما فقط خلافات مؤقتة في وجهات النظر ، وان تروتسكي كان في الواقع مستعدا لمقاطعة المناشفة ، والوقوف بجانب البلاشفة (ا. دويتشر ، تروتسكي ، النبي المسلح (١٨٧٩ ــ ١٩٢١) الجزء الاول ص٢٩٥) وتثبت الوقائع عكس ذلك . فأثناء الحرب ، تابع تروتسكي ، كما في السابق ، عداءه للبلشفية . واعترف بنفسه ان صحيفته ناشي سلوفو تخوض نضالا ايديولوجيا ضد اللينينيين (ناشي سلوفو ، ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥) .

(٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٣٠٦ ــ ٣٠٧ .

بيهير وفلاديميروف وأنطونوف ــ اوفسيينكو ، وريازانوف وليوناتشارسكي وبوكروفسكي ولوزوفسكي وزاليفسكي ومانويللسكي.

كان التروتسكيون الاعداء الالداء للموضوعة التي صاغها لينين عن الامبريالية والثورة الاشتراكية ؛ وكانوا ينشرون الاراء الكاوتسكية عن « ما فوق الامبريالية » ، ونظرية « الثورة الدائمة » التي فضحها البلاشفة منذ ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ . أراد التروتسكيون معارضة شعارات البلاشفة ؛ « اسقاط الحكومة » و « تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية » ، بشعاراتهم : « السلم بأي ثمن » و « لا انتصار ولا هزيمة » ، هذه الشعارات التي لم تعبأ بمصالح البورجوازية وكانت تؤدي الى اهمال الثورة . وتابعوا ، تحت شعار « الاممية » ، السعي من اجل « اتحاد » الانتهازيين والثوريين في حزب واحد . كان هذا المطلب يخفي حلم كل الانتهازيين الراغبين في تصفية الحزب البلشفي .

كان يجب لف الجماهير حول شعارات ثورية ، وتعبئتها ضد الاوتوقراطية والراسمالية ؛ وعلى الحزب البلشفي ان يستهلك سقوط الاشتراكية ــ الشوفينية والوسطية .

وفي مقالاته ؛ ما العمل الان » و « سقوط الاممية الافلاطونية » « عن سقوط حكوماتنا في الحرب الامبريالية » ، « بصدد خطوط الثورة » ، « بصدد شعار الولايات المتحدة الاوروبية » ، « برنامج السلم » ، « الامبريالية وانشقاق الاشتراكية » ، وفي مؤلفات اخرى مختلفة ، فضح لينين طابع بلاتفورم التروتسكيين المعادي للماركسية ، وحدد طبيعتها البورجوازية الصغيرة وأظهر الخط الذي تمثله على نضال البروليتاريا الطبقي . وفضح البلاشفة ، في سوتسيال ديموكرات ، ومنشورات اخرى متعددة ، الطابع الوسطي للموضوعات التروتسكية. في هذا الصراع العنيف ضد الاشتراكيين ــ الشوفينيين والوسطيين ، كان الحزب البلشفي ، منذ بداية الحرب ، قد وضع التكتيك الوحيد الثوري الحقيقي الذي يضمن اسقاط الاوتوقراطية وانتصار الثورة الاشتراكية .

كانت الحرب العالمية الاولى حرب غزو شنها امبرياليو كل البلدان . فقد سجل بلوغ التناقضات الامبريالية المستعصية أوجها الاقتصادية منها والسياسية . واظهرت الحرب العجز الاساسي

اللامبريالية كنظام اقتصادي وسياسي ، لا يمكن ان يستمر الا من خلال اثارة الحروب والويلات التي تدفع الجماهير الشعبية ثمنها .

ويؤدي قانون التطور المتفاوت للراسمالية الاحتكارية الى تعديل في نسبة القوى الاقتصادية والعسكرية والسياسية بين مختلف البلدان ومجموعات البلدان . وأصبحت دوائر التأثير التي كانت تتقاسمها سابقا اتحادات الاحتكارات والبلدان في تناقض مع ميزان القوى الجديد . من هنا الصراع الذي تحاول البورجوازية ان تحسمه بالحرب .

وفي مؤلفاته التي كتبها أثناء الحرب العالمية الاولى ، أوضح لينين الاسباب الاقتصادية والسياسية للحرب وحدد طابعها. وكتب لينين انهذه الحرب هيالاستمرار للسياسة التيتتبعها البورجوازية الامبريالية . انها حرب « بين نخاسين يتزاحمون على ماشيتهم ويريدون اطالة وتعزيز العبودية ايضا »(٥) . وسعت بورجوازية البلدان المتحاربة الى تحييد الطاقة الثورية لدى الطبقة العاملة ، وانهاك التناقضات الطبقية الاشد خطرا، وبث الشوفينية والقومية.

وشكلت الاستنتاجات التيأخرجها لينين حولأسبابوطابعالحرب العالمية الاولى ، الاساس الايديولوجي الذي ساعد على وضع تكتيك الحزب البلشفي مؤمنا المخرج الثوري للحرب الامبريالية ، واسقاط الاوتوقراطية، وانهاء سيطرة البورجوازية. وحدد لينين المستلزمات التالية لوضع تكتيك الحزب : يتوجب ، حسب رأيه : « ١) باسم المنظمة صياغة ... رأي عن وضع المرحلة والتكتيك ... ٢) وضع شعار للمعركة في المرحلة المحددة . ٣) وصل الاول بالثاني في نشاط الجماهير البروليتارية وطليعتها الواعية »(٦) .

ان أولى الوثائق التي تحدد موقف الحزب البلشفي من الحرب ، كانت كتابات لينين؛ مهام **الاشتراكيةـالديمقراطية الثورية فيالحرب الاوروبية (موضوعات عنالحرب)** ، وبيان اللجنة المركزية لل ح ع ا د ر الذي اعتمد الموضوعات أساسا له ، وكان عنوانه : « الحرب والاشتراكية ــ الديمقراطية الروسية » . وانطلاقا من تحليل طبقي

---

(٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢٣ ص ٢١٧ .

(٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٤٥٤ .

للحرب العالمية ، صاغ بيان اللجنة المركزية بدقة ، شعار البلاشفة التكتيكي الاساسي : تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية ، على انه « الشعار الوحيد الصحيح ... النابع من ظروف الحرب الامبريالية بين بلدان بورجوازية عالية التطور »(٧) وهذا الشعار وثيق الصلة بشعار « هزيمة حكومة بلاده في الحرب الامبريالية » ، الذي صاغه لينين لمعارضة الاشتراكيين ـ الشوفينيين الذين طرحوا شعار « الدفاع عن الوطن » .

أوضح البيان أسباب سقوط الاممية الثانية محللا جوهرها الاشتراكي ـ الشوفيني ، ومحددا مهمة خلق أممية بروليتارية جديدة ، الاممية الثالثة . ومن جهة اخرى ، اشار الى ان خلق أممية ثورية لن يعترضه الاشتراكيون ـ الشوفينيون المفضوحون وحدهم ، بل العناصر المترددة ايضا التي تحاول تبرير خيانة قادة الاممية الثانية وترغب في رؤيتها حية من جديد .

لقد لعب بيان اللجنة المركزية للـ ح ع ا د ر دورا أساسيا في تاريخ الاشتراكية ـ الديمقراطية الروسية والعالمية . وقدم الوضوح للقوى الاممية اليسارية في الظروف المعقدة للحرب . وعندما أرسل البيان سرا الى روسيا ، دفع نشاط المنظمات البلشفية التي استلهمت منه . ولم يتأثر العمال الروس ، بغالبيتهم ، بالقومية والشوفينية ، بفضل العمل الاممي للحزب البلشفي . ووزع البيان في الخارج باتساع ، وأرسل كوثيقة رسمية من اللجنة المركزية للـ ح ع ا د ر الى المكتب الاشتراكي الدولي ، وبعض الصحف الاشتراكية الالمانية والانجليزية والفرنسية والسويدية والسويسرية .

وتميزت المرحلة التالية في وضع التكتيك البلشفي بمقررات كونفرونس الاقسام البلشفية في الخارج ، الذي عقد في برن من ٢٧ شباط (فبراير) حتى ٤ آذار (مارس) ١٩١٥ . تأثر بعض أعضاء الحزب الموجودين في الخارج بالاراء السلمية و « الدفاعية » . وهكذا اتخذت فئة من بلاشفة مون بيلييه (فرنسا) شعارا هو « فلتسقط الحرب » وآخر هو « عاش السلم »(٨) وطرحت مجموعة بوجي ،

---

(٧) **ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢١ ص ١٧ ـ ١٨ .**

(٨) **بروليتارسكايا ريفوليوتسيا ١٩٢٥ ، عدد ٥ (٤٠) ، ص ١٦٧ ـ ١٧٠ .**

التي كانت تضم بوخارين وكريلنكو وروزميروفيتش وبياتاكوف وبوش ، شعار السلم لتروتسكي ، ودعت لممارسة سياسة الاتفاق مع الوسطيين ، مما يتعارض تماما مع الشعارات اللينينية « تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية » و « اسقاط الحكومة »(٩) . طالبت جماعة بوجي باصدار صحيفة مستقلة عن اللجنة المركزية للحزب ، وارادت ان يشارك تروتسكي في المنشورات البلشفية ، وان تقام علاقات ودية مع ناشي سلوفو . ان وضعا كهذا جعل من الضروري عقد كونفرونس لأقسام الحزب في الخارج ، نظرا لتعذر الامكانية المادية لعقد كونفرونس عام للحزب .

عقد كونفرونس برن ، بناء على مبادرة من لينين ، وكانت له أهمية الكونفرونس الحزبي . وشارك فيه ممثلون عن اللجنة المركزية في الـ ح‌ع‌ادر ، وعن صحيفة سوتسيال ــ ديموكرات ، وعن المنظمة الاشتراكية ــ الديمقراطية النسائية ؛ وعن الاقسام البلشفية في الخارج ، (أقسام باريس ، زوريخ ، برن ، لوزان ، جنيف ، لندن ، بالاضافة الى مجموعة بوجي)(١٠) .

وكانت المسألة الرئيسية التي نوقشت في المؤتمر مسألة الحرب ومهام الحزب . وقدم لينين تقريرا حول هذا الموضوع ، وحددت القرارات ، التي اتخذت بعد هذا التقرير ، مهام وتكتيك الحزب البلشفي في ظروف الحرب الامبريالية. وكانت مقررات الكونفرونس في أساس نشاط منظمات الحزب ، ان في الخارج او في روسيا .

ورأى لينين ان مقررات كونفرونس برن « سوف تخدم كل الاشتراكيين ــ الديمقراطيين الراغبين في البحث جديا عن مخرج نحو التحرك المجدي للخروج من خليط الاراء ، التي تقتصر في الاساس ، على قبول الاممية لفظيا ، والتوجه في الواقع ، بطريقة او بأخرى ، الى مصالحة بأي ثمن مع الاشتراكية ــ الشوفينية »(١١) وبصفتهم فصيلة من الاشتراكيين ــ الشوفينيين ، هاجم التروتسكيون

---

(٩) نفس المصدر ، ص ١٧٢ .

(١٠) مجموعة بوجي (ضاحية لوزان) ، لم تكن تمثل وحدة مستقلة تعترف بها اللجنة المركزية . كانت جزءا من قسم لوزان .

(١١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢١ ص ١٥٧ .

تكتيك البلاشفة الذي عبرت عنه مقالات لينين ، وكذلك مقررات كونفرونس برن . وقد بقي كاوتسكي معلمهم الفكري .

من المعروف ان حكم تروتسكي على أسباب وطابع الحرب العالمية الاولى ، كان خاطئا ، انطلاقا من فكرة « ان الخلافات الامبريالية الموجودة ، لم تكن لتستطيع التسبب في الحرب مباشرة »(١٢) وكان يؤكد ان الحرب كانت سباق عوامل ظرفية : الحكومات الخائفة من التهديدات التي تتبادلها ، شنت الحرب ضد ارادتها . وكان يعمل بدأب لتبرير الشوفينيين ، معلقا ان كلا له الحق في الدفاع عن بلاده وذلك واجب عليه .

تبنى التروتسكيون كليا آراء كاوتسكي الانتهازية عن أسباب وغايات الحرب . ومع قبوله لفظيا بطابع الحرب الامبريالي ، كان تروتسكي يصرح انها اندلعت عفويا ، وتلك ظاهرة لا تهدد الحكومات الامبريالية ، وان « الحرب ليست لها غايات سياسية بحتة » وانها « مجابهة يتطاحن فيها كل المحاربين »(١٣) . كانت تخفي هذه الطريقة المدرسية والمجردة ، الطابع الطبقي في مواجهة الحرب.

ان أفكار كاوتسكي الانتهازية المتعلقة بطابع وأسباب الحرب كانت في صلب الشعارات التكتيكية للتروتسكيين الذين وقفوا منذ بداية الحرب ضد شعارات البلاشفة . وفي بداية تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٤ ، قدم لينين في زوريخ محاضرة بعنوان « الحرب والاشتراكية ــ الديمقراطية » ؛ شارك تروتسكي في مناقشة المحاضرة وأعلن موافقته عموما على كل ما جاء فيها . اما في الواقع ، فقد كانت مداخلته دفاعا عن « برنامج السلم » الوسطي .

وتشل الحرب ، برأي تروتسكي ، الطاقات الثورية لدى الطبقة العاملة ، وتستبعد كل نشاط ثوري . وبما ان الاشتراكية ــ الديمقراطية عاجزة عن مواجهة القوى المجتمعة للسلطة القائمة ، كما كان يؤكد تروتسكي، كان على البروليتاريا، قبل التفكير بالثورة، ان

---

(١٢) ك. كاوتسكي ، الدولة القومية والدولة الامبريالية وتحالف الدول ، موسكو ١٩١٧ ، ص ٧٤ .

(١٣) غولوس ، ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ .

تتوصل الى السلم والى ايقاف القتال بين البروليتاريا الالمانية والفرنسية(١٤) .

وأتهم تروتسكي لينين بعدم احترام شخصية كاوتسكي ، وطالب « بلهجة أكثر لياقة » في متابعة النقاش ، ومرد ذلك الى الدفاع عن وسطيي اوروبا الغربية الذين كانت للتروتسكيين معهم قضية مشتركة . وكانت الاراء التي يعظ تروتسكي بها ، تؤدي بالبروليتاريا الى الجمود أمام تتابع الاحداث ، وتحرفها عن النضال الثوري . لذا وقف البلاشفة في موقع معارض لمنطلقات تروتسكي .

وقد حدد الشعار التكتيكي الاساسي للحزب البلشفي عن « تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية » ؛ القوى المحددة للثورة ، وطرق تقريبها ، ووسائل واشكال النضال الثوري في ظروف الحرب . كان ينبع هذا الشعار من طابع الحرب ومن الظهور الحتمي للازمة التي سوف ترافقها .

وكتب لينين ، معتمدا على تجربة الحرب : « بوجه الحرب البورجوازية الامبريالية ، بوجه حرب الراسمالية العالية التطور ، لا تمكن المجابهة **موضوعيا** ، من ناحية التقدم ، ومن ناحية الطبقة الطليعية ، الا بالحرب **ضد** البورجوازية ، اي قبل كل شيء ، حرب البروليتاريا الاهلية ضد البورجوازية من أجل الوصول الى السلطة ، حرب بدونها **يستحيل** كل تقدم جدي ... »(١٥)

وحدد لينين كل أساليب النضال الثوري التي ستسمح بتحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية .

وكخطى أولية في هذا الاتجاه ، رأى انه يجب : « ١) رفض التصويت بشكل مطلق على الاعتمادات الحربية والانسحاب من الوزارات البورجوازية ؛ ٢) القطع كليا مع سياسة « السلم القومي » ... ٣) خلق منظمة سرية في كل مكان حيث تعمد الحكومات والبورجوازية الى تعطيل الحريات التشريعية مطبقة القانون العرفي ؛ ٤) دعم أخوة جنود الدول المحاربة في الخنادق وعلى مسرح العمليات عامة ؛ ٥) الدعم بشكل عام لكل

---

(١٤) مختارات لينين ، ٢٤ ، ص ١٣٩ .

(١٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢٢ ص ٣٤٠ .

حركة ثورية لجماهير البروليتاريا »(١٦) . كان تفاقم الازمة الاقتصادية والمد الثوري يشيران الى ان الطبقة العاملة والجنود والفلاحين في روسيا، سيكونون قريبا جاهزين لشن الحرب الاهلية ضد مستغليهم .

كان وضع شعار البلاشفة الاساسي قيد التنفيذ ، يفترض تحركات ثورية ملموسة من الجماهير الشعبية التي كان عليها ان تعرف تنظيمها للصراع ضد الاوتوقراطية . وكان على الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الثوريين ان يعززوا سياسة هزيمة الحكومة ، لأن « **تحويل** حرب حكومات الى حرب أهلية تسهل طريقه المساوىء العسكرية (« هزيمة ») الحكومات . **وتستحيل** ، من جهة اخرى ، المساهمة عمليا في هذا التحويل ، ان لم ندفع بنفس الوقت ، باتجاه الهزيمة »(١٧) .

واتخذ تروتسكي مواقف معادية لتكتيك لينين في عدد من المقالات والخطب . وهكذا ، في كتاباته « الازمة العسكرية والافاق السياسية » ، « برنامج السلم » ، صرح تروتسكي خاصة « ان الحرب الاهلية هي موضوعة انشقاقية يحاول البلاشفة فرضها على الاخرين »(١٨) . وأكد تروتسكي ان النضال ضد الحرب يجد تعبيره الطبيعي في المطالبة بالسلم بأي ثمن . كان يقول ان النضال من اجل السلم يدفع بالبروليتاريا ، عفويا ، الى اعمال ضد الحرب ، الى الثورة . ولذا كان يجب ان تكون مطالب الاشتراكية ـ الديمقراطية هي التالية : سلم بدون تبعية ولا غرامات ، حق الامم في تقرير مصيرها ، واخيرا ، عندما تصبح قوى البروليتاريا العالمية ناضجة ، والولايات المتحدة الاوروبية بدون ملكيات وبدون جيش دائم ودون دبلوماسية سرية . ونظر تروتسكي الى « برنامج السلم » وكأنه يهم اوروبا كلها ، وحسب رأيه ، يترجم هذا البرنامج واقع ان الدولة القومية قد ولى زمنها كاطار لتطور القوى المنتجة ، وكقاعدة لنضال

---

(١٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢١ ص ١٥٧ .
(١٧) نفس المصدر ، ص ٢٨٤ .
(١٨) الارشيف المركزي للحزب في معهد الماركسية ـ اللينينية ، مستودع ٣٥١ قسم ١٠ رقم ٢٧٥٠٦ ورقة ٢ .

البروليتاريا الطبقي . كأن « برنامج السلم » الذي عظمه تروتسكي برنامجا منشفيا انتهازيا ؛ ولا يفاجىء مـا كتبه مارتوف لأكسلرود من انه نجح في اقرار شعـار السلم في هيئة تحرير غولوس « فقدم دعم تروتسكي الشيء الكثير(١٩) .

وانتقدت صحيفة سوتسيال ــ ديموكرات « برنامج السلم » لتروتسكي ، من مواقع النضال الطبقي للبروليتاريا . وأشار لينين الى ان حزب البلاشفة لم يكن عدوا للسلم ، فهو يناضل من اجل السلم ، ويأخذ بعين الاعتبار تطلعات الجماهير الى سلم ديمقراطي عادل . « ان توقف الحروب ، والسلام بين الشعوب ، وانتهاء اعمال السلب والعنف : هذه بالـذات هي غايـاتنا ؛ ولكن السفسطائيين البورجوازيين وحـدهم يستعملون ذلـك كوسيلة أغراء للجماهير ، فاصلين هذه الغايات عن الدعـاية الملحة والمبـاشرة لصالح الاعمال الثورية »(٢٠) .

كان يجب دفع الحركة مـن اجل السلـم لتلتقي مع النضال البروليتاري ، وليس مع الحركة المسالمة ، وكان يجب ربطه بالنضال الذي سوف تخوضه البروليتاريا للاستيلاء على السلطة . ونظرا لأن طبقات اجتماعية مختلفة قـد انخرطت في التحرك مـن اجل السلم ، رأى الحزب ان شعار السلم لا يمكن ان يكـون شعار نضال البروليتاريا الطبقي . وفي الظروف التي ولدتها الحرب ، كان شعار السلم « أخرق وخاطئا (**خصوصا** بعـد **خيانة** غالبية القادة ومن بينهم غويد ، بليخانوف ، فندرفلد ، كاوتسكي) . وكان عمليا نواح البورجوازية ــ الصغيرة . بينما **حتى** في **ساحة الحرب** ، يجب ان نبقى ثوريين ، وندعو **للنضال الطبقي** حتى في الجيش »(٢١) .

وفـي مقـالاته « عن الوضع فـي الاشتراكية ــ الديمقراطية الروسية » ، « الاشتراكية والحرب » ، بصدد « برنامج السلم » وغيرها ، أظهر لينين المحتوى الطبقي لبرنامج السلم الذي لم يشر ، لا الى وسـائل النضال ضد الحرب ، ولا الى الطريق الذي يجب ان

---

(١٩) ب. أكسلرود و ا. مارتوف ، مراسـلات ، ج١ ص ٣١٠ .
(٢٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٣٠٢ .
(٢١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ١٦٨ .

تتبعه البروليتاريا للوصول الى السلطة . وكتبت سوتسيال ــ ديموكرات « لنر شعار السلم بأي ثمن، من وجهة نظر تجمع القوى في هذه الحرب ، ألا يخشى من ان يصبح هذا الشعار كل ما هنالك من رجعية ، وان يدافع عنه أشخاص مثل ايزفولسكي او بيتمان ــ هولويغ ؟ » (٢٢) .

لم تعط الحرب نتائج ملموسة لهذه او تلك من البلدان المتحاربة، بل بالعكس فقد أزمت كثيرا وضع الجماهير . وارتفع صوت العمال، مطالبين بالسلم فارتعبت حكومات البلدان المتحاربة من تصاعد الموجة الثورية . وحاولت البورجوازية تثمير رغبة السلم عند الجماهير . وأشار لينين الى ذلك الانعطاف نحو السلم الذي تجلى في بعض الاوساط البورجوازية ، وكتب بهذا الشأن ، ان ممثلي رأس المال « يذرفون الدموع المرة على الحرب ، ولا يكفون عن تأليف التمنيات من اجل السلم »(٢٣) .

لم يتوان ، في هذه الظروف ، الاشتراكيون ــ الشوفينيون والوسطيون عن المراهنة على تطلعات الشغيلة ؛ وفي الكونفرونسات التي جمعت اشتراكيي البلدان المحايدة في كوبنهاغن ، واشتراكيي بلدان الوفاق في لندن ، وممثلي الاحزاب الاشتراكية ــ الديمقراطية الالمانية ، والنمساوية ، والمجرية في فيينا ، طرحت توصيات تدعو الحكومات الى احلال السلم . وبالنسبة لتروتسكي ، فهذه الرغبة ، ذات المظهر الخادع ، للتوصل الى السلم تستطيع ان تشكل برنامجا لأعمال موحدة على الصعيد « الدولي » . كان يزعم ان اليسار كله قد التف حول راية السلم ، وان سوتسيال ــ ديموكرات لينين قد وجدت نفسها معزولة كليا والموقف الذي تدافع عنه يمثل « آخر درجات العمى الضيق الافق »(٢٤) . وقد أظهرت تصريحات مشابهة

---

(٢٢) سوسيال ديموكرات ٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٤ . ايزفولسكي ؛ رجل دولة وديبلوماسي روسي ، سفير في باريس في الحرب العالمية الاولى ، ساهم بفعالية في تحضير واضرام الحرب . بيتمان ــ هولويغ ؛ مستشار الماني أثناء الحرب ، مارس سياسة معادية للعمال وعدوانية .

(٢٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢١ ص ١٩٣ .

(٢٤) ناشي سلوفو ١٣ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩١٥ .

كل الاشتراكية ـ الشوفينية عند تروتسكي الذي ، لكي لا يجد نفسه وحيدا ، حسبما قال لينين : « قد أوحى الله نفسه اليه ... بالتمسك الان بأذيال كاوتسكي وبرونشتاين »(٢٥) .

وهكذا ، فقد استخدم « برنامج السلم » الاشتراكي ـ المسالم ، الذي أعلنه تروتسكي ، كقناع للاشتراكية ـ الشوفينية المفضوحة وللمثقفين متقني الكلام ، ولحكومات البلدان المتحاربة . ويهدف هذا البرنامج ، عمليا ، الى تدعيم الامبريالية ، اذ كان يغذي الاوهام الفارغة عند الطبقة العاملة بأن الطبقات المسيطرة تستطيع وضع حد للحرب بارادتها .

لقد وصف لينين موقف الانتهازيين، مؤيدي « برنامج السلم » ، بهده العبارات : « كل من يعترف بالصراع الطبقي ، لا يمكنه الا يقبل بالحروب الاهلية التي هي في كل مجتمع منقسم الى طبقات الامتداد والتوسيع والتأزم الطبيعي ، والحتمي في بعض الظروف ، للصراع الطبقي . وتؤكد كل الثورات الكبرى ذلك . فعدم القبول بالحروب الاهلية او تناسيها ، يعني الوقوع في منتهى الانتهازية ، ونفي الثورة الاشتراكية »(٢٦) .

وظهرت الانتهازية اليمينية عند التروتسكيين بوضوح اكثر ، من خلال موقفهم من الشعار البلشفي « اسقاط الحكومات » . وكتب تروتسكي أن « حزبا ثوريا لا يمكنه ، ولو بطريقة غير مباشرة ، البحث عن مساعدة الهزائم »(٢٧) . ولمعارضة البلاشفة ، دافع التروتسكيون عن الشعار المنشفي « لا انتصار ولا هزيمة » . كانوا يقدرون بأن البروليتاريا هي بحاجة الى هذا الشعار لتنفيذ « برنامج السلم » ؛ وزعم تروتسكي بأن الهزائم تبابل « الرجعية القائدة » ، ولكنها « تبلبل ايضا الحياة الاجتماعية اكثر ، والطبقة العاملة بصورة أساسية »(٢٨) .

واعلن تروتسكي، محللا بشكل محصور تجربة الحرب اليابانية

---

(٢٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٢٩٤ .

(٢٦) نفس المصدر ، مجلد ٢٣ ص ٨٦ .

(٢٧) ناشي سلوفو ، ١٤ آذار (مارس) ١٩١٦ .

(٢٨) ناشي سلوفو ، ١ ايلول (سبتمبر) ١٩١٥ .

ـ الروسية ، ان هزيمة روسيا في الحرب العالمية سوف تساهم في تعزيز قوة المانيا والنمسا ، تماما كما ساهمت ، سنة ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ ، في تعزيز الامبريالية اليابانية . وكان يخفي تماما واقع ان هزيمة روسيا امام اليابان قد عجلت في ثورة ١٩٠٥ .

وزور تروتسكي عمدا شعار البلاشفة « عن هزيمة حكومة بلادهم » ؛ وراح يؤكد ان البدء بتطبيق شعار يتصوره البلاشفة ممكنا في روسيا ، سيكون من أثره تعزيز العسكرية البروسية . كان ذلك هجوما وافتراء على الحزب البلشفي ، وقد كتبت سوتسيال ـ ديموكرات : « يصح ذلك فيما لو لم ندع كل الاحزاب الاشتراكية الى محاربة حكوماتها ، ولو لم نرفع شعار « تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية » في كل البلدان التي نشأت فيها حركة عمالية حتى ولو كانت ضعيفة التطور »(٢٩) .

واتهم التروتسكيون، بالتنسيق مع الاشتراكيين ـ الشوفينيين، البلاشفة بفقدان الوطنية . وفي مقاله « بصدد اعتزاز الروس بقوميتهم » الذي ظهر في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٤ في سوتسيال ديموكرات ، فضح لينين هذه الشعوذات ، وكتب : ان الطبقة العاملة وحزبها يحبان وطنهم ويعتزان به ؛ ويعملان كل ما في وسعهما ، من أجل جعل روسيا حرة وقوية . ان وطنية الحزب البلشفي تقضي ليس بدعم سياسة « الدفاع عن وطن » بوريشكيفيتش او غوتشكوف ، بل اقامة السلطة الشعبية ، وخلق وطن حقيقي للعمال ، عندما يتم اسقاط سلطة الملاك العقاريين والبورجوازية .

وشرح الحزب البلشفي للجماهير الكادحة ان شعار اسقاط الحكومة في الحرب الامبريالية ، يعني الاستمرار في النضال الثوري ، وان الهزائم في الحرب تضعف القيصرية وتساعد بالتالي على اسقاطها ، وتعزز انتصار الثورة .

لقد عارض البلاشفة بحزم الشعار التروتسكي « لا انتصار ولا هزيمة » . وفي مقاله « بصدد اسقاط حكومتنا في الحرب الامبريالية » ، أظهر لينين ان تروتسكي وامثاله كانوا موافقين مع

---

(٢٩) سوسيال ديموكرات ، ٢ شباط (فبراير) ١٩١٥ .

« وجهة نظر الحرب التي تخوضها **الحكومات البورجوازية** ، اي انهم يزحفون على بطونهم أمام « الاسلوب السياسي للاشتراكية ـ الوطنية » لاستخدام كلام تروتسكي المفخم »(٣٠) .

ويهدف الشعار التروتسكي « لا انتصار لا هزيمة » الى استبدال العلاقات الطبقية بالعلاقات بين الحكومات . كان يعني عدم مس النظام القائم ، ومن هنا النظام الاوتوقراطي الروسي ؛ كان ذلك دعوة صريحة للمسالمة مع البورجوازية ورفض النضال الطبقي للبروليتاريا . وقد كتب لينين : « ان الذي يدافع عن شعار « لا انتصار ولا هزيمة » ، هو شوفيني ، وعى ذلك أم لا ، وفي أحسن الحالات ، هو بورجوازي صغير توفيقي ؛ ومهما تكن الاسباب ، فهو عدو للسياسة البروليتارية ومؤيد للحكومات الحالية ، وللطبقات المسيطرة الحالية »(٣١) .

أثناء الحرب العالمية الاولى ، وصف تروتسكي علانية موقفه بالاممي ، ووقف مؤيدا وحدة عمل البروليتاريا واتحاد القوى الدولية . أما في الواقع فقد كان يؤيد بكل بساطة وحدة الوسطيين والاشتراكيين ـ الشوفينيين .

كان الامميون الحقيقيون حينذاك ، الذين يعترفون بوحدة عمل القوى الثورية الواعية لطابع الحرب الامبريالي ، والازمة الثورية الداهمة ، القوى التي كانت تعد البروليتاريا للاعمال الثورية المباشرة. وصار هذا الالتحام ممكنا بفضل التكتيك اللينيني لـ « تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية » ، ولـ « اسقاط حكومات بلاده » . وكان كل « اتحاد » آخر ، في الواقع ، يخرج من ساحة الصراع الطبقي ويوصل الى تحالف البروليتاريا مع البورجوازية بحرفها عن النضال الطبقي . وقد قال لينين : « تفترض وحدة النضال البروليتاري من أجل الثورة الاشتراكية ، بعد ١٩١٤ ، ان تنفصل الاحزاب العمالية تماما عن الاحزاب الانتهازية »(٣٢) . والاممية الاصيلة تفرض حينذاك الاتجاه الكلي

---

(٣٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٢٨٤ .
(٣١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٢٨٨ .
(٣٢) نفس المصدر ، ص ١٠٨ .

نحو الثورة الاشتراكية . لم يكن هذا التحرك ممكنا ، الا اذا تميز الاميون الثوريون نهائيا عن الاشتراكيين ـ الشوفينيين والوسطيين .

والاممية شيء آخر لدى تروتسكي ؛ فهو يؤكد باسم لجنة تحرير ناشي سلوفو ، ان تيارا أمميا اصيلا لا يمكن ان يكون شعاره غير النضال من اجل السلم وايقاف الحرب . غير انه كان يسكت عمدا عن ان هذا الشعار كان يلف حوله ليس الامميين ، بل الاشتراكيين ـ الشوفينيين والوسطيين وحكومات القوى المتحاربة.

ومغفلا الطبيعة الطبقية للاشتراكية ـ الشوفينية وعلاقاتها مع البورجوازية الامبريالية، كان تروتسكي باسم الاممية يدعو بالواقع للتعايش السلمي بين الامميين الحقيقيين والاشتراكيين ـ الشوفينيين والوسطيين . هكذا كان يتدخل لصالح اتحاد « كل الامميين ، الى اية كتلة انتموا ، ومهما كانت صبغة امميتهم »(٣٣) . وأكد ان « الاتحاد مع الامميين الثوريين من كل الكتل الممكنة هو ارفع بكثير من اتحاد تكتلي ضيق ، هو رجعي سياسيا »(٣٤) .

وفي الواقع ، فصيغة تروتسكي هذه ، وهو يدعو الى الوحدة التامة بين الجميع ، كانت تشكل الواجهة الموافقة لمتابعة الصراع ضد العناصر الثورية بدءا بالبلاشفة . وأشار لينين فاضحا موقف تروتسكي الديماغوجي الى ان « كائنا من كان لم يتحمل مشقة فهم الجوهر الاجتماعي للاشتراكية ـ الشوفينية وللقومية ، هو بالطبع غير قادر كليا على ان « يتخلص منها ايديولوجيا ، حتى ولو أقسم بجميع الالهة ، انه مستعد للقيام بذلك » (٣٥) . ويستلزم التحام القوى الثورية في الاشتراكية ـ الديمقراطية من بلدان مختلفة ، الفضح الصريح للاشتراكية ـ الشوفينية ولوسطية . « ان مهمتنا الملحة هي الحرب القاسية ضد الشوفينية »(٣٦) .

في الوقت الذي كان فيه الحزب البلشفي يشن حربا بلا هوادة ضد الانتهازيين، ويعمل على جمع القوى الثورية للاشتراكية

(٣٣) ناشي سلوفو ، ٤ حزيران (يونيو) ١٩١٥ .
(٣٤) ناشي سلوفو ، ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٥ .
(٣٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢١ ص ١٥٣ .
(٣٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ١٦٧ .

ـ الديمقراطية العالمية ، كان التروتسكيون يروجون اتحاد كل الاشتراكيين الشوفينيين والوسطيين باسم الامية . معبر هو ، في هذا الاطار ، عن موقف الصحيفة التروتسكية ناشي سلوفو ، أثناء انعقاد كونفرونس الاحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية لبلدان الوفاق في شباط (فبراير) سنة ١٩١٥ في لندن ، ناعتا بالعهر كلمات « الاشتراكية » و « الامية » ، وضع هذا الكونفرونس نفسه في صفوف البورجوازية .

وأعلن المندوبون الى هذا الكونفرونس ، الاشتراكيون ـ الشوفينيون في انجلترا وفرنسا وبلجيكا ، والمناشفة ، والاشتراكيون الثوريون الروس ، انهم يساندون حكومات بلدانهم حتى يتم النصر على المانيا . وقد كتب لينين يومذاك ، محللا نتائج مؤتمر لندن بأن الحكومات البورجوازية بوسعها الان ان تفرح : فقد حصلت على ما تريد ، اي « انتقال الاشتراكيين الانجليز كما الفرنسيين الى جانب البورجوازية الانجلو ـ فرنسية »(٣٧) .

وجّه تروتسكي ومارتوف ، عشية المؤتمر ، رسالة الى البلاشفة باسم لجنة تحرير ناشي سلوفو ، اقترحا عليهم فيها الاتفاق على موقف مشترك في الكونفرونس ضد الاشتراكية ـ الشوفينية . وأرسلت هيئة التحرير رسائل بنفس المضمون الى لجنة التنظيم التصفوية والى البوند .

ساورت لينين الشكوك حول امكانية اقامة صلات مجدية مع جماعة ناشي سلوفو . وكتب الى ا. شليابنيكوف ، قال : « الامل ضعيف بالتوصل الى اتفاق معه ، فأكسلرود موجود في باريس ، كما يقال ، ولكن أكسلرود ... هو اشتراكي شوفيني »(٣٨) . الا انه لكي لا يجازفوا بالحاق الضرر بالقضية، التي كانت غالية عليهم، قرر البلاشفة قبول العرض المقدم لهم .

وفي ٩ شباط (فبراير) ١٩١٥ ، أوصلت اللجنة المركزية لل ح ع ا د ر مشروع بيان صاغه لينين الى هيئة تحرير ناشي سلوفو،

---

(٣٧) نفس المصدر ، مجلد ٢١ ص ١٧٨ .

(٣٨) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٤٩ ص ٦٤ .

لكي يرسل الى كونفرونس لندن(٣٩) . واحتوى مشروع البيان على عرض للبرنامج النضالي للاشتراكية ــ الديمقراطية الثورية ضد الحرب الامبريالية ، وعلى نداء للبدء بأعمال جماهيرية من اجل الثورة . ولكن التروتسكيين رفضوا البيان . واعلمت ن. كروبسكايا أ. شليابنيكوف بالنتيجة ، في رسالة قالت فيها ان بيان اللجنة المركزية لل ح ع ادر كان موضع نقاش في هيئة تحرير ناشي سلوفو ، وفي نهاية الامر ، اعتمدوا قرارا آخر(٤٠) . وحوّر مشروع البيان الذي وضعه التروتسكيون المقترحات الاساسية في المشروع البلشفي ــ وموهوا مسألة خيانة قادة الاشتراكية ــ الديمقراطية الالمانية وضرورة تنظيم اعمال ثورية جماهيرية(٤١) .

ووصفت ناشي سلوفو كونفرونس الاشتراكيين ــ الشوفينيين في لندن بمرحلة تؤدي الى « نهضة الامية » تحت شعار السلم « القادر على اعادة جمع كل البروليتاريين الواعين وليس مجموعات اقلية فقط »(٤٢) .

وفضحت منظمات الحزب البلشفي في روسيا وفي الخارج ، النظرة الاشتراكية ــ الشوفينية التي سادت أعمال كونفرونس اشتراكيي بلدان الوفاق . وأعلن قسم الحزب البلشفي في لندن قراره بأنه « لا يرى امكانية تحية هذا الكونفرونس » .

لم يكن هناك غير شخص واحد لكي يقول الحقيقة عن الحرب في الجلسات ، هو مندوب البلاشفة م. ليتفينوف ، الذي أرسله لينين الى لندن ليقرأ أمام الحضور تصريح اللجنة المركزية لل ح ع ادر . ولكن الاشتراكيين ــ الشوفينيين منعوه من ان يكمل كلامه حتى النهاية . فقدم ليتفينوف نص البيان الى الرئاسة وغادر قاعة الاجتماعات والكونفرونس . وأرسل التصريح البلشفي فيما بعد الى المنظمات الاشتراكية في مختلف البلدان ، والى الصحف العمالية في الولايات المتحدة وانجلترا وهولندا .

---

(٣٩) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، م٢٦ ص ١٢٨ ــ ١٢٩ .

(٤٠) الارشيف المركزي للحزب في معهد الماركسية ــ اللينينية ، مستودع ١٧ قسم ١ فئة ٤ رقم ١٦١٤ ورقة ٣ .

(٤١) تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، ج٢ ص ٥٩٨ .

(٤٢) ناشي سلوفو ، ١٣ شباط (فبراير) ١٩١٥ .

وهم يحاربون الاشتراكية ـ الشوفينية والوسطية ، ويفضحون برنامج « الوحدة » الذي اقترحه تروتسكي ، تابع البلاشفة القيام بعمل صعب لجمع القوى اليسارية في الحركة العمالية العالمية . وكتب لينين في آب (اغسطس) سنة ١٩١٥ ، الى ا. كولونتاي : « ان اتخاذ موقف دولي مشترك لماركسيي اليسار سوف يكون هاما جدا »(٤٣) .

وسجل الكونفرونس الاشتراكي الدولي في زيمروالد ، مرحلة هامة في النضال من اجل تلاحم الامميين اليساريين . فقد عقد في ايلول (سبتمبر) سنة ١٩١٥ . وبفضل عمل تحضيري واسع ، جرى تحت اشراف لينين، أكد الامميون اليساريون في الكونفرونس أنهم تجمع متحد . وكان لليسار برنامج حول كل نقاط جدول اعمال الكونفرونس . ووضع مشروع قرار عن الموقف من الحرب ومهام الاشتراكية ـ الديمقراطية ، ونص بيانا ضد الحرب . وبالرغم من ان المندوبين ، ممثلي اليسار ، كانوا قلة (٨ مندوبين من أصل ٣٨) فان اجماعهم وتلاحمهم وحيويتهم في الدفاع عن آرائهم قد أثرت بعمق بالمترددين .

اما يسار زيمروالد ، فقد عارضه الجناح اليميني المكون اساسا من المندوبين ذوي المنطلقات الوسطية وعلى رأسهم لودبور، وقد زادت حجمه مجموعة مندوبين يقودها غريم وتروتسكي اللذان ساندا بجملهما الثورية الجناح اليميني في الكونفرونس ، حول كل النقاط الهامة . وسعى تروتسكي ، بالاتفاق مع الوسطيين ، الى عزل اليسار ؛ وعمد الى اظهار البلاشفة كانعزاليين وكمنظمة متطرفة معزولة عن الحركة العمالية العالمية(٤٤) .

---

(٤٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ١٩٦ .

(٤٤) سعى المزيفون البورجوازيون لتقديم تروتسكي كمؤسس للاممية الثالثة ، كما حاولوا الايحاء بان موقفه في كونفرنس زيمروالد ، لم يكن يختلف بشيء عن موقف لينين . ويؤكد ا. دويتشر انه حتى لو صح ان وجهة نظر تروتسكي حول هذه المسالة كانت أقل حزما من موقف لينين ، فهما يلتقيان في الجوهر (ا. دويتشر ، تروتسكي ، النبي المسلح (١٨٧٩ ـ ١٩٢١) ج١ ص ٣١٦) . وتشهد الوقائع ان تروتسكي كان يرفض بتصميم ، القرار اللينيني بالقطع مع الانتهازيين ، وانه ، بعيدا عن الرغبة في اعادة خلق اممية جديدة ، كان

ان مشروع القرار الذي وضعه يسار زيمروالد ، والذي حدد فيه الموقف من الحرب العالمية ، ومهام الاشتراكية ــ الديمقراطية ، افسح في المجال امام تبادل حيوي . وأشار المشروع الى ضرورة الاعتراف بالطابع الامبريالي للحرب ، وبتحويلها الى حرب أهلية ، والتمسك بسياسة هزيمة الحكومات ، وبالقطيعة مع الاشتراكية ــ الشوفينية ، وانشاء أممية ثالثة .

وصرح معظم المندوبين ذوي النظرات الوسطية أنهم غير مفوضين لمناقشة هذه المسائل ، وانهم يستطيعون فقط التمسك باحتجاج ذي طابع عام ضد الحرب .

وبقصد دفن مشروع القرار الذي وضعه اليسار نهائيا ، أجّل الجناح اليميني ، بناء على اقتراح غريم ، مناقشته الى أجل غير مسمى . وأيد تروتسكي القرار بالكلام ، وصوت الى جانب مناقشته ، ولكنه لم يوافق على مرتكزاته الاساسية . وصرح ان الجماهير غير مستعدة لنضال ثوري ضد الحرب، وان القرار ينقصه شعار السلم ، وانه سابق لأوانه الاصرار على ادانة الاشتراكيين ــ الشوفينيين انطلاقا من ان الجماهير هي ايضا كانت مأخوذة بالروح الشوفينية(٤٥) .

ان مناقشة المادة التالية في جدول الاعمال ، البيان ضد الحرب ، قد عرت موقف تروتسكي الوسطي . فقد قدمت ثلاثة مشاريع للمندوبين : مشروع يسار زيمروالد ، مشروع لودبور ، ومشروع تروتسكي .

وأشار مشروع اليساريين الزيمروالديين الى ان الامبريالية قد أوجدت الظروف الموضوعية للثورة ، وان الحرب قد دفعت في نضوجها ؛ انطلاقا من هذا الواقع ، على الاحزاب الاشتراكية ــ الديمقراطية ان تنظم الاعمال الثورية للبروليتاريا تحت شعار الحرب الاهلية وهزيمة الحكومات . وجاء في المشروع انه لا يمكن

يفضل عودة الاممية الثانية الى الحياة ، بحيث يكون للانتهازيين وللوسطيين، كما في الماضي ، التأثير المهيمن .

(٤٥) ا. تيمكين . زيمروالد ــ كينتال ، موسكو ١٩٦٧ ، ص ٦٢ ، ناشي سلوفو ٦ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩١٥ .

تنظيم الاعمال الثورية للطبقة العاملة ما لـم يفضح خطر الاشتراكية ـ الشوفينية الايديولوجي ، ومـا لم يتم القضاء على الاشتراكيين ـ الشوفينيين على الصعيـد التنظيمي . واقترح اليسار تنظيـم مظاهرات معادية للحكومات ، واضرابـات اقتصادية وسياسية ، وأعمال موجهة ضد الحرب .

لم يؤيد بعض هذه المرتكزات على صعيد اللجنة المكلفة باعـداد المشروع النهائي للبيان . امـا تروتسكي وغريم ولودبور وميرهايـم وموديفلياني وراكوفسكي، ووسطيون آخرون ، فقد فعلوا المستحيل لكي لا ترد مقترحات اليسـار في المشروع . وبعد مناقشات طويلة ، وضعت اللجنة مشروع اتفاق ، صوت ألكونفرونس عليه بالاجماع . ولم تكن بعض نقاط في البيان منسجمة ، بشكل كاف ، وتشكو من التردد ؛ غير انه بفضل صلابة لينين ، لم يستطع التصفويون افراغ البيان كليا من مضمونه الثوري . وأكـد لينين ان هـذه الوثيقة تحتوي « عددا من الافكار الاساسية في الماركسية الثورية »(٤٦) .

لقد صاغ البيان بدقة طابع الحرب الامبريالية ، ولكنه لم يذكر ان الامبريالية ، في عـدة بلدان ، قد ولدت الظروف الموضوعية من اجل الثورة الاشتراكية . مما حرم الطبقة العاملة من آفـاق نضال محدد . وجاء في البيان ان شعار « الدفاع عن الوطن » هو خدعة دبرها الرأسماليون ، ولكن شيئا لم يـدل على ان الاشتراكيين ـ الشوفينيين والوسطيين هم الذين يبثون هذه الخدعة . ونقد البيان الاحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية التي تبنت الموقف « الدفاعي » وصوتت الى جـانب اعتمادات الحرب ، وشاركت في الحكومـات البورجوازية ونادت « بالسلم الاجتماعي » . ومع ذلـك لم يتضمن البيان اية أمثلة عن هذه الوقائع الفاضحة . ودعا البيان للنضال من أجل السلم والحرية ، وأهداف الاشتراكية المقـدسة ، ولكن دون الاشـارة الى الوسـائل والطرق الثورية التي تسمح بخوض هذا النضال بنجاح .

وبالرغم من كل سلبيات البيان ، رأى لينين ان البلاشفة حسنا فعلوا بتوقيع هذه الوثيقة . وتساءل : « هل كان على لجنتنا المركزية

---

(٤٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٣٩٨ .

ان توقع على هذا البيان الذي أفسده عدم الانسجام والميوعة ، نعتقد ان نعم »(٤٧) . وموضحا لماذا ضرورة تأييد البيان ، أشار لينين الى انه يسجل تقدما في النضال ضد الانتهازية ، وخطوة نحو القطيعة معها ، بالاضافة الى انه كان شكل دلالة على روح انعزالية ، و « تكتيك حربي سيء ، رفض السير مع الحركة العالمية المتسعة في الاحتجاج ضد الاشتراكية ـ الشوفينية »(٤٨) .

ولعدم تحمل الجانب السلبي في البيان ، اتخذ يسار زيمروالد تصريحا خاصا منفصلا ، احتفظ فيه بالحق بنقد سلبيات البيان ، باسم تلاحم القوى العالمية(٤٩) .

كانت لكونفرونس زيمروالد أهمية كبيرة في نضال الماركسيين الثوريين ضد الحرب ، وضد الاشتراكية ـ الشوفينية . واظهر ان الافكار البلشفية تفرض نفسها اكثر فأكثر على افضل ممثلي الاحزاب الاشتراكية في اوروبا الغربية .

وبعد انتهاء الكونفرونس، نظم يسار زيمروالد نفسه بمنظمة ، وانتخب لها مكتبا اداريا يترأسه لينين . جمع هذا التجمع ، فيما بعد ، حركة الامميين في كل البلدان . وبالرغم من عدم وجود تماثل تام في وجهات النظر في قلب اليسار الزيمروالدي ، فقد شكل ركنا هاما في الحركة الاشتراكية العالمية : لقد كان في الواقع جنين الاممية الثالثة .

بعد انتهاء الكونفرونس بقليل ، أراد تروتسكي ايهام الناس ، انه كان الاممي « الوحيد » المنطقي فيه ، وان نجاح جلساته يعود اليه كليا . ومساويا بين **ازفستيا لجنة التنظيم** (ذات المنطلق التصفوي) وبين **الاشتراكية ـ الديمقراطية** البلشفية ، كان يزعم انهما ليسا المركزين الوحيدين للفكر الاممي(٥٠) .

ولم يوفر تروتسكي جهده لتسويد صفحة يسار زيمروالد حول

---

(٤٧) نفس المصدر ، مجلد ٢١ ص ٤٠١ .

(٤٨) ف . لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٤٠٢ .

(٤٩) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، ج٢٧ ، ٤٩٢ ـ ٤٩٣ .

(٥٠) ناشي سلوفو ، ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ .

اعمال الكونفرونس(٥١) .

فقد وصم تروتسكي العناصر اليسارية التي يقودها لينين « بالتيار المتطرف » المنعزل عن القوى العالمية . وكان تروتسكي يزايد ، بشكل ديماغوجي ، داعيا الى ممارسة النضال « على جبهتين » : « ضد لينين ، وضد تعصب المتطرفين الذين يزرعون الفوضى »(٥٢) . كان كلام تروتسكي عن الحرب « على جبهتين » يسمح له بالبروز كرجل من « اقصى اليسار » وبالتالي ، بتغطية صلاته بالانتهازيين اليمينيين . وفي الواقع ، لم يكن تروتسكي يفكر بمحاربة اليمين ، وكان حليفا مقنعا للاشتراكيين ـ الشوفينيين . وكانت الاكاذيب التي طالما لفقها موجهة ، بصورة خاصة ، ضد البلاشفة ويسار زيمروالد .

رفض البلاشفة بحزم شعوذات تروتسكي بصدد زيمروالد . وناقشت منظمات الـ ح‌ع‌ادر في الخارج ، نتائج الكونفرونس ، كما ناقشته التجمعات الاممية التي أقامها البلاشفة . وأيدت جميعها موقف البعثة البلشفية . وقدم لينين تقارير عن الكونفرونس في لوزان وجنيف وزوريخ .

كان أكبر تجمع أممي، تجمع باريس ، مسرحا لصراع ايديولوجي حاد . ففي اجتماع ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ ، وبالرغم من جهود تروتسكي ، اتخذ قرار حول كونفرونس زيمروالد يقول ان الحضور متضامن « مع تجمع يسار الكونفرونس »(٥٣) . وتضامنت الجمعية العامة مع الشعارات التكتيكية البلشفية ، وعبرت عن عدم موافقتها على الاتجاهات التروتسكية . وقد صوت على اقتراح تأييد يسار زيمروالد، حتى بعض أعضاء التجمع الذين كانوا سابقا يدعمون تروتسكي . وعندما لم يلق الدعم المنتظر ، كتب تروتسكي الى ادارة التجمع الاممي في باريس مؤكدا عدم تأييده للبعثة اللينينية الى

---

(٥١) الارشيف المركزي للحزب في معهد الماركسية ـ اللينينية ، مستودع ٣٥١ قسم ١١ رقم ٢٧٣٦٨ .

(٥٢) ناشي سلوفو ، ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ .

(٥٣) الارشيف المركزي للحزب في معهد الماركسية ـ اللينينية ، مستودع ٣٥١ قسم ١٢ رقم ٢٩٤٥٤ .

زيمروالد ، ومبلغا قراره بأنه لم يعد عضوا في تجمع باريس »(٥٤) .

لم يوفر تروتسكي جهده لايجاد مؤيدين في روسيا ؛ واستعمل لهذه الغاية صحيفة ناشي سلوفو ، لكن امكانات هذه الصحيفة كانت محدودة ؛ فهي المعزولة عن الحركة العمالية الثورية في روسيا ، لم يكن بامكانها القيام الا بدور الناطق باسم المناشفة في الخارج . وقد شكت الصحيفة مرارا من نقص علاقاتها بروسيا، دون ان تفقد الامل بايجاد من يسمعها في البروليتاريا الروسية . ولكن الامال كانت بدون جدوى ، ولم يأت الدعم المنتظر . ومشيرا الى ان المجموعات الصغيرة الموجودة في الخارج ، من تصفويين الى تروتسكيين واشتراكيين ـ ثوريين ، كانت تتألف من مثقفين انتهازيين ، كتب لينين : «لم يحصلوا على شيء ، وليس لهم اي شيء في الطبقة العاملة الروسية . لا يمكن ايلاؤهم مقدار ذرة من الثقة » (٥٥) .

وفي بداية الحرب ، دعم تروتسكي بشدة سياسة المناشفة الشوفينية داخل دوما الدولة . وكان يزعم ، بالرغم من الوقائع ، ان المجموعة البلشفية البرلمانية قد « اتخذت بشأن الحرب موقفا لا يمكن لأي اممي ان يتغافل عنه »(٥٦) .

لقد وصف تروتسكي جملة السوتسيال ـ ديموكرات ، التي فضحت السياسة المنشفية في الدوما ، انها اضطهاد اجرامي . فقد كانت جملة «اليسارية» تساعد عمليا السياسة اليمينية للاشتراكيين ـ الشوفينيين في روسيا . قال لينين حول هذا الموضوع ، أن تشيخدزيه وشركاه « يلعبون » باليسارية بمساعدة تروتسكي !! فالبرافديون الواعون لن يخدعوا ، حسب ما اظن ! »(٥٧) .

خلال هذه السنوات ، استمر تروتسكي بالتبشير ب « الاتحاد » في حزب واحد ، بين البلاشفة وكل الانتهازيين المطرودين من الـ ح‌ع‌ادر ، في كونفرونس براغ . وفي آذار (مارس) سنة ١٩١٥، أصدرت هيئة تحرير ناشي سلوفو مقالا يقترح دعوة كونفرونس

---

(٥٤) أ. شابوفالوف ، في النضال من اجل الاشتراكية ، موسكو ١٩٣٤ ص٨٠٣ .
(٥٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ١٧٢ .
(٥٦) ناشي سلوفو ، ١١ تموز (يوليو) ١٩١٥ .
(٥٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ١٩٩ .

للاشتراكيين ـ الديمقراطيين الامميين الروس المقيمين في الخارج ، بقصد وضع برنامج مشترك بشأن الحرب والاشتراكية ـ الشوفينية. وأرسلت الصحيفة اقتراحها الى لجنة الـ ح ع ادر المركزية ، والى لجنة التنظيم التصفوية ، والى البوند ، والى أقسام الـ ح ع ادر في الخارج. وبهذا ، صنّفت هيئة تحرير ناشي سلوفو، لجنة التنظيم التصفوية والبوند بالامميين ، مع انهما يتبعان خطا شوفينيا .

وفي ٢٣ آذار (مارس) سنة ١٩١٥ ، أجاب لينين ناشي سلوفو ، باسم اللجنة المركزية للـ ح ع ادر : « قبل ان نجيب على اقتراحكم العملي ، نرى من الضرورة ايضاح بعض القضايا الاولية بصراحة، لنعرف ما اذا كان بيننا تضامن أصيل حول الاساسي »(٥٨) وطلب من لجنة التحرير الاجابة على عدة اسئلة مبدئية . اولا ، تريد اللجنة المركزية للـ ح ع أدر (؟) معرفة راي هيئة التحرير حول نظام « تمثيل من يدعون أنهم « تيارات » موجودة في الخارج » ، أي المجموعات والتجمعات الصغيرة المنشقية المنفصلة عن الحركة العمالية في روسيا ، وهي تدعي تمثيلا بنفس مستوى الحزب.

ومشيرا الى ان البوند ولجنة التنظيم التصفوية يمارسون سياسة اشتراكية ـ شوفينية ، كتب لينين : « نود أن نعرف ما هي ، بالتعبير الواضح ، حججكم لاعتبار البوند من بين الاحزاب الاممية ؟ ... ما هي أسبابكم للتصور بأن لجنة التنظيم هي ذات موقف أممي ؟ »(٥٩) وذكر ان البلاشفة يعملون لوحدة كل الامميين ، ويريدون أن يروا عددهم يزداد بسرعة ، ولكن ، كان يقول لينين ، « لا يجب أن نخدع أنفسنا ، لا يجوز اعتبار اشخاص ومنظمات بأنهم امميين ، وهم ، على ما يبدو ، على صعيد الاممية ، نفوس ميتة »(٦٠) .

وطلب لينين من هيئة تحرير **ناشي سلوفو** ان تعطي أيضا رأيها بشأن اعادة احياء الاممية ، انطلاقا من مبدأ « غفران » متبادل(٦١) .

---

(٥٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢١ ص ١٦٤ .

(٥٩) نفس المصدر ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٦٠) نفس المصدر ، ص ١٦٥ .

(٦١) أكد كاوتسكي ، أدلر ، ووسطيون آخرون ، ان سقوط الاممية الثانية لم

كان يرفض بشـــدة كل فكرة مســـاومة ، وكل تنازل للوسطيين . فالشرط الضروري للامية هو القطع الكلي مع الكاوتسكيين ومحاربتهم بأكثر الاشكال صلابة .

وكما كان منتظرا ، اجابت هيئة تحرير **ناشي ـ سلوفو** ، على اسئلة اللجنة المركزية ، مدافعة عن البوند وعن لجنـــة التنظيم . فأعلنت ان هاتين الهيئتين تستجيبان لمبادىء الاممية الثورية، وقد أثبتتا ذلك ، « ان في عملهما في روسيا أم بوضوح مداخلاتهما أمام الاممية »(٦٢) . أما بشأن اعـــادة احياء الاممية الثانية وفق مبادىء « الغفران » المتبادل ، فقد تضامنت هيئة التحرير مع الاشتراكيين ـ الشوفينيين والوسطيين ، مشيرة الى أن هذه القضية لا يمكـــن أن تعالج على صعيد المبادىء ، وانـــه في الوقت الحالي ، لا تـــرى ضرورة الحسم مع التيارات الانتهازية على صعيد التنظيم(٦٣) .

وقبل ارسال هذا الرد ، نشرت الصحيفة مقال نقاش كتبه أ. لوناتشـارسكي بعنوان « حول الوحدة » ، تحاشى فيه كل المسائل الشـــائكة ، وطلب فتح الابواب واسعة ، في الكونفرونس ، أمـــام « كل الاشتراكيين ـ الديمقراطيين عامة »(٦٤) .

وكان يهدف الاقتراح الذي قدمه تروتسكي بدعوة الكونفرونس، الى أبعد ما جاء فيه . وبحجة النضال من أجل وحـــدة الامميين ، أراد التروتسكيون ، مجددا ، تنظيـــم كونفرونس « توحيـــدي »

يكن الا مؤقتا ، وان الاممية هي « اداة وقت السلم » ، لا يمكن استخدامها زمن الحرب . فحسب رأيهم ، كان يجب أن تولـــد من جديد بعـــد انتهاء الخصومات ، بشكلهـــا البدائي ، ولكنه كان يجب وضع حـــد للحمـــلات والاتهامات المتبادلة ومحوها . وفي كتاب « الاشتراكية والحرب » ، وبعض الكتابات الاخرى ، فضح لينين فكرة الغفران المتبادل ، وحـــدد موقفه نهائيا من كل محاولة اعـــادة احياء الاممية الثانية .

وكشعار اساسي لتكتيك الاشتراكية ـ الديمقراطية الثورية ، طرح لينين، منذ بداية الحرب ، القطيعة التامة مع الاممية الثانية المنهارة ، وخلق اممية ثورية بحق ، الاممية الثالثة (ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٧) .

(٦٣) نفس المصدر ، ص ٢٠٦ .

(٦٤) نـــاشي سلوفو ، ٧ آذار (مارس) ١٩١٥ .

والتوفيق بين البلاشفة والانتهازيين ، وفي حال رفض البلاشفة ، يتهمونهم بالانشقاقية . وقد كتب لينين : « ... ان يقترحوا علينا (« امام الجميع » ؟) القبول معهم بكونفرونس مشترك للروس ، ويستعملوا رفضنا ضدنا ... ليست المؤامرة سيئة »(٦٥) . وسقطت مغامرة تروتسكي « التوحيدية » مرةاخرى بعد ان فضحها البلاشفة . ولم يستطع التروتسكيون دعوة الكونفرونس الذي اقترحوه .

بعد هذا الفشل ، حاول تروتسكي تمرير فكرة « التوحيد » في منظمة واحدة للجنة سان بطرسبورج البلشفية ، ولتجمع المبادرة التصفوي ، وال « ميجرايونتسي » ، تجمعات حسب رأيه ، لم تعد لها مقومات الوجود كهيئات مستقلة(٦٦) . أراد تروتسكي بذلك ، أن يخلق ، بشكل مستحدث ، تكتلا على طراز تكتل آب (اغسطس) ، وبروكسل ، وتأسيس حزب وسطي في روسيا ، خال ، حسب ما كان يقول ، من « عيوب اللينينية والمنشفية » ؛ وللقيام بذلك ، حاول استخدام ال « ميجرايونتسي »(٦٧) وهم مجموعة وسطية متذبذبة بين الامميين والدفاعيين . كان « الميجرايونتسيون » يصرحون باعترافهم بالشعارات البلشفية عن « تحويل الحرب الامبريالية الى حرب أهلية » و «هزيمة الحكومات»، ولكنهم من ناحية اخرى ، يؤكدون بأن الحرب الاهلية غير ممكنة الا « كعمل بروليتاريا كل البلدان ضد حكوماتها »(٦٨) . وهكذا كانوا عمليا يستعيدون الفكرة التروتسكية عن عدم امكانية انتصار الثورة في بلد واحد . كان شعار « ميجرايونتسي » خطرا جدا . فهم يدعون للنضال من أجل « ح‌ع‌أ‌د‌ر متحد » ، من خلال « مصالحة » و « اتحاد » كافة التيارات السياسية والكتل، أي‌اتحاد على أساس

---

(٦٥) ف. لينين ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، مجلد ٤٩ ص ٩١ .
(٦٦) ناشي سلوفو ، ٢٤ تموز (يوليو) ١٩١٥ .
(٦٧) « ميجرايونتسي » هم أعضاء منظمة اشتراكية ـ ديمقراطية ، سميت « ميجرايوتايا » ، أوجدت في بطرسبورج في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٣ ، غايتها النضال من أجل وحدة ال ح.ع.أ.د.ر .
(٦٨) فبريود ، ٢٣ نيسان (ابريل) ١٩١٥ .

البرنامج التروتسكي. وكتبت صحيفة **فبريود** ان «ميجرايونتسي» قد بنوا نشاطهم على أساس « وحدة كل الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الثوريين على صعيد التنظيم » و « ادانة عنيفة لكل محاولة احداث انشقاق »(٦٩) . وكان البلاشفة وحدهم في روسيا اشتراكيين ـ ديمقراطيين ثوريين ، والمقصود اذن هو بكل وضوح « اتحاد » البلاشفة والمناشفة .

وطرح البلاشفة ، بوجه التذبذبات التروتسكية لانشاء اتحاد مع المناشفة والعناصر المترددة الاخرى، تكتيكا ثوريا منسجما يهدف الى جمع القوى الاممية الثورية ، الى رص صفوفها .

« ان الميل نحو المصالحة والتوحيد هو الشيء الاكثر ضررا بالنسبة للحزب العمالي في روسيا ، فهو ليس سخافة فقط ، بل هو ايضا خسارة للحزب »(٧٠) . كانت ردة الفعل عند المنظمات البلشفية في روسيا عنيفة ، وأبدوا معارضتهم الحازمة لفكرة تروتسكي حول اتحاد الثوريين والانتهازيين في حزب واحد. وبفضل تعاليم لينين ، عملوا على تعزيز الجبهة الواحدة للعمال الثوريين في القاعدة . ومن خلال الاستمرار في فضح الاشتراكية ـ الشوفينية والروح التوفيقية ، كان البلاشفة يجمعون القوى الاممية الثورية ، ويفصلون عن المناشفة والتوفيقيين العناصر السليمة ، خاصة بين العمال .

وفشلت محاولات التروتسكيين التوحيدية ؛ وكتبت **سوتسيال ـ ديموكرات** بهذا الصدد : « يتضح ان التروتسكية والتوفيقية ، مرة اخرى، انها أقل من لا شيء . ليس لها مكانا في الحركة العمالية الروسية »(٧١) . كانت البروليتاريا الروسية ترص صفوفها حول شعارات الحزب البلشفي، الحزب الثوري المنسجم الوحيد، الحزب الذي نال ثقة الجماهير ؛ منفصلة كما كانت دائما عن الحركة العمالية الروسية ، ومحرومة من الدعم الذي لم يقدمه لها مؤيدوها في الخارج ، بدأت هيئة تحرير **ناشي سلوفو** تنهار في صيف ١٩١٦ .

---

(٦٩) نفس المصدر .
(٧٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٣٥ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .
(٧١) سوسيال ديموكرات ، ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ .

وقو تركها مارتوف في آذار (مارس) سنة ١٩١٦ .

ثم بدأ قسم من المساهمين في الصحيفة (منهم لوزفسكي ، لوناتشارسكي ، انطونوف ــ اوفسيينكو ، ومانويلسكي، الخ...) يصيفون الانتقادات (صحيح عرجاء وغير منسجمة) ضد بعض تصريحات تروتسكي . مانويلسكي مثلا ، في مقال بعنوان « بحثا عن الاممية الروسية » ومع تسليمه بأن نواة القوى الاممية الثورية قد تشكلت في روسيا في « الاوساط العمالية التي تجمعت قبل الحرب حول صحيفة **البرافدا** الاشتراكية ــ الديمقراطية » ، صرح في نفس الوقت ان البلشفية « لم تصبح بعد الاممية » ، وأنه يجب أن تتفاعل ايضا مع اوروبا ، « وأن تتحرر من الانكماش القومي ... »(٧٢) . كان ذلك ببساطة نداء البلاشفة للمسالمة مع الانتهازيين .

وكتب لينين مشيرا الى التذبذب والتناقض في ناشي سلوفو : « غير انه فقط « تحت الضغط » (ضغط نقدنا او نقد الوقائع) تخلت جماعة ناشي سلوفو عن مواقفها ، الواحد بعد الاخر ؛ ولكن الكلمة الحاسمة فلم يلفظوها بعد »(٧٣) كان على الصحيفة ان تتوقف في ايلول (سبتمبر) سنة ١٩١٦ . وقد تنبأ لينين بهذه النهاية وكتب منذ حزيران (يونيو) ١٩١٥ ، بأن « زوال ناشي سلوفو (السياسي أو المادي ، فذاك غير مهم) لم يعد الا مسألة وقت »(٧٤)

ولما وجد نفسه في عزلة سياسية تامة ، راح تروتسكي يناور ، ويصوغ الانتقادات ضد الاشتراكية ــ الشوفينية ، ويفضح الشعارات السلمية . ومستغلا حجج البلاشفة ، دعا الى القطع ، على كل مستويات التنظيم ، مع الاشتراكيين الشوفينيين والوسطيين ، وانتقد شعار السلم ، واكد انه يجب دفع غليان الجماهير الثوري ، والدعوة الى العمل ؛ وحاول الايحاء أن لم تعد لديه اية خلافات مبدئية مع البلاشفة . لم تكن تلك غير مناورة تكتيكية . كان يحضر تروتسكي الجو للدخول الى الحزب البلشفي

---

(٧٢) ناشي سلوفو ، ١ نيسان (ابريل) ١٩١٦ .

(٧٣) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢٣ ص ١٨٨ .

(٧٤) نفس المصدر ، مجلد ٢١ ص ٢٩٢ .

ليخوض الصراع ضده من الداخل .

وفضح الحزب البلشفي المؤامرات التروتسكية ، وناضل لتطبيق الشعارات التكتيكية اللينينية . وفي ظروف الحرب القاسية ، كان البلاشفة يروجون ، بين الجماهير ، بفعالية ، فكرة تحويل الحرب الامبريالية الى حرب أهلية . وأعطى الحزب البلشفي لكل العناصر الثورية في الاشتراكية ـ الديمقراطية العالمية مثلا في الجرأة ، وفي الامانة لقضية الاشتراكية ، وفي تحضير الجماهير للثورة . وتبع القسم الواعي من البروليتاريا الروسية البلاشفة وجمع حوله الجماهير الكادحة . وتجسد تكتيك الحزب البلشفي بالتحرك الثوري للطبقة العاملة والجنود والفلاحين . ومن خلال التوقع الواضح لاحتمال صدامات ثورية جديدة ، طور لينين في سنوات الحرب ، النظرية الماركسية عن الثورة الاشتراكية باغنائها بموضوعات جديدة ، خاصة عن امكانية انتصار الاشتراكية في بلد واحد .

لينين يفضح موضوعات تروتسكي المغامرة حول آفاق الثورة الاشتراكية

وضع لينين ، أثناء الحرب العالمية الاولى، قيد التنفيذ، التكتيك الثوري لنضال البروليتاريا الطبقي . وأعطى ايضا تحليلا علميا عميقا عن الامبريالية وعن آفاق الثورة الاشتراكية في الظرف التاريخي الجديد .

كانت ضرورة دراسة المرحلة الامبريالية واضحة وملحة سياسيا الى حد تصدت لها كل التيارات السياسية . ولكن لا الباحثون البورجوازيون ولا نظريو البورجوازيةالصغيرة استطاعوا اعطاء تحليل علمي للمرحلة الامبريالية من الراسمالية ؛ ومن ثم اسخلاص النتائج السياسية الصحيحة . وقدم لينين مثل هذا التحليل في عدد من الكتابات ، أولها في كتابه « الامبريالية اعلى مراحل الراسمالية » .

وكانت تنبع النظرية اللينينية عن الثورة الاشتراكية من تحليل المرحلة الامبريالية . وعلى هذا الاساس فقط ، أشار لينين الى اننا

« نستطيع تحديد تكتيكنا بـدقة »(٧٥) . ويؤدي عـدم فهم طابع الامبريالية الى اخطـاء جسيمة في نظرية وتكتيك النضال الطبقي للبروليتاريـا .

وفي سنة ١٩١٥ ، أشـار لينين الى مراحل تطور التشكيلة الرأسمالية . المرحلة الاولى وتمتد من الثورة البورجوازية في فرنسا سنة ١٧٨٩ حتى الحرب الفرنسية ــ الالمانية سنة ١٨٧٠ .

لقد كانت مرحلة ثورات ديمقراطية بورجوازية ، مرحلة نهوض البورجوازية وبسط سيطرتها . المرحلة الثانية وتمتـد من هيمنة البورجوازية الكاملة حتى بداية سقوطها ، مرورا برأس المال المالي الرجعي . وفي نفس المرحلة ، كانت الطبقة العاملة تجمع قواها وتتنظم . « المرحلة الثـالثة ، وهي تبـدأ الان بالظهـور ، تضع البورجوازية في نفس « وضع » الاسياد الاقطاعيين ، اثناء المرحلة الاولى . انها مرحلة الامبريالية والهزات الامبريالية ، او الناتجة عن الامبريـالية »(٧٦) .

وتكتسب الراسمالية ، في مرحلة الامبريالية ، سمات جديدة . خلافا للرأسمالية ما قبل الامبريالية ، يعود للاحتكارات ولرأس المال المالي ، الـدور الحاسم في الحياة الاقتصادية . فالعملية الضخمة لاعطاء الانتاج الطابع الاجتماعي ، وتركيز القوى المنتجة بين أيـدي بعض الاتحادات الاحتكارية ، تؤدي الى تأزيـم مرتفع للتناقضات ؛ وبالدرجة الاولى التناقض الاسـاسي بين طابع الانتاج الاجتماعي والطابع الخاص الرأسمالي للتملك . وعلى صعيد الصراع الطبقي ، يعبر عن هذا التناقض احتدام التناحر الذي يواجه البروليتاريـا والبورجوازية الاحتكـارية : وتصبح الثـورة حتمية . وفي نفس الوقت ، تعزز المجموعات الاحتكارية خلق الشروط المادية الضرورية للاشتراكية . وقد وصف لينين امبريالية الرأسمالية المحتضرة ، بعشية الثورة الاشتراكية .

بيَّن لينين انه في مرحلة الامبريالية، تنضج الظروف الموضوعية لانتصـار الثورة الاشتراكية . ووجهت استنتاجات لينين ضربـة

---

(٧٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢١ ص ١٤٤ .

(٧٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢١ ص ١٤٥ .

للنظريات الانتهازية التي تنفي الضرورة التاريخية للثورة الاشتراكية، وشجعت حركة التحرر الثورية . فقد اثبت لينين ان مرحلة الامبريالية ، يجب ان تتبعها بالضرورة مرحلة جديدة هي مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية .

وبالعكس عن لينين، الذي كان يشدد على تناقضات الامبريالية ، كان تروتسكي يرى ان الاتجاه الاساسي للامبريالية هو « الاتجاه التمركزي »(٧٧) . وحسب رأيه ، فذلك الاتجاه هو تقدمي في تطور الامبريالية الاقتصادي ، ويعبر عن ذلك ، بانطلاق القوى المنتجة التي تنتهي بالخروج من اطار الامة ، والدولة التي تنحصر فيها ؛ و « تستبدل القدرة القومية الكبرى حينذاك » بـ« وولت ماشت » الامبريالية »(٧٨) اي بالثورة العالمية .

هكذا عارض تروتسكي الاستنتاج الاساسي الذي وضعه لينين : الامبريالية هي أعلى مراحل الراسمالية ، هي الراسمالية في حالة الانهيار ، هي عشية ثورة البروليتاريا الاجتماعية .

لم يكن تروتسكي الا ليستعيد النظرية الكاوتسكية عن « ما فوق الامبريالية » ؛ ومن المعروف ان كاوتسكي يؤكد بأن الاتجاهات التمركزية والاتحادية تظهر أكثر فأكثر في مرحلة الامبريالية ، وان هذه الاتجاهات العامة تؤدي ، في نهاية المطاف ، الى تشكيل تحالف عالمي للقوى الكبرى؛ ويتابع كاوتسكي : تخلق هذه الظروف الشروط الافضل للنضال الذي يجب ان تخوضه الطبقة العاملة من اجل الاشتراكية . وتكون النتيجة بالتالي : ان على الطبقة العاملة تتبع سياسة « ملائمة للرأسمالية »(٧٩) . وكتب تروتسكي بعد كاوتسكي ، بأن « تروستا أمبرياليا » يكون خطوة جبارة الى الامام ، لأن ذلك سوف يشكل « القاعدة المادية للحركة العمالية »(٨٠) .

وشرّح لينين نهائيا نظرية « ما فوق الامبريالية » التي وضعها كاوتسكي : فهي تتجاهل وتطمس التناقضات الاكثر عمقا في

---

(٧٧) ناشي سلوفو ، ٣ شباط (فبراير) ١٩١٦ .
(٧٨) غولوس ، ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ .
(٧٩) ك. كاوتسكي ، الدولة القومية ، الدولة الامبريالية ، واتحاد الدول ص.٩٠ .
(٨٠) ناشي سلوفو ، ٤ شباط (فبراير) ١٩١٦ .

الامبريالية وقد كانت تجمّلها، مما يعني التخلي عن النضال الثوري، وابقاء السيطرة الرأسمالية . وتكمن القرابة القائمة بين تقديري تروتسكي وكاوتسكي للامبريالية ، كما يرى لينين ، في رفض كل منهما الاعتراف بالتناقضات العميقة في داخل الامبريالية(٨١) .

كعشية للثورة الاشتراكية ، تشكل المرحلة الامبريالية بداية المرور من مرحلة تاريخية الى اخرى ؛ فعصر سيطرة البورجوازية يتبعه عصر سيطرة الاشتراكية . واشار لينين الى ان هذه المرحلة تسمى ، بحق ، مرحلة انتقالية لأنها تجمع بين « مجموعة ظاهرات لحروب مختلفة ، متجانسة ، عفوية ، كبيرة وصغيرة ، خاصة بالبلدان المتقدمة ، ومميزة للبلدان المتخلفة »(٨٢) . لذا ، فان التناقضات الخاصة بالامبريالية ، لها جذورها في حقبة ما قبل الاحتكارية الرأسمالية . وبالتالي ، لا يمكننا مواجهة العلاقات الخاصة بالرأسمالية الاحتكارية في « وضعها النقي » ، وما زالت رواسب الماضي ماثلة هنا . فيثبت وجود التناقضات ان الامبريالية لا يمكن ردها الى ما يسمى بالرأسمالية النقية . فالامبريالية تعرف جملة من التناقضات التي تخفي تناحرات سياسية مختلفة وتيارات اجتماعية .

لقد بسّط تروتسكي نظرته الى الامبريالية التي حللها من زاوية « الرأسمالية النقية » . وكان يرد تعقد الظاهرات والتناقضات التي تطبعها ، الى التمركزية . لم يشأ تروتسكي رؤية الصلة القائمة بين الامبريالية والمراحل التي سبقتها ، وتجاهل الدور النشيط الذي يمكن ان تلعبه ظاهرات وتناقضات الانتقال الموروثة من الماضي . وأكد ان الاتجاهات العامة للرأسمالية تصفي البنى ما قبل الرأسمالية ، وان العناصر الموروثة من المراحل السابقة تزول تحت ضغط الرأسمالية . وهكذا كان يبحث عن تثبيت الفكرة بأن القاعدة الاقتصادية التي طالما دعمت البورجوازية الصغيرة قد اختفت ، وان الرأسمالية « تنصف الطبقات المتوسطة »(٨٣) .

---

(٨١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢١ ص ١٤٩ .
(٨٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٣ ص ٣٧ .
(٨٣) ناشي سلوفو ، ١٧ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩١٥ .

ان افتراضا كهذا ، ان لم يستند الى تحليل اقتصادي ، هو ليس مغاير للحقيقة فحسب وانما هو خطر سياسيا . فقد سمح لتروتسكي بأن ينفي دور الفلاحين الثوري ، ويطمس دور الحركات الديمقراطية المعادية للامبريالية للشعوب المستعمرة ونصف المستعمرة .

وفي تحليله للمرحلة الامبريالية ، درس لينين السمات المميزة للرأسمالية عامة ، وللرأسمالية الروسية خاصة . وأشار الى ان الرأسمالية الروسية ، مع وصولها الى المرحلة الاحتكارية ، احتفظت بالعديد من سمات الرق . وحيث ان تطورها يتميز بزراعة مغرقة في التخلف ، فقد كانت مع ذلك « الرأسمالية الصناعية والمالية الاكثر تقدما »(٨٤) . ان تداخل بقايا الرق في الاقتصاد الروسي ، وفي الجهاز العسكري والبيروقراطي ، وفي الرأسمالية الاحتكارية ، يفسر الحدة المتفاقمة للتناقضات الاقتصادية والسياسية المميزة لهذا البلد . وقد كانت روسيا هي التي تمحور التناقضات الاكثر حدة في نظام الامبريالية الدولي .

كان تروتسكي يشوه الطبيعة الاقتصادية للرأسمالية الروسية ، وسماتها المميزة ، وينفي وجود أسباب داخلية خاصة لتطورها ؛ فيعزوها لسياسة الحماية التي تتبعها الاوتوقراطية الروسية . ويطلق احدى خصائص الامبريالية الروسية — من حيث ارتباطها برأس المال المالي الاوروبي — ويعتبر ان الامبريالية الروسية لا تنبع من جذور خاصة ، وبأن الصناعة الرأسمالية قد ظهرت في البلاد « تحت التأثير الفوري والمباشر للرأسمالية الاوروبية » . وهو اذ ينفي ان تكون للامبريالية الروسية قاعدتها الاقتصادية الخاصة ، مركزا على تخلف البلاد الاقتصادي ، رفض تروتسكي الفكرة القائلة بوجود الشروط المادية التي تمكن من قيام ثورة في روسيا ، ويؤكد بأن الثورة لن يكون لها مستقبل في غياب مساعدة من الخارج .

وجاء تتالي الاحداث يثبت صحة تحليل لينين . فقد جاءت الحرب الامبريالية بالويلات للجماهير الشعبية التي اكتسبت شيئا فشيئا الوعي بضرورة البحث عن مخرج ثوري للازمة التي ولدتها

---

(٨٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس — موسكو ، مجلد ١٣ ص ٤٦٤ .

الرأسمالية الاحتكارية . وطرحت على البلاشفة مهمة تحضير البروليتاريا لاستلام السلطة السياسية . ولذلك ، كان يجب فضح الاشتراكية ـ الشوفينية ، والقطع المباشر معها ، ومع الوسط ، ذلك التيار الذي طالما عمل « من اجل الوحدة مع الاشتراكيين ـ الشوفينيين ، ومن أجل المحافظة على الاممية الثانية واصلاحها ، وهي في طريق سقوطها ، مترددا ما بين الاشتراكية ـ الشوفينية والنضال الاممي الثوري للبروليتاريا من اجل اقامة النظام الاشتراكي »(٨٥) .

كانت الموضوعات الاساسية في النظرية اللينينية للثورة الاشتراكية ، تتحدد من خلال نقاش حاد مع الاشتراكيين ـ الشوفينيين والوسطيين وأعداء ايديولوجيين آخرين للحزب البلشفي . وبهذا الصدد ، فالنقد الذي وجهه لينين للنظرية التروتسكية عن « الثورة الدائمة » ، قد أرتدى اهمية اساسية .

ولم تطرأ ، أثناء الحرب العالمية الاولى ، تغيرات هامة على نظرية « الثورة الدائمة » . فظلت تنفي امكانية انتصار الثورة الاشتراكية في بلد واحد اولا ، وتتجاهل المرحلة الديمقراطية البورجوازية في الثورة الروسية ، وترفض موضوعة سيطرة البروليتاريا في النضال الثوري ، وتقلل من شأن الدور الثوري لحركات التحرر الوطني الديمقراطية .

لم ير تروتسكي من هي القوى في روسيا ، الجديرة بالقيام بالثورة ؛ ويؤكد ان « الثورة الروسية لا يمكن ان « تصل الى نهاية سليمة » لا من خلال تعاون البروليتاريا مع البورجوازية الليبرالية ، ولا من خلال اتحادها مع الفلاحين الثوريين» »(٨٦) . وحسب رأي تروتسكي ، لا يمكن للثورة الروسية ان تكون سوى شرارة للثورة الاشتراكية في الغرب التي ستؤمن هي فيما بعد انتصار الاشتراكية في روسيا . وكتب تروتسكي ان الحرب لم تجعله يغير رايه ، وأنه سوف يستمر في تطوير وجهات نظره ، وهو لا يفهم « لماذا يجب

---

(٨٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٤ ص ٤٨٣ .
(٨٦) ناشي سلوفو ، ١٤ شباط (فبراير) ١٩١٥ .

ان يرفض تلك التوقعات العائدة في جوهرها الى بارفوس »(٨٧) .

وهكذا ، اعترف تروتسكي ، اثناء الحرب العالمية الاولى ، بتضامنه مع بارفوس وليس مع لينين ، في القضايا الاساسية المتعلقة بالثورة وأبعادها وقواها المحركة .

وبعد ثورة اوكتوبر ، راح تروتسكي يزيف الوقائع معتمداً التقليل من شأن دوره في الصراع الايديولوجي ضد الحزب البلشفي » أثناء الحرب العالمية الاولى . ومع اعترافه انه في قضايا التكتيك والتنظيم كان « يعارض لينين » وان الحق كان جانب لينين ، حاول ان يثبت ان نظرية « الثورة الدائمة » هي « قريبة جدا من الخط التاريخي للينين ، ومن الحزب البلشفي » . وهذا ايضا ، ما يحاول اظهاره المزيفون البورجوازيون لتاريخ الـ ح ش اس في ايامنا . وكتب ل. شابيرو ، مثلا ، ان لينين كان يدين بالافكار « نصف الفوضوية » التي صاغها تروتسكي في نظريته « الثورة الدائمة » ، فذلك لاعتبارات تكتيكية ، وليس للدفاع عن مبادىء . ويضيف انه لا يوجد اي فرق بين نظرية « الثورة الدائمة » والنظرية اللينينية عن الثورة الاشتراكية ، ما دام كل شيء يعود لصراع نفوذ شخصي .

وسنة ١٩١٥ ، بدأت الروح الثورية عند العمال والجماهير ، تؤدي الى اعمال مباشرة ضد الحرب . فقد لوحظ انعطاف نحو اليسار بين الجماهير التي كان يزداد نشاطها الثوري . تلك كانت أولى اشارات الازمة الثورية .

وفرض الظرف الجديد على الحزب تحليل الشروط والافاق والقوى المحركة للثورة . وبيَّن لينين في مرحلة الامبريالية ، ان التطور الاقتصادي والسياسي المتفاوت في بعض البلدان يؤزم التناقضات الخاصة لمجمل النظام الراسمالي . تتطور الراسمالية بشكل قفزات لصالح الصراعات القائمة . ففي عشية الحرب العالمية الاولى ، كان هذا التفاوت في التطور قد أزم التناقضات حتى النهاية بين الدول الامبريالية ، وزادت الحرب من مآسي الجماهير الشعبية ، فكان تسعير التناقضات بين العمل ورأس المال ، بين

---

(٨٧) نفس المصدر .

المتروبولات والمستعمرات ، وبين كل متناقضات الامبريالية الاقتصادية ، والاجتماعية والسياسية والقومية .

في هذه الظروف ، تسعى الطبقة العاملة والجماهير المسحوقة في مجموعة بلدان ، او حتى في بلد واحد ، لايجاد مخرج في الثورة . وتصبح عقد التناقضات هذه ، نقاط ضعف في النظام الامبريالي . كتب لينين قال :

« تنمو الثورة البروليتارية بشكل متفاوت ، نظرا لأن ظروف الحياة السياسية تختلف من بلد لآخر ، والبروليتاريا ضعيفة في بلد ، بينما هي أقوى في بلد آخر »(٨٨) .

ويؤزم تطور الرأسمالية المتفاوت التناقضات بين الدول الامبريالية ، مما يمنعها من العمل المشترك ضد البروليتاريا التي شرعت في الثورة . وقد حطم استنتاج لينين هذا ، الاشتراكيين ـ الشوفينيين والوسطيين الذين اكدوا ان تفاوت تطور الرأسمالية في مرحلة الامبريالية يميل الى الانحسار وتفقد التناقضات حدتها .

وحاول تروتسكي ، بعد الكاوتسكيين ، ان يطعن بالموضوعة اللينينية القائلة انه في مرحلة الامبريالية ، يمكن ان يكون لقانون التطور الاقتصادي والسياسي المتفاوت للرأسمالية ، دور محدد في امكانية انتصار الثورة الاشتراكية في عدة بلدان ، او حتى في بلد واحد على حدة ، ودور محدد كذلك، في آفاق هذه الثورة. لقد نفى فعل قانون التطور المتفاوت للرأسمالية ، مؤكدا ان الاتجاه الاساسي في الامبريالية ، يدفعها الى بناء « اقتصاد عالمي موحد بالرغم من الاطر القومية والحواجز السياسية والجمركية »(٨٩) .

لهذا السبب، يتوجب على البروليتاريا، حسب زعم تروتسكي، ان تستخدم الاتجاهات التمركزية في الامبريالية ، وليس تفاوت مستويات التطور . وقد رد تروتسكي اسباب تفاوت تطور الرأسمالية الى المستويات الاقتصادية في تطور مختلف البلدان ، مقدرا انه في مرحلة الامبريالية تميل هذه المستويات نحو التعادل . وكتب تروتسكي : « القضية هي ان هذا التفاوت هو كثير التفاوت » . فلو

---

(٨٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٨ ص ١١٩ .
(٨٩) ناشي سلوفو ، ٣ شباط (فبراير) ١٩١٦ .

صح ان المستويات الاقتصادية في بلدان مثل انجلترا والنمسا والمانيا او فرنسا ، تشكو من تفاوتات ، فكل هذه البلدان الاوروبية العالية التطور ، لها بالمقارنة مع افريقيا وآسيا ، شروط متساوية للثورة .

وقد وصف لينين هذه الفكرة بأنها خطرة سياسيا ؛ اي فكرة « ان سيطرة رأس المال المالي سوف تخفف من تفاوتات وتناقضات الاقتصاد العالمي ، بينما هي في الحقيقة سوف تعززها »(٩٠) .

بيد ان الثورة ليست فقط نتيجة تفاوت تطور الرأسمالية وتأزم تناقضاتها او نضوج الشروط المادية . فقد بيَّن لينين ان الثورة تفترض ايضا شروطا سياسية : توزع القوى الاجتماعية بشكل يسمح للطبقة العاملة ان تقوم بأعمال مكللة بالنجاح ، بشكل آخر ، يتوجب وجود وضع ثوري .

وفي مقاله « سقوط الاممية الثانية » ، أشار لينين الى ان الوضع الثوري يتميز بالعوامل الاساسية الثلاثة التالية : « ١) عدم تمكن الطبقات الحاكمة من الحفاظ على سيطرتها بشكل ثابت ؛ أزمة « القمة » ، أزمة سياسة الطبقة المهيمنة والتي تخلق تصدعا تشق من خلاله الطبقات المسحوقة طريقا لنقمتها وتذمرها . ولكي تنفجر الثورة ، فلا يكفي عادة ، ان « القاعدة لم تعد تريد » العيش ، كما في السابق ، ولكن من المهم ايضا ان تكون « القمة هي ايضا لم تعد تستطيع ذلك ابدا » . ٢) تفاقم ، فوق العادة ، لبؤس وفاقة الطبقات المسحوقة . ٣) تزايد ملحوظ للاسباب التي ذكرت أعلاه ، لنشاط الجماهير ، التي تسمح بسلبها ، بهدوء ، في الظروف « السلمية » ، ولكن التي ، في المراحل العاصفة ، تدفعها الازمة بمجملها ، **ام « القمة » نفسها** نحو عمل تاريخي مستقل »(٩١) .

وأشار لينين في نفس الوقت الى ان وضعا ثوريا لا يؤدي حتما الى ثورة . فلكي تنفجر ثورة ما ، يجب ان يضاف الى التغيرات الموضوعية المذكورة عامل ذاتي : طاقة الطبقة العاملة على القيام بأعمال جماهيرية عنيفة لتحطيم كلي او جزئي للحكومة القديمة التي لن

---

(٩٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢٢ ص ٢٩٣ .

(٩١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٢١٦ .

« تسقط » ابدا ، اذا لم « نجعلها تسقط »(٩٢) .

وتقاس الشروط الذاتية للثورة على صعيد الوعي السياسي والتنظيمي للطبقة العاملة ، بزرع الافكار الماركسية في الجماهير الكادحة ، وبقدرة الحزب البروليتاري على قيادة الاعمال الثورية الجماهيرية ، في الوقت اللازم ، من أجل قلب النظام القائم . وعمد الحزب البلشفي ، أثناء الحرب ، الى تحضير الشروط الذاتية من اجل انتصار الثورة الاشتراكية . وبما ان المقومات الموضوعية للثورة الاشتراكية قد نضجت فقد أصبح من الملح تعليم القوى الثورية ، وتشكيل جيش سياسي للثورة ، وتحقيق وحدة الحزب الماركسي على الصعيد الايديولوجي والتنظيمي . فموضوعة لينين ، عن وحدة الشروط الموضوعية والذاتية للثورة ، كانت تستهدف ، في نفس الوقت ، انتهازيي اليمين و « اليسار » .

لم يحدد التروتسكيون ، بدقة علمية ، الشروط الموضوعية والذاتية للثورة وترابطها وتداخلها . وكان تروتسكي يرى انالحرب قد زجت الشعوب في مأزق ، وخلقت بذلك مقدمات الثورة ، « مجبرة البروليتاريا على الانخراط في طريقالثورة الاشتراكية »(٩٣) فالحرب التي كانت انفجارا لقوى عفوية كان يجب ، حسب رأيه ، ان توقظ الارادة العفوية الجماهيرية وان تدفع بها الى الامام . كانت عفوية الاعمال الشعبية ، بالنسبة لتروتسكي ، أعلى مظاهر الروح الثورية عند الجماهير . لقد كان يغفل تماما العمل الدعائي اليومي الرامي الى تربية وتنظيم الجماهير ، ولم يكن يعترف بضرورة تشكيل جيش سياسي للثورة . فكان يقتصر دور الحزب ، عند تروتسكي ، على تسجيل الاحداث ، بشكل سلبي ، والتكيف مع العوامل العفوية الجارية .

عارض لينين دائما فكرة ان الظروف الموضوعية للثورة مرتبطة بالحرب وتنتج عنها . وأشار الى ان هذه الظروف كانت متوفرة في قلب نظام الامبريالية نفسه، وان الوضع الثوري ينتج ليس فقط ولا بشكل رئيسي ، عن الحرب ، ولكن من واقع ان المشكلات

---

(٩٢) نفس المصدر ، ص ٢٧١ .

(٩٣) غولوس ، ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ .

الاقتصادية والسياسية قد بقيت بلا حل ، ومن التصادم الطبقي . فالشروط الذاتية للثورة انما تنضج في خضم الصراع الطبقي الذي هو عملية موضوعية . ويساهم النضال الطبقي في صقل الوعي السياسي للبروليتاريا ، ويقنع بضرورة وجود حزب بروليتاري ؛ فهذا الحزب الذي ينظم ويوجه النضال الطبقي هو العامل الذاتي الاساسي للثورة .

لم تفقد النظرية اللينينية عن العوامل الموضوعية والذاتية للثورة الاشتراكية ، شيئاً من قيمتها . وبالفعل ، فان بروليتاريا البلدان الرأسمالية ترى أمامها ــ ومطروحة بحدة ــ مسألة شروط وطرق ووسائل النضال الثوري . وتستلزم هذه النظرية ، من شيوعيي كل البلدان ، ان يواجهوا بوضوح ، الشروط الموضوعية القائمة ، وتحذرهم من المحاولات الفوضوية « للعب بالثورة » .

ويؤزم قانون التطور المتفاوت تناقضات الرأسمالية ، بشكل متفاوت في كل بلد ، ويؤدي الى نضوج متفاوت للمقدمات الثورية . ان انتصار الاشتراكية غير ممكن بشكل متتالي ، في كل او في غالبية البلدان الرأسمالية المتطورة . « ان تفاوت التطور الاقتصادي والسياسي هو قانون مطلق للرأسمالية . وينتج عن ذلك ان انتصار الاشتراكية ممكن في البدء في عدد قليل من البلدان الراسمالية ، او حتى في بلد رأسمالي واحد على حدة »(٩٤) .

لقد وضع لينين هذا الاستنتاج ، في آب (اغسطس) ١٩١٥ ، في مقاله « بصدد شعار الولايات المتحدة الاوروبية » . فقد كان ينير المشكلات الاساسية في الحركة الثورية بتوجيهات جديدة ؛ كان يفتح آفاقا ثورية للطبقة العاملة ، ولشغيلة كل البلدان ، ويطلق المبادرة الثورية في نضالهم ضد البورجوازية الوطنية ، ويقنعهم بضرورة البدء بالاعمال الحاسمة في بلدانهم وبامكانية انتصار الثورة . عارض تروتسكي استنتاج لينين هذا . وكان يماثل بين الامبريالية وبين الميل نحو التمركزية ، ميل الى ضرب الاطر الاقتصادية القومية وتنظيم قوة اقتصادية دولية ؛ وكان يؤكد اذن ان القوى المنتجة بتحطيمها لاطار الدول القومية ، تحطمه ايضا

---

(٩٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، مجلد ٢١ ص ٣٥٤ ــ ٣٥٥ .

كـ « قاعدة للثورة الاجتماعية » . وبالتالي لم يعد على بروليتاريـا كل بلد وضع تكتيك مبني على أسـاس مهمات النضال الطبقي في اطار الحدود القومية . فتكتيك من هذا النوع، بالنسبة لتروتسكي، هو في تناقض مع الاتجاهات الاساسية للتطور العالمي ، ومن هنا ، سيره نحو الفشل .

وحسب رأي تروتسكي، فانالطبقة العاملة فيكل بلاد يجب أن تتخلى عن « التزاماتها القومية » وتركز جهودها لاستلام السلطة وفقـا للشكل الوحيد الحقيقي الذي هيأته المرحلة الامبريـالية ، « وفقا لشكل الدكتاتورية السياسية في كل البلدان المتمـدنة من العالم الرأسمالي » . كان تروتسكي يؤكد ان حركة ثورية جماهيرية يمكن ان تتطور وتنمو ايجابيا وتنتهي الى النصر شـرط ان تشمل اوروبا كلها ؛ واما ان تكون معزولة في الحدود القومية ، فهي ستؤول حتما الى الفشل . نتيجة لذلك ، يصبح دون جدوى شن النضال من أجلديكتاتورية البروليتاريا في بلد واحد منفصل. لا يمكنبالتالي ان تبسط البروليتاريا دكتاتوريتها الا على اوروبـا بمجملها ، اي بشكل الولايات المتحدة الاوروبية(٩٥) .

لقد أثبت لينين استحالة تحقيق هذا الشعار في ظل الرأسمالية . فهذا الشعار لا يمكن ان يتحقق الا في ظل الاشتراكية . انه صحيح سياسيا من وجهة نظر ضرورة قلب الملكيات الثـلاث الرجعية في اوروبا ، الروسية والالمانية والهنغارية . ومع ذلك ، انطـلاقا من التطور المتفاوت في البلدان المختلفة ، لا يمكن وضع هذا الشعار قيد التنفيذ . من ناحية الشروط الاقتصادية في الامبريالية، اي تصدير رؤوس الاموال وتقسيم العالم منقبل الدول الاستعمارية «المتقدمة» و « المتمدنة » ، كتب لينين ، ان الولايات المتحـدة الاوروبية هي « في النظـام الراسمالي امـا مستحيلة إما رجعية . ويمكن لهذا الشعار « ان يؤدي الـى نتـائج خاطئـة عن استحـالة انتصـار الاشتراكيـة في بلد واحـد وعن موقف البلـد المعـين من البلدان الاخرى » (٩٦) .

---

(٩٥) ناشي سلوفو ، ٤ شباط (فبراير) ١٩١٦ .

(٩٦) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، ج٢١ ص ٣٥٢ .

في الواقع ، ان كلا من الدول الكبرى تميل الى جمع البلـدان الصغيرة تحت ولايتها . فبريطـانيا العظمى تسعى لخلق دولتـين اتحاديتين في اوروبا : اتحاد بلجيكا والالزاس ـ لورين ولوكسمبورغ واتحاد البلدان السلافية الجنوبية . فالاول يكون قوة بوجه فرنسا والمانيا ويلعب الثاني نفس الدور بوجه المانيا وروسيا .

ويحاول الامبرياليون الالمان بدعم من الاشتراكيين ـ الشوفينيين ، اثبـات أن القوى المنتجة في المانيـا أصبحت على وشـك تفجـير الحدود القومية ، وانه أصبح تاريخيا من المشروع تشكيل الولايات المتحدة لاوروبا الوسطى . والشوفينيون المفرقون يقومون بالدعـاية للولايات المتحدة الاوروبية تحت كنف المانيا . وتؤيد روسيـا خلق اتحاد بلدان معارضة لالمانيا ولبريطانيا العظمى . اذن فـان الدول الكبرى تسعى لوضع شعار الولايـات المتحـدة الاوروبية بخـدمة اهدافها الرجعية .

في مقاله « البرنامج العسكري للثورة البروليتارية » المكتوب سنة ١٩١٦ ، يتكلـم لينين ليس عن الانتصار الممكن ، وانمـا عن الانتصار الحتمي للثورة الاشتراكية في عـدد قليل من البلدان او في بلد واحد . وقد أشار الى : « ان تطور الرأسمالية يتم بشكل غاية في التفاوت في مختلف البلدان ... من هنا النتيجة التي لا مفر منها : لا يمكن ان تنتصر الاشتراكية **في كل** البلدان في نفس الوقت . ستنتصر في البداية في بلد واحـد ، او في عـدة بلدان ، بينما تستمر البلـدان الباقية بعض الوقت بلـدانا بورجوازية او شبه بورجوازية »(٩٨) .

وفي مناقشة شعار الولايات المتحدة الاوروبية ، تبين ان هنـاك مسألة ذات أهمية آنية : مسألة موقف بلد الثورة الاشتراكية المنتصرة من البلدان حيث لم تتم فيها هذه الثورة بعد . أثناء الحرب العالمية الاولى بيّن لينين ضرورة الدفاع عن البلدان التي انتصرت فيهـا ديكتاتورية البروليتاريا . وكان يعتبر ان الدفاع عن الوطن الاشتراكي لا بد منه للحفـاظ على منجزات بروليتاريـا بلد مـا ، وكان يرى

---

(٩٧) نفس المصدر ، ص ٣٥٤ .

(٩٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، ج٢٣ ص ٨٦ .

في ذلك شرارة الثورة الاشتراكية العالمية .

بالنسبة للينين ، على البروليتاريا المنتصرة ان تبدأ بتجريد الرأسماليين من ملكياتهم وتنظيم الاقتصاد الاشتراكي عندها ، وعليها ان تقدم مساندتها للطبقات المضطهَدة في البلدان الاخرى في نضالها ضد الرأسماليين وفي حال الضرورة تأمين الدعم العسكري لها(٩٩) . واعتبارا للشروط التاريخية الملموسة ، على الطبقة العاملة التي أقامت دكتاتوريتها ان تعزز سلطتها وتنظم بناء الاشتراكية ، الامر الذي لا يمكن اتمامه الا في ظروف علاقات سلمية مع العالم الراسمالي . وكل مغامرة عسكرية تقوم بأول عمل مباشر لبروليتاريا البلدان الاخرى يخشى ان تمنى بخسارة المنجزات الاولية . وبالتالي كان على لينين ان يدين مرة اخرى نظرية الثورة المتزامنة في كل البلدان ؛ فكتب بهذا الصدد : « ان الانتظار حتى تقوم الطبقات الكادحة بالثورة على الصعيد الدولي ، يعني الجمود في الانتظار ، وهو شيء دون معنى »(١٠٠) .

وانطلاقا من نظريته عن « الثورة الدائمة » ، كان تروتسكي يؤكد ان بلدا واحدا لن يكون قادرا على مقاومة تضافر قوى البلدان الرأسمالية . وحتى اذا ما اندلعت الثورة في هذا البلد ، فيجب ان تتدخل بروليتاريا هذا البلد ضد البلدان الرأسمالية بغاية تفجير الحرب الثورية . ويقول ايضا : على البروليتاريا مهمة خلق « وطن أعلى للثورة ، اوروبا جمهورية ، وبعدها فقط تستطيع البروليتاريا التفكير بالقيام بالثورة في العالم اجمع » . فيما بعد ، أثناء محادثات سلم بريست – ليتوفسك، أراد تروتسكي نقل هذا الاستنتاج النظري الى حيز التطبيق ، موضحا بذلك الطابع المغامر لمفهومه عن سبل الثورة الاشتراكية . ان انتصار ثورة اوكتوبر قد حدد بداية الثورة الاشتراكية العالمية ، وهي عملية تغطي مرحلة كاملة وتشمل حركات اجتماعية مختلفة .

ان استنتاج تروتسكي عن استحالة انتصار الثورة الاشتراكية في بلد واحد في البدء ، يرتكز على تحليل خاطىء لمرحلة الامبريالية

---

(٩٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس – موسكو ، ج٢١ ص ٣٥٥ .

(١٠٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس – موسكو ، ج٢٧ ص ٣٩٠ .

ولآفاق الثورة الاشتراكية ؛ وينفي الامكانيات الثورية عند الطبقة العاملة والفلاحين في روسيا ، ويفرق في تضخيم القوى الامبريالية الدولية .

ان شروط الثورة الاشتراكية لا تنضج في نفس الوقت وفي كل مكان ، وهذا يعني ان الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية يجب ان يتم في فترات مختلفة وفقا للبلدان . والشروط التي خلقت في روسيا القيصرية بدت صالحة خصوصا لكسر السلسلة الامبريالية . ولكن ، لكي تنخرط في الثورة الاشتراكية ، كان على الطبقة العاملة والفلاحين الروس ان يتم قلب الملكية اولا وتنتزع الحريات السياسية وتنتهي من امتيازات الرق . كانت روسيا على عتبة ثورة ديمقراطية بورجوازية يستحيل بدونها اجراء تحولات اشتراكية .

كان لينين يواجه العملية التاريخية ككل تتتابع مراحله منطقيا ، كل لا يترك اي مكان للاعتباطية والذاتية . وأشار الى كل مرحلة من التطور التاريخي ، يجب ان تتوافق مع تاكتيك محدد لنضال طبقة البروليتاريا . وقد حارب الحزب البلشفي بضراوة الذين حاولوا ادخال الاعتباطية والذاتية في مفهوم السياق الثوري . اما تروتسكي ، والوقائع تشهد ، فقد كان يفكك مراحل التطور الثوري ويسمح بخلطها وتجاهلها ، ويدخل الاعتباطية والذاتية في عامه عن التطور الثوري . كل ذلك كان يؤدي الى الفوضوية والمغامرة السياسية . وأوضح مثال على ذلك هو نفيه لمرحلة الثورة الديمقراطية البورجوازية في روسيا .

وأوضت أحداث سنة ١٩١٥ ــ ١٩١٦ ان البلاد تدخل في مرحلة أزمة ثورية . وكانت سوتسيال ــ ديموكرات تذكر انه بعد التاسع من كانون الثاني ١٩٠٥ ، لوحظ وعي سريع عند الطبقة العاملة في روسيا ، وتنبأت « باستيقاظ أكثر دويا بعد حرب ١٩١٤ ــ ١٩١٥ »(١٠١) .

بينما كانت الثورة تنمو في البلاد ، طور لينين نظريته عن تحويل الثورة الديمقراطية ــ البورجوازية الى ثورة اشتراكية ، آخذا بالاعتبار الظروف الجديدة العائدة للحرب العالمية . وقد عرض

---

(١٠١) سوسيال ديموكرات ، ١ شباط (فبراير) ١٩١٥ .

لينين آراءه الجديدة في المقالات « هزيمة روسيا والازمة الثورية » ، « بعض الموضوعات عن هيئة التحرير » ، « بصدد خطي الثورة » . وفي مقاله « بصدد خطي الثورة » انتقد لينين بشدة الموضوعات التي عاد تروتسكي يجمعها عن « الثورة الدائمة » . واوضح ان روسيا هي ، حتما ، في عشية الثورة الديمقراطية البورجوازية . واذا لم تحل مهمات المرحلة الاولى، فالانتقال الى الثورة الاشتراكية يصبح مستحيلا . وكان يقول : الثورتان تشكلان مرحلتين من عملية ثورية مستمرة .

« ليست الجمعية التشريعية ، ولكن قلب الملكية، والجمهورية ، ومصادرة أراضي كبار الملاك العقاريين ويوم العمل من ثمان ساعات ؛ تلك ستكون ، كما كانت في السابق، شعارات البروليتاريا الاشتراكية ــ الديمقراطية وشعارات حزبنا »(١٠٢) .

وفي تحليله لعملية تحويل الثورة الديمقراطية البورجوازية الى ثورة اشتراكية ، أشار لينين الى اللحظات الاساسية فيها بالمقارنة مع ثورة ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ . فلو صح ان بروليتاريي اوروبا الغربية استطاعوا ان يروا في الثورة الروسية مثلا « لكي يفجروا الثورة البروليتارية في الغرب » ، فمن الان فصاعدا الثورة الاشتراكية في الغرب « أصبحت في مرحلة ملحة الى حد انها طرحت على جدول الاعمال بالترابط مع الاولى »(١٠٣) . اي مع الثورة الديمقراطية البورجوازية . فالمهمة المشتركة للبروليتاريا الروسية وبروليتاريا البلدان الغربية تكمن اذن في تعزيز التضامن الاممي لقلب الحكومات الرجعية واقامة الاشتراكية . ان ميزان القوى الطبقي الذي نشأ في البلاد أثناء الحرب العالمية ، خلق شروطا مؤاتية لتحول سريع من الثورة الديمقراطية البورجوازية الى ثورة اشتراكية . ووجود بروليتاريا واعية ومنظمة في البلاد بقيادة الفلاحين الثوريين ، ويقودها حزب ماركسي ــ لينيني يفتح آفاقا جديدة من حيث تحويل البلاد جذريا نحو الاشتراكية .

كانت ميزة الوضع في روسيا بأن مهمات الثورة الديمقراطية

---

(١٠٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، ج٢١ ص ٣٩٥ .

(١٠٣) نفس المصدر ، ص ٣٩٣ .

البورجوازية ومهمات الثورة الاشتراكية هي متقاربة وحتى متماثلة احيانا . وهذا لا يعني اطلاقا انه بالامكان الاستغناء عن مرحلة الثورة الديمقراطية البورجوازية .

لقد بيّن تتابع الاحداث ان على الثورة الديمقراطية البورجوازية ان تحسم المسألة الاساسية ، مسألة السلطة : فقد اسقطت الاوتوقراطية . ان انتصار الطبقة العاملة والفلاحين على القيصرية قد ضمن الحريات الديمقراطية التي لا بد منها وخلق الشروط لمتابعة معركة الاشتراكية .

كان تروتسكي ينفي ان يكون ممكنا قيام الثورة الديمقراطية البورجوازية في روسيا . وأعلن ان الاصلاحات الستوليبينية قد أزالت نهائيا القاعدة الاقتصادية للطبقات الديمقراطية ، ومن هذا الواقع ، لا يمكن ربط تطور الثورة الروسية بقوى داخلية ، وخاصة بالفلاحين ؛ وكتب في ذلك : « ان ثورة بورجوازية وطنية هي مستحيلة في روسيا لعدم وجود ديمقراطية بورجوازية »(١٠٤) . ونتيجة لذلك ، على الحركة الثورية للبروليتاريا الروسية ان ترتبط بمهمات البروليتاريا الاوروبية ، طالما أن الثورة الروسية ترتبط مصيريا بالنضال البروليتاري في مجموع العالم الرأسمالي . بهذا الشكل قام تروتسكي بدور المدافع عن الموضوعة التي بموجبها كانت روسيا تعيش عشية الثورة الاشتراكية التي ستتم في نفس وقت الثورة في الغرب .

نقد لينين تقدير تروتسكي للقوى المحركة للثورة الصاعدة في روسيا ، وبيّن ان المناشفة أرادوا تمويه مسألة توزع القوى الطبقية او استبدالها بعملية تركيب جهل « يسارية » . وكتب : « اما بالنسبة لتروتسكي ، فهو يقترح في ناشي سلوفو ، حلا خاطئا لهذه المسألة مستعيدا نظريته « الاصلية » لسنة ١٩٠٥ ، ورافضا التفكير بالاسباب التي من اجلها ، خلال عشر سنوات ، تجاوزت الحياة هذه النظرية البديعة »(١٠٥) . وأخذا بالاعتبار الطابع الديمقراطي البورجوازي للثورة ، حدد لينين من هي القوى ذات المصلحة بحل

---

(١٠٤) ناشي سلوفو ، ١٧ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩١٥ .
(١٠٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، ج٢١ ص ٤٣٥ .

مهمات هذه الثورة والقادرة على وضع هذا الحل .

وفي المؤلفات التي وضعها أثناء الحرب العالمية الاولى، بيّن لينين مجددا ان هيمنة البروليتاريا هي القوة المحددة لانتصار الثورة الديمقراطية البورجوازية وتحويلها الى ثورة اشتراكية . تجمع البروليتاريا حولها كل حلفائها وتوجه وتقود عملهم ، حيث ان وعيها السياسي وتنظيمها يعززان هذا الاتحاد . وكتب : « تناضل البروليتاريا وستناضل بتفان من اجل انتزاع السلطة ، من اجل الجمهورية ، ومن اجل مصادرة الاراضي ، اي من اجل جر الفلاحين واستعمال كامل طاقاتهم الثورية ، ولكي تساعد « الجماهير الشعبية غير البروليتارية » على تحرير روسيا **البورجوازية** من الامبريالية **العسكرية والاقطاعية** (القيصرية)(١٠٦) . في المرحلة الاولى من الثورة سيسير كل الفلاحين مع البروليتاريا ؛ وفي المرحلة الثانية ستكون الطبقات الاكثر معاناة ، والجماهير النصف بروليتارية ، متحالفة معها .

كان تروتسكي يرفض فكرة هيمنة البروليتاريا في الثورة . بالنسبة له ، ستكون البروليتاريا معزولة عن كل القوى الديمقراطية، وحتى عن الفلاحين. كان يؤكد انه على البروليتاريا ان تسير وحدها، بدون حلفاء ، وان « اسوأ الاوهام التي تغذى بها البروليتاريا خلال تاريخها ، هي تعليق الامال على الاخرين »(١٠٧) . ان واقع نفي تروتسكي لهيمنة البروليتاريا في الثورة ، واقلاله من شأن الدور الثوري لدى الفلاحين ، فضح الطابع المنشفي لتقديره للقوى المحركة للثورة .

اشار لينين دائما الى الدور الثوري للفلاحين كحلفاء للبروليتاريا. فالبروليتاريا لن يمكنها قلب الملكية وكبار الملاك العقاريين في روسيا « بدون مساعدة الفلاحين » (١٠٨) . لقد غذّت الحرب التفاوت الاجتماعي بين الفلاحين ، وزادت من شقائهم وآلامهم . وتميل مصالح الفلاحين ايضا اكثر فأكثر نحو التماثل مع مصالح

---

(١٠٦) نفس المصدر ، ص ٤٣٦ .

(١٠٧) ناشي سلوفو ، ١٧ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩١٥ .

(١٠٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، ج٢١ ص ٤١٧ .

البروليتاريا . هذا ما كان يعزز تحالف البروليتاريا مع الفلاحين في الثورة الديمقراطية البورجوازية ، ومع فقراء الفلاحين في الثورة الديمقراطية البورجوازية . انطلاقا من هذا التحليل ، طوّر لينين المبدأ الاساسي لنظرية الثورة الاشتراكية ، مبدأ تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين؛ وفضح المحاولات المغامرة التي قام بها تروتسكي لضرب هذا التحالف ولعزل البروليتاريا عن الطبقات الاخرى، حاكما من خلال ذلك على الثورة بالفشل .

خلال هذه السنوات كانت مسألة القوميات والاستعمار مطروحة بحدة وذلك بسبب دور الحركات الديمقراطية في مرحلة الامبريالية وعلاقاتها بنضال البروليتاريا من أجل الاشتراكية . في هذه المسألة كان على الحزب البلشفي ان يحارب الجمل « اليسارية » عند « الاقتصاديين الامبرياليين » في داخله ، ومواجهة مواقف تروتسكي في الخارج .

وفي مؤتمر برن للاقسام البلشفية في الخارج ، اتخذ . ن. بوخارين موقفا ضد المطلب الوارد في برنامج الحزب ، حق الامم في تقرير مصيرها، حتى بما في ذلك الانفصال السياسي. وان الموضوعات المشتركة التي صاغها بوخارين وبياتاكوف وبوش والمنشورة تحت عنوان « حول حق الامم في تقرير مصيرها » في خريف ١٩١٥ ، كانت ترفض هذا المطلب . وقد صاغ تروتسكي وجهة نظر مماثلة في مقاله « الامة والاقتصاد » المنشور في ناشي سلوفو .

كان لينين يعتقد بأن احد الشروط الاساسية لكي تستولي البروليتاريا على السلطة ، ان تتضافر الحركة الثورية للطبقة العاملة في المتروبولات مع حركة التحرر الوطني في المستعمرات والبلدان التابعة . في كتابات تلك المرحلة ، عزز لينين بالوثائق امكانية وضرورة تحالف بروليتاريا المتروبولات مع شعوب البلدان المستعمرة ونصف المستعمرة . لقد كان هذا التحالف ضروريا بالنسبة للقيام بالتغييرات الديمقراطية في المستعمرات ؛ اما بالنسبة لبروليتاريا البلدان الراسمالية ، فهي بحاجة له من اجل اضعاف مجمل النظام الامبريالي ولكي تتمكن الثورة الاشتراكية من ان تنتصر(١٠٩) .

---

(١٠٩)ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، ج٢٣ ص ٧٣ .

بعد ان درس قضايا القوميات والاستعمار انطلاقا من مواقع الصراع الطبقي ، ومن زاوية المهمات العامة والخاصة لحركة التحرر الوطني ، توصل لينين الى استنتاج انه في مرحلة الامبريالية تتوحد حركات الشعوب المسحوقة مع النضال العام القائم ضد الامبريالية ، وانه ينبغي دعم وتطوير المظاهر الاكثر ثورية في حركة التحرر الوطني . وقد أثبت ان مسألة القوميات والاستعمار هي جزء متمم لقضيةالثورة الاشتراكية ولديكتاتورية البروليتاريا ، وان الشعوب المستعمرة ونصف المستعمرة يجب ان تأخذ بالاعتبار هذا الواقع في نضالها التحرري .

بينما كان الحزب البلشفي يرى في شعوب البلدان المستعمرة والتابعة حلفاء للبروليتاريا، كان تروتسكي ينفي كل دور ثوري لها . ويؤكد انه ، بما أن الدولة القومية قد أصبحت كابحا لتطور القوى المنتجة في مرحلة الامبريالية ، لم يعد حق الامم في تقرير مصيرها يستجيب للظروف الجديدة . لقد تخطاه الزمن لان « أساسه يعود الى مرحلة المعارك الثورية للديمقراطية الوطنية البورجوازية » .

وأعلن تروتسكي ان حق الامم في تقرير مصيرها بحرية لا يجوز ان يرتبط بالمهمات النضالية الطبقية للبروليتاريا ، ولكنه يجب أن يدفع النمو المنتظم « لسلطة الانسان على الطبيعة » . واذا خلقت الامبريالية الشروط التيتسمح بتشكيل الولايات المتحدة الاوروبية ، فسيصبح بالامكان دفع تطور القوى المنتجة وتوسعها وتزول بالتالي الدول الوطنية . وان لم يتم ذلك ، فمن غير المفيد ويكون خطرا الكلام عن حقالامم في تقرير مصيرها. لا يجوز حسب تروتسكي ، ان تطرح البروليتاريا هذه المسألة خارج اطار ثورة اوروبية خارج اطار الولايات المتحدة الاوروبية .

وتلتقي وجهة النظر هذه معموقف «الاقتصاديين الامبرياليين» . فقد كانت مجموعة بوخارين ، بياتاكوف وبوش تنطلق ، تماما كتروتسكي من مفهوم « الامبريالية النقية » . كلاهما كان يؤكد ان الرأسمالية فيمرحلة الامبريالية قد وصلت الى ذروتها وحطمت الاقتصاد البضاعي بصورة نهائية. وكتب بوخازين: انالدولالوطنية الصغيرة ذات البنى الاقتصادية السابقة للرأسمالية قد (امتصتها)

في مرحلة الامبريالية الدول الكبرى ، واصبح مجموع الاقتصاد « مؤسسة موحدة تماما لهذه المجموعة البورجوازية الدولية او تلك » . ويتابع ، مثل تروتسكي ، الى ان المطالبة بتطبيق حق الامم في تقرير مصيرها يعني الدخول في تناقض مع حركة التاريخ بالذات .

ومحللا موقف تروتسكي من حركات التحرر الوطني ، قال لينين ان تروتسكي يؤيد بالكلام حرية تقرير المصير « ولكنها عنده ايضا ليست سوى جملة جوفاء ، لانه لا ينادي بحرية انفصال الامم المضطهدة عن « وطن » هذا الاشتراكي القومي »(١١٠) . لم يجب تروتسكي على السؤال الاساسي للنشاط العملي لاشتراكي ــ ديمقراطي وهو السؤال عن « الموقف من امة مضطهدة من قبل « امته »(١١١) . وكان ذلك تمويها لمسألة التفاقم الاقصى للاضطهاد القومي في البلدان الامبريالية بما في ذلك روسيا . وهكذا برفضه حرية تقرير الامم لمصيرها ، كان تروتسكي يدعم موضوعيا « الاشتراكية ــ الامبريالية الروسية » (١١٢) .

كان الحزب البلشفي يؤكد ان على الشعوب المستعمرة ونصف المستعمرة ان تحمل السلاح للدفاع عن حقها في السيادة الوطنية ضد البلدان الامبريالية التي تحاول انتهاك حرمتها. وفي هذه الحال من واجب الاشتراكيين ــ الديمقراطيين الثوريين ان « يساعدوها في انتفاضتها (او عند الاقتضاء ، في حربها الثورية) ضد الدول الامبريالية التي تضطهدها »(١١٣) . ستكون تلك حربا عادلة ، حربا ثورية تزعزع مرتكزات السيطرة الامبريالية .

كان تروتسكي من موقف معارض يشكك بامكانات الشعوب المضطهدة على شن حروب عادلة ثورية ضد الامبريالية. وراح يكتب ان الحروب العادلة للشعوب المضطهدة لا تبدو ممكنة الا لأول وهلة ، عندما تطرح المسألة بشكل مجرد دون اخذ الواقع الملموس

---

(١١٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، ج٢٢ ص ١٨١ .
(١١١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، ج٢٢ ص ٣٨٧ .
(١١٢) نفس المصدر .
(١١٣) نفس المصدر ، ص ١٦٥ .

بعين الاعتبار . فالعلاقات الدولية التي اصبحت على ما هي عليه، وبوجه التجمعات الكلية القدرة للقوى الامبريالية ، فلا توجد مستعمرة واحدة ، ولا أي شعب مضطهَد قادر على خوض حرب تحررية ، الا اذا كان مدعوما من قوة امبريالية أو اذا كان آلة بين يديها . وهذا هو السبب الذي من اجله لا يمكن أن تكون « للحروب « القومية » للشعوب المتخلفة أية اهمية بحد ذاتها » . ان جملة تروتسكي « اليسارية » تنفي كل امكانية لدى البروليتاريا لايجاد حل علمي للمسألة القومية والاستعمار .

وأكدت تجربة النضال الثوري لشعوب روسيا وبلدان العالم الاخرى النظرية اللينينية حول مسائل الحرب والسلم والثورة ، من ناحية اخرى، فقد قدمالتاريخ دحضا قاطعا لكل أعداء هذهالنظرية. من خلال نقده للآراء التروتسكية حول المسائل النظرية الاساسية في الثورة الاشتراكية نزع لينين قناع تروتسكي الاشتراكيالكاذب، وبيَّن انه كان يدعم الاشتراكية ــ الشوفينية وانه كان المحرك للسياسة الوسطية في الحركة العمالية الروسية .

لقد اسهمت النظرية اللينينية في الثورة الاشتراكية في اغناء الشيوعية العلمية . وقدمت للحزب وللطبقة العاملة سلاحا ايديولوجيا في نضالهما ضد السيطرة البورجوازية .



في بداية ١٩١٧ كان الوضع الثوري قد نضج في روسيا . كانت روسيا بين كلالدول المتحاربة تجتاز اكبر صعوبات اقتصادية وسياسية . ووجدت السلطة الملكية في عزلة سياسية تامة . وكان اوضح تعبير على الازمة الوطنية واقع ان « من هم فوق » لم يعودوا قادرين على الحكم ، وفقدوا آخر بقايا نفوذهم السياسي ، بينما « من هم تحت » لن يقبلوا بالعيش كما في السابق ، وكانوا يقومون بأعمال عنيفة ضد القيصرية وضد اهوال الحرب .

وكنَّست الانتفاضة التي شنتها الجماهير الشعبية بقيادة الحزب البلشفي ، في شباط ١٩١٧ ، ملكية القياصرة . وشكلت ثورة شباط الديمقراطية البورجوازية بداية تحويلالحربالامبريالية

الى حرب اهلية . ومع اسقاط القيصرية انتهت المرحلة الاولى من الثورة ، المرحلة الديمقراطية البورجوازية ؛ وهكذا خلقت الشروط الاساسية الاجتماعية ـ السياسية للانتقال الى المرحلة الاشتراكية. ولكن هذا الانتقال كان صعبا بسبب الظرف السياسي الفريد الناتج عن ازدواجية السلطة . فالى جانب الحكومة المؤقتة ، جهاز دكتاتورية البورجوازية ، أقيمت دكتاتورية ديمقراطية ثورية للعمال والفلاحين ، ديكتاتورية السوفياتات .

في هذا الوضع التاريخي الجديد ، كان على الحزب البلشفي ان يضع خطا تاكتيكيا وستراتيجيا صحيحا تستطيع البروليتاريا اتباعه في الثورة ، وان يحدد موقفه من السوفياتات ومن الحكومة المؤقتة ، ومن الحرب الامبريالية التي كانت ما تزال مستعرة . فقد قدم لينين الحل في **رسائل من بعيد** ، **وموضوعات نيسان** ومقررات الكونفرنس السابع (كونفرنس نيسان) للـ ح ع أ د ر (؟) .

قدم لينين في «رسائل من بعيد» تحليلا ماركسيا عميقا للثورة الديمقراطية البورجوازية وللقوى المحركة في هذه الثورة ، وقدم جوابا على مسائل النظرية والتاكتيك المعقدة التي كانت تطرح نفسها على الحزب .

كان استنتاجه الاساسي هو التالي : انتهت المرحلة الاولى من الثورة ، ويجب الانتقال الى الثانية ، الى الثورة الاشتراكية التي يجب ان تضع السلطة في ايدي الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين . وفقا لذلك ، وضع لينين قيد التنفيذ استعدادات الحزب التاكتيكية. وقد صيغت في بداية آذار ١٩١٧ في برقية لبلاشفة كانوا يعودون الى روسيا . « تاكتيكنا : حذر مطلق ، عدم تقديم اي دعم للحكومة الجديدة ، نشك في كيرنسكي خاصة ، تسليح البروليتاريا هو الضمانة الوحيدة ، انتخاب فوري في دوما بتروغراد ، عدم تقارب من احزاب اخرى . »(١١٤)

ان الستراتيجية والاستعدادات التاكتيكية التي وضعها لينين والتي اقرت في كونفرونس الحزب السابع (كونفرنس نيسان) ، اتبعت من قبل الحزب بكامله .

---

(١١٤) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، ج٢٣ ص ٣٢١ .

في هذه الفترة اكد تروتسكي مجددا موقفه كمعارض للخط السياسي للحزب البلشفي .

وقد اعطى رأيه حول ثورة شباط ، وحول قواها المحركة ، في سلسلة مقالات مجموعة تحت عنوان **رسائل آذار** ، طبعت في الولايات المتحدة في صحيفة **نوفي مير** (١١٥) . فيما بعد كان على تروتسكي أن يؤكد ان **رسائل آذار** تتفق تماما، من ناحيةالمبادىء ، معتحليل الثورة الذيوضعه لينين في **رسائل من بعيد** (١١٦) . وقد حاول التروتسكيون حتى الايحاء بأن **رسائل آذار** « قد استبقت » **الرسائل من بعيد** التي كانت في اساس **موضوعات نيسان** .

هذه الادعاءات هي تزييف متعمّد للصراع الايديولوجي القائم ضد التروتسكية . في الواقع ، كانت **رسائلآذار** مبنية علىاساس نظرية « الثورة الدائمة » . وقد اراد تروتسكي اعادة طرح شعاره المعادي للبلشفية « لا قيصر ، بل حكومة عمالية » ، أي ثورة بدون الفلاحين .

انتقد لينين بعنف الشعار التروتسكي . وفي **رسائله حول التاكتيك** أصر على واقع ان موضوعاته كانت موجهة ضد تروتسكي الذي اراد اغفال عملية تحول الثورة الديمقراطية البورجوازية الى

---

(١١٥) في نهاية عام ١٩١٦ ، بعد منع صدور ناشي سلوفو ، ذهب تروتسكي الى الولايات المتحدة . كان يوجد حينذاك في نيويورك تجمع باسم « نوفي مير » نظمه مهاجرون اشتراكيون روسيون ، وكانوا يصدرون صحيفة تحمل نفس الاسم . كانت هيئة التحرير مؤلفة من قوى غير منسجمة . كانت تضم جنبا الى جنب اشتراكيين شوفينيين ووسطيين ويساريين ومؤيدي لزميروالد كان مدير الصحيفة الايديولوجي المنشفي الشوفيني س. انجفرمان في صيف ١٩١٦ ، تشكلت داخل هيئة التحرير جماعة من البلاشفة ، خاضت نضالا عنيفا ضد اليمينيين الذين حاولوا تسلم ادارة الصحيفة في انجرمان .

التحق تروتسكي بمجموعة « نوفي مير » في كانون الثاني ١٩١٧ وأخذ يساهم في الصحيفة . وجمع اليمينيين ضد البلاشفة وكل مؤيدي زميروالد. في ١٧ شباط ١٩١٦ كتب لينين في رسالة موجهة الى أ. ولونتاي ان تروتسكي ينظم تكتلا يمينيا ضد اليساريين : « أي حيوان هو تروتسكي هذا ، جمل يسارية وتكتل مع اليمين ضد يساريي زيمروالد !! يجب العمل على فضحه .. » (ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، ج٢٤ ص ٣٩) .

(١١٦) لينينية أم تروتسكية ؟ موسكو ١٩٢٥ ، ص ٢٩١ .

ثورة اشتراكية . وقد وصف شعار « لا قيصر ، بل حكومة عمالية » (١١٧) بأنه لعبة « للاستيلاء على السلطة » ، و « المغامرة البلانكية » .

في خطاب اختتام المناقشات حول التقرير المتعلق بالوضع ، الذي القاه لينين في ١٤ (٢٧) نيسان ١٩١٧ ، في كونفرنس بتروغراد - فيل لد ح ع ادر (؟) ، نجد ما يلي : « تقول التروتسكية : « لا قيصر ، بل حكومة عمالية » . هذا خطأ . البورجوازية الصغيرة موجودة ولا يمكن تجاهلها . ولكنها تتكون من جزئين . والجزء الفقير هو الذي يسير الى جانب الطبقة العاملة . » (١١٨)

كانت الموضوعات التي طرحها تروتسكي في « رسائل آذار » معارضة تماما لموضوعات لينين . كان تروتسكي يؤكد ان مهمة البروليتاريا المباشرة هي الاستيلاء على السلطة وتشكيل حكومة عمالية يجب ، حسب اقواله ، أن تواجه حل المهام ذات الطابع الديمقراطي والاشتراكي في نفس الوقت . وللقيام بذلك ، على البروليتاريا بسبب عزلتها السياسية أن توحد قواها مع بروليتاريا اوروبا الغربية . وكان يستعيد فكرته القائلة ان حكومة عمالية لا تستطيع البقاء في روسيا بدون دعم سياسي من الطبقة العاملة الاوروبية الغربية . ومهمة الحكومة العمالية ايضا هي اذن « اقامة صلات بالبروليتاريا الاوروبية » وليس البحث عن تحالف مع الفلاحين الموصوفين بالشوفينية. فقد أزال تروتسكي اذن الفلاحين وصنّفهم في معسكر الثورة المضادة . لقد كان ذلك يعني عمليا حرمان البروليتاريا من حلفائها ، ونفي دورها القيادي في الثورة الديمقراطية البورجوازية .

رفض تروتسكي مجددا في **رسائل آذار** موضوعة لينين عن امكانية انتصار الثورة الاشتراكية في بلد واحد اولا . وبالنسبة له فالبروليتاريا الروسية لا تستطيع البقاء في السلطة الا اذا قامت الثورة في اوروبا . وفيما عدا ذلك سيخنق الامبرياليون مجتمعين الثورةالروسية. وبالتالي، يقول تروتسكي، اذا تأخر انفجار

---

(١١٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس - موسكو ، ج٢٤ ص ٣٩ .

(١١٨) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس - موسكو ، ج٢٤ ص ١٤٥ .

الثورة في الغرب ، سيقع على عاتق البروليتاريا الروسية تصدير الثورة عنوة الى البلدان الاخرى . قال : « سنوكل الى الجيش الثوري الروسي مهمة نقل الثورة الى ارض دولة أخرى » .

ان نظرية « تقديم يد المساعدة » للثورة في البلدان الاخرى بواسطة الحرب هي مغامرة ليس لها اية علاقة بالماركسية . امـا تروتسكي فقدكان يدير ظهره للموضوعات الاساسية فيالماركسية : « لا يمكن القيام بثورة دون الاخذ بعين الاعتبار العوامل الموضوعية والذاتية الخاصة بهذا او ذاك من البلدان ، ولا يمكن القيام بالثورة قبل أوانها ولا القيام بها عند الطلب ومساعدتها من الخارج . في حزيران ١٩١٨ قال لينين : « ... يظن بعض الاشخاص ان الثورة في بلد اجنبي يمكن ان تنشأ تحت الطلب وبموجب اتفاق . هؤلاء الاشخاص هم اما مجانين ، اما عملاء من الاستفزازيين » (١١٩) .

ان ثورة شباط والتطور اللاحق لصراع الطبقات في روسيـا قد أظهرا عمليا فشل سياسة النظرية التروتسكية عن « الثـورة الدائمـة » . بعد فضح المنطلقات الخطرة لـدى تروتسكي ، عزز الحزب البلشفي صفوفه على أســاس البرنامج الثوري الذي وضعه لينين . ووضع هذا البرنـامج اتجـاه الحزب لانتصـار الثـورة الاشتراكية انطلاقا من تحليل علمي عميق للسياق الموضوعي في التطور التاريخي ولنسبة القوى الطبقية في البلاد .

جاء في **موضوعات نيسان** : « ان مـا هو اسـاسي في الوضع الحالي في روسيا هو الانتقال من المرحلة الاولى في الثورة ، التي أعطت السلطة للبورجوازية نتيجة عـدم كفاية درجة وعي وتنظيم البروليتاريا ، الى مرحلتها **الثـانية** ، التي يجب ان تعطي السلطة للبروليتاريا وللفئات الفقيرة من الفلاحين » (١٢٠) .

لقد حدد لينين اذن ضرورة الانتقال الى المرحلة الاشتراكية من الثورة ، ولكنه حدد أيضا من هي القوى التي ستتمم هذا الانتقال . وتنبع هذه النتيجة بالطبع من الموضوعة القـائلة بأن الثـورة يمكن ان تنجح في بلد واحد في البداية . وفسر لينين ان كل الشروط

---

(١١٩) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، ج٢٧ ص ١١٥ .

(١٢٠) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، ج٢٤ ص ١٢ .

الموضوعية والذاتية كانت مجتمعة في روسيا لكي تستولي البروليتاريا مع فقراء الفلاحين على السلطة .

واشار لينين بأن الحزب البلشفي وحده استطاع تنظيم وقيادة الثورة الاشتراكية ، لانه كان مسلحا بمعرفة قوانين التطور الاجتماعي ، واعتمد في عمله على الفكر الماركسي . ولكي يظهر على مستوى هذه المهمة التاريخية ، دعا لتعزيز وحدة الحزب ، ومضاعفة وتقوية الصلات بالجماهير ، ومتابعة النضال غير المتواني ضد الانتهازية والتوفيقيين البورجوازيين الصغار ، خدم البورجوازية .

بعد ثورة شباط ، كان من الملح على الحزب ان يرص صفوفه : في عدة اماكن كان البلاشفة والمناشفة يتشاركون في منظمات واحدة . كان المناشفة يؤكدون ان اسقاط القيصرية قد أزال كل الاختلافات فيما بينهم وبين البلاشفة ، ومن المهم ، باسم وحدة الحركة العمالية ، خلق منظمات اشتراكية ــ ديمقراطية موحدة في كل مكان . وكان بعض البلاشفة يشاركونهم هذا الرأي . ولكن الممارسة والحياة تكفلت بازالة هذه الاوهام . ففي المنظمات الموحدة تابع المناشفة سياستهم الانتهازية وبقوا كما في السابق أعداء الثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا . في مرحلة تحضير الثورة الاشتراكية ، كانت اعادة التكتل مع المناشفة في حزب واحد ستساهم في زرع الفوضى في الطبقة العاملة وفي اضعافها . وكان ذلك قد أدى الى ضرر بالثورة لا يعوض .

بعد انتصار ثورة شباط ، أشار لينين عدة مرات الى ضرورة احتفاظ الحزب البلشفي بسيادة سياسية كاملة وعدم الوقوع في مغامرات « توحيدية » . وكتب الى لوناتشارسكي في آذار ١٩١٧ : « ان استقلال حزبنا وسمته الخاصة ، وعدم احداث أي تقارب مع احزاب اخرى ، ترتدي بالنسبة لي طابعا فرضيا . بدون ذلك ، لن تمكننا مساعدة البروليتاريا على التوجه بواسطة انقلاب **ديمقراطي** نحو **الكومونة** ، ولن اتولى خدمة اهداف اخرى »[١٢١] .

---

(١٢١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، ج٣٥ ص ٣٠٧ .

كانت المنظمات البلشفية بقيادة لينين على حق في موقفها من «الاتحـــاد» . فمن خلال رص صفوفهـا ، وقيامهـا بعمل نظـري وتطبيقي ، **ورفض ضلال الانتهازيين بصلابــة** ، حشـــد الحزب البلشفي حوله البروليتاريا وفقراء الفلاحين في روسيا وقادهم في اوكتوبر ١٩١٧ الى ضرب الرأسمالية . لقــد دشنت ثــورة اوكتوبر المنتصرة حقبة الثورة العالمية ، حقبة الانتقال من الراسمالية الــى الاشتراكيــة . فسجلت التطبيق المثــالي للنظـرية اللينينية عن الثورة الاشتراكية .

خاتمة

لقد أعطى الحزب البلشفي ، كحزب من طراز جديد ، في ظل نظام القيصرية مثال النضال ضد الانتهازيين من كافة الانــواع ، وضد التروتسكيين بشكل خاص . بعد ان طرد في كانون الثاني (يناير) ١٩١٢ الانتهازيين من صفوفه وفضحهم كعملاء للبورجوازية في قلب الحركة العمالية ، أصبح الحزب أكثر توحدا واكثر قوة . ومن خلال النضال ضد الانتهازيين والوسطيين حافظ على وجوده المستقل وأحبط محاولاتهم لخلق حزب وسطي في روسيا لم يكن عمليا سوى حزب تروتسكي .

بعد الانخراط في بداية الحرب العالمية الاولى في طريق الاممية البروليتاريــة ، اتخــذ الحــزب اللينيني موقفــا متصلبا بوجه الاشتراكيين ـ الشوفينيين والوسطيين الروس ، وبذل كل جهوده لتحويل الحرب الامبريالية الى حرب ضد المضطهدين وقاد العمال والفلاحين الروس نحو الانتصار على القيصرية والرأسمالية .

عندما انتصرت الثورة في شباط ، أشــار لينين في رســائله وبرقياته الموجهة الى روسيا الى أهمية محافظة الحزب البلشفي على استقلاليته . كانت احدى اولى مهــام الحــزب عــدم الوقوع في المحاولات « الاتحادية » ، والعمل على تعزيز الحزب من الطراز الجديد المختلف جذريا عن الاحزاب الانتهازية في الامية الثانية . كتب لينين الى ا. كولونتاي في ١٧ آذار ١٩١٧ : « برايي ان الشيء الرئيسي الان هو عــدم الوقوع في تجارب « الوحــدة » البلهاء مع الاشتراكيين ـ الوطنيين (أو ، الامر الاكثر خطرا ، مع العناصر المترددة مثل لجنــة التنظيم وتروتســكي وشــركاهم)

والاستمرار في عمل **حزبنا** بروح **اممية** مدركة »(١) .

ان الهزيمة التي ألحقها الحزب البلشفي بالوسطية ، منذ ما قبل الحرب العالمية الاولى ، والنضال المستمر الذي خاضه البلاشفة ضد الوسطية الروسية والعالمية أثناء الحرب ، قد بينت ان هذا التيار لا يتمتع بأي تأثير في الحركة العمالية الروسية ، وان النضال الثوري للجماهير أثناء ثورة شباط قد وجه دون أدنى مشاركة من قبل الوسطيين . وقد ظهرت الوسطية هكذا في فشل ايديولوجي وسياسي مطبق لم تستطع الخروج منه . وباءت بالفشل كل محاولات تروتسكي لاعادة الحياة اليها بعد ثورة شباط (فبراير) .

عاد تروتسكي بعد رجوعه من المهجر الى روسيا ، الى ترويج الافكار الوسطية ؛ كان لا يزال يأمل بامكانية تحقيق « اتحاد » البلاشفة الثوريين والانتهازيين تحت وصاية التروتسكية، واستعادة تأثيره في الحركة العمالية في البلاد وتولى تروتسكي قيادة مجموعة « ميجرايونتسي » المؤسسة في بطرسبورغ سنة ١٩١٣ ، وهي منظمة وسطية تضم تروتسكيين ومنشفيين وبليخانوفيين وقسما من البلاشفة التوفيقيين القدماء ، كان تروتسكي يأمل ان تتمكن هذه المجموعة من ان تشكل النواة لحزب اشتراكي ـ ديمقراطي وسطي . وقد تكفلت الاحداث بتبديد هذه الاوهام .

بينما كان الحزب البلشفي يحضر الجماهير للمعركة من اجل انتصار الثورة الاشتراكية ، ظهر المناشفة الانتهازيون وأمثالهم بشكل واضح كمعادين للثورة . وكان البلاشفة يطبقون تعليمات لينين ويفضحون خيانة قادة الاحزاب البورجوازية الصغيرة ، ويزيلون الميول « الوحدوية » التي ظهرت في بعض منظمات الحزب وفي هذا المجال ، كان **لموضوعات نيسان** ولمقررات الكونفرونس السابع لـ حع‌ادر دور محدد ، اذ أدت الى تفكك المنظمات الموحدة .

لم يعد في هذا الوضع بامكان التروتسكيين ان يبشروا باتحاد البلاشفة والانتهازيين ، لانه منذ ذلك الوقت أصبح مستحيلا التقارب ما بين الثوريين والانتهازيين . لذا عمد تروتسكي وبعض

---

(١) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، ج ٣٥ ، ص٣٠٢ .

أتباعه الى الانضمام الى صفوف البلاشفة ، والانخراط في الحزب الذي تتبعه الجماهير والذي أولته الطبقة العاملة وكذلك حلفاؤها فقراء الفلاحين مستقبل البلاد ، أثناء الكونفرونس السادس لل ح ع ادر ، تم قبول احدى منظمات « ميجرايونتسي » التي اعلنت موافقتها على خط البلاشفة وقطيعتها مع المناشفة الدفاعيين تم قبولها في الحزب البلشفي .

لقد بيّن تتابع الاحداث ان بعض اعضاء « ميجرايونتسي » قد قطعوا بالفعل مع ماضيهم الوسطي ، ولكن انخراط تروتسكي ومؤيديه في الحزب البلشفي لم يكن يعني ابدا انهم تبنوا الافكار البلشفية . دخل تروتسكي الى الحزب البلشفي ليتابع من الداخل صراعه ضد اللينينية ، وليفرض على الحزب خطه المنشفي ويحاول الاستيلاء على قيادة الحزب . تشهد على ذلك الملاحظات التي سجلها لينين أثناء مداخلات تروتسكي في كونفرونس الـ « ميجرايونتسي » في ١٠ أيار (مايو) ١٩١٧ .

قبل المؤتمر السادس لل ح ع ادر بشهرين ونصف الشهر ، حذر تروتسكي مؤيديه من خطر الالتحاق الفوري بالحزب البلشفي . وقد اعلن يومئذ ان اتحاد الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الامميين يستوجب « **تحضير مؤتمر واسع للحزب** »(٢) . وأشار تروتسكي الى ان هذا الاتحاد يجب ان يتم : « ليس من خلال انخراط اوتوماتيكي ، ولكن من خلال مؤتمر روسي عام نحضره مع البلاشفة بالاشتراك مع كل المنظمات المحلية والمناشفة ـ الامميين »(٣) .

ان واقع ان تروتسكي كان يرمي الى تصفية الحزب البلشفي بواسطة اتحاد مع « الميجرايونتسي » ، والمناشفة ـ الامميين ومجموعات اخرى ، قد أثبته تصريحه المتعلق بعدم ضرورة الحفاظ على تسميته بالحزب البلشفي ، وجاء في ملاحظات لينين ، ان تروتسكي كان يصرح : « ان التسمية القديمة التكتلية هي تسمية مزعجة ... »

---

(٢) مختارات لينين ، م٤ ، ص ٣٠٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

ويمكن التأكد من مواقف تروتسكي من البلشفية عندما نعلم انه كان يصرح بأن : « البلاشفة قد عـادوا عن بلشفيتهم ، ولا يمكن ان أسمي نفسي بلشفيا » ، او « لا يمكن ان يفرض علينا الاعتراف بالبلشفية »(٤) .

ان السنوات العشرة التي تلت والتي كان فيها تروتسكي عضوا في الحزب البلشفي ، بينت للملأ انه استمر عدوا عنيفا للينينية وانه تميز دائما « بلا ــ بلشفية »(٥) ، واضحة . كما ان محاربة تروتسكي للينينية لم تكن مجرد صدفة في سلوكه خلال هذه السنوات ، وفضحه في النهاية كعدو للحزب الشيوعي وللسلطة السوفياتية لم يكن هو ايضا مجرد صدفة . ان احد ابرز وجوه الحركة العمالية والشيوعية ، بالم دوت ، احد مؤسسي الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى ، وصف محاربة تروتسكي للينين وللحزب البلشفي قائلا : « ان فظاظته » ، وحقده الذي يكاد يكون مرضيا على لينين وعلى البلاشفة عامة ، والمبادىء الاساسية في نظريته ، كلها قادته الى الانقلاب ضد الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي »(٦) .

بينما كان الحزب يحضر الانتفاضة المسلحة في تشرين الاول ١٩١٧ ، لم يكن تروتسكي وقد كان في الحزب منذ مدة وجيزة يجرؤ على معارضة ذلك جهارا ، ولكنه عمليا كان يحتل موقعا معاديا للينينية . فقد نادى بتأجيل موعد بداية الانتفاضة ، واقترح جعلها تتفق مع بداية اعمال المؤتمر الثاني للسوفيات . وكان يعلل ذلك بضرورة الانتظار لمعرفة ردة فعل الحكومة المؤقتة عندما تعلم بقرار المؤتمر بوضع السلطة السياسية في يده : أي لمعرفة ما اذا كانت ستقوم بأعمال علنية ام لا .

كان تروتسكي قد تقدم بمثل هذه الاقتراحات يوم كان رئيسا لسوفيات بتروغراد ؛ وغالبا ما قال ذلك علنا امام الناس ، خاصة في ١٨ و ٢٤ تشرين الاول ١٩١٧ . ان التوقيت في بداية

---

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٠٣ .

(٥) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، ج٣٦ ، ص٦٠٧ .

(٦) بالم دوت ، الاممية ، ص١٨٨ .

مؤتمر السوفيات كان يعني اعطاء الامكانية للبورجوازية كي تنظم نفسها ، وتركز قواها . وبالمقابل ، يكون الثوريون بذلك قد ضيعوا عليهم الفرصة التي يقدمها الهجوم المفاجىء . وكان لينين يعارض بشدة كل اقتراح بتأخير الانتفاضة حتى افتتاح مؤتمر السوفيات . وكتب في ذلك : « ... ان ترك مرور الفرصة السانحة ، و « انتظار » مؤتمر السوفيات سيكون إما **بلاهة كاملة** اما **خيانة كاملة**(٧) .

بعد انتصار ثورة اوكتوبر بوقت قليل ، تداخل تروتسكي الذي كان قد انضم الى بوخارين والى « شيوعيي اليسار » الاخرين ، ضد لينين بشأن صلح بريست ــ ليتوفسك . هذه المرة ايضا حاول الايحاء بأنه يقف في موقع «متوسط» بين لينين و « الشيوعيين اليساريين » طارحا الشعار « لا حرب ولا سلم ! » في الواقع لم تكن وجهة نظره تختلف بشيء عن وجهة نظر « شيوعيي اليسار » الذين كانوا يدعون لشن « الحرب الثورية » فورا ضد عدو مسلح حتى أسنانه هو الامبريالية الالمانية . اعتبر تروتسكي ان دكتاتورية البروليتاريا لا يمكنها ان تستمر في روسيا الا بقيام ثورة اشتراكية عالمية مكللة بالنجاح ، ثورة يجب ان تساعد على انفجارها حرب تخاض ضد الامبريالية العالمية . وقد فشلت تماما سياسة تروتسكي و « شيوعيي اليسار » التي كانت تهدف الى نسف محادثات السلام . وفي المؤتمر الاستثنائي السابع للحزب الذي عقد في آذار سنة ١٩١٨ انتصر خط لينين حول الحرب والسلم .

بعد ذلك ، وحتى طردهم من الحزب الشيوعي سنة ١٩٢٧ ، خاض تروتسكي ومؤيدوه صراعا عنيفا ضد خط لينين عامة ؛ وخلقوا تجمعات معادية للحزب وطالبوا بحرية خلق التكتلات والتجمعات داخل الحزب . وتدخلوا من خلال « برامجهم » التي كانت ترمي الى افشال البناء الاشتراكي في اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية واعادة النظام الرأسمالي . وفي فترة قصيرة نسبيا ، نجح التروتسكيون في فرض عدة مناقشات على الحزب : حول النقابات (١٩٢٠ ــ ١٩٢١) ، حول المسائل الاساسية

---

(٧) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ــ موسكو ، ج٢٦ ، ص٧٧ .

في بناء الحزب والسياسة الاقتصادية (١٩٢٣) ، حول طابع ثورة اوكتوبر (١٩٢٤) . وفي سنة ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ سحق الحزب تكتل تروتسكي ـ زينوفييف على الصعيدين الايديولوجي والتنظيمي . كان قد آن الاوان للانتهاء من النشاط الانهزامي لهذا التكتل الذي وقف ضد تطبيق برنامج بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي والذي وضعه لينين .

وبعد أن أكدوا استحالة بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي بدون ثورة بروليتارية سابقة في الغرب، راح التروتسكيون يزرعون التشكيك بقدرات الطبقة العاملة في الاتحاد السوفياتي ، وعملوا على حرمان الحزب والشعب السوفياتي من اي أفق ثوري. جاء في **موضوعات اللجنة المركزية لل ح ش ا س : « خمسون سنة على ثورة اوكتوبر » :** « . . . متسترين بجمل « يسارية » ، وما فوق ثورية ، جهد التروتسكيون لفرض سياسة مثقلة بالمغامرات ، واتجاه كاد يؤدي الى فشل في بناء الاشتراكية في بلادنا ، ويرمي الى دفع الثورة قسرا في البلدان الاخرى . كانوا يدعون للاساليب المعادية للديمقراطية والعسكرية في قيادة الجماهير داخل البلاد ، ويدحضون المبدأ اللينيني عن المركزية الديمقراطية ، ويطالبون بـ « حرية » الصراع التكتلي داخل الحزب ، وبذلك يصبون في خط العداء للاتحاد السوفياتي » (٨) .

وأشار المؤتمر الخامس عشر لل ح ش ر الذي جرت اعماله تحت شعار النضال من أجل تعزيز وحدة الحزب ، الى ان المعارضة التروتسكو ـ زينوفييفية قد خرقت تنظيم الحزب ، وانتهكت ايضا التشريع السوفياتي اذ عمدت الى تخطي النشاط التكتلي الى خلق حزب تروتسكي معاد للسوفيات . وفصل المؤتمر قادة التكتل التروتسكي ـ الزينوفييفي من صفوف الحزب . وأكد بأن الانتماء الى المعارضة التروتسكية والدعاية لآرائها لا يمكن أن ينسجم مع الانتماء للحزب البلشفي .

أما بشأن سحق الحزب للتروتسكيين وللتجمعات الاخرى المعارضة المعادية للينينية، فقد صرح ليونيد بريجنيف، امين عام اللجنة المركزية

---

(٨) خمسون عاما على ثورة اوكتوبر ، موسكو ١٩٦٧ ، ص١٣ .

لـ حـ‌ش‌اس ، في تقريره « خمسون عاما من الانتصارات العظمى للاشتراكية » : « بايجـاده الحل لهذه المشكلات ، تابع الحزب نضالا متواصلا ضد التروتسكيين وانتهازيي اليمين والتجمعـات المعارضة الاخرى التي كانت افكارها تعبر عن الضغط الذي تمارسه الشلل البورجوازية والبورجوازية الصغيرة . وبرفضهم أمكـانية بناء الاشتراكية في بلادنا في البداية ، ومظهرين التشكيك تجـاه قوى الطبقة العاملة وصلابة تحالفها مع الفلاحين ، كان المعارضون يأملون حرف الحـزب عن الخط اللينيني . ودافع الحزب بسحقه المعـارضة علـى الصعيدين السيـاسي والايديولوجي ، عن نقـاء الماركسية ـ اللينينية ، خط لينين العام ، واكد وحدة صفوفه» (٩)

وبعد المؤتمر الخامس عشر لـ حـ‌ش‌ر تابع التروتسكيون كفاحهم ضد الحزب الشيوعي والسلطة السوفياتية . في سنة ١٩٢٩ طرد تروتسكي من البلاد بسبب القيام بنشاطات معادية للسوفيات .

وبقي تروتسكي في الخارج كما كان سـابقا العدو اللـدود للينينية وللحزب الشيوعي والدولة السوفياتية .

وضـاعف تروتسكي نشـاطه ليزرع الانشقـاق في الحـركة الشيوعية العالمية ، وجهـد لخلق وتوسيع الكتل التي تجمع مؤيديه في الاحزاب الشيوعية ، وكانت غاياتهم هدم هذه الاحزاب مـن الداخل . سنة ١٩٣٨ ، عقد كونفرونس شـارك فيـه احد عشر تجمعا تروتسكيا جاءوا من احد عشر بلدا ، وأعلن الكـونفرونس خلق اتحاد للتروتسكيين سمي بالاممية الرابعة ، مواجهة للثالثة ، الاممية الشيوعية . علق تروتسكي آمالا كبيرة على هذه المنظمة ؛ وكان يصرح بشكل حاسم : « في السنوات العشر المقبلة سيجمع برنامج الاممية الرابعة ملايين المؤيدين »(١٠) . آمـال ضائعة : اكثر من ثلاثين عاما مضت، ، ولكـن التجمعات التروتسكية الضئيلة الباقية ، والمكونة من مرتدين في الحركة الشيوعية العالمية ، ومن مثقفين بورجوازيين صغار معادين للشيوعية ، تلاشت بشكل مثير

---

(٩) ل. بريجنيف ، خمسون عـاما مـن الانتصارات العظمـى للاشتراكية ، موسكو ١٩٦٧ ، ص٦٥ .

(١٠) ن. ميكيشين ، « التروتسكية في خدمة الدعـاية الامبريالية » .

للشفقة .

وعاد تروتسكي في نشاطه المعادي للسوفيات في الخارج ، الى تعلقه مرة جديدة بمساعدة منظره السابق ك. كاوتسكي . وخلال سنوات عديدة ، تحت ستار النشاطات التوفيقية والجمل « اليسارية » ، كانا بطلي الاتجاه البورجوازي الانتهازي في قلب الحركة العمالية ، وحاربا البلشفية وعناصر اليسار في الاحزاب الاشتراكية ــ الديمقراطية الاوروبية . خلال السنوات العشر التي كان تروتسكي فيها عضوا في ح‌ش‌ر ، كان الاثنان ، ظاهريا من ناحيتي السور ، يتابعان نشاطهما المعادي للحزب الشيوعي وللسلطة السوفياتية ، أحدهما علانية والثاني سرا .

اما الان وقد أصبح الاثنان في جانب واحد في حقدهم على الدولة الاشتراكية السوفياتية ، راحا يدعوان لاسقاط الحكومة بالقوة . ومثلما كان تروتسكي يصف بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي بأنه « انقلاب تيرميدوري » او انه « بونابارتية » كان كاوتسكي يؤكد سنة ١٩٣٠ بأن البلشفية قد « تحولت الى بونابارتية » ، وان أي عمل مسلح يهدف الى اسقاط الحكومة السوفياتية يجب ان « يدعم من قبل كل الاشتراكيين » . ان نشاط قائدي الوسطية ــ كاوتسكي وتروتسكي ــ لم يكن بوسعه ان يؤدي بهما الا الى الانتقال النهائي الى معسكر اعداء الماركسية .

لقد بنى تروتسكي آمالا كبيرة على اسقاط السلطة السوفياتية لصالح الحرب التي كانت تحضرها البلدان الامبريالية ضد الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٣٠ . كان يؤكد ان هذه الحرب ستؤدي حتما الى هزيمة الاتحاد السوفياتي وفشل النظام الاشتراكي ، ان الثورة البروليتارية لم تنتصر بعد في الغرب . وكتب تروتسكي سنة ١٩٣٦ : « هل يمكن ان ننتظر الا يمنى الاتحاد السوفياتي بهزيمة في الحرب الكبرى القادمة ؟ على هذا السؤال المطروح بصراحة ، نجيب نحن ايضا بصراحة . اذا بقيت الحرب حربا فقط ، فهزيمة الاتحاد السوفياتي حتمية . فالامبريالية أقوى بما لا يقاس من الناحية التقنية والاقتصادية والعسكرية . واذا لم تشل اعمالها ثورة في الغرب ، فان الامبريالية سوف تكنس النظام الذي ولدته

ثورة اوكتوبر »(١١) .

لجأ تروتسكي مجددا الى نظريته عن « الثورة الدائمة » ليحاول اثبات حتمية هزيمة الاتحاد السوفياتي في الحرب المقبلة ، معتمدا على هذه النظرية ، حتى بعد ان انهارت ، أراد تروتسكي خداع القارىء القليل الاطلاع في السياسة مؤكدا ان « هزيمة الاتحاد السوفياتي الحتمية لن تكون سوى « حادث عرضي » سيتبعه فيما بعد « انتصار البروليتاريا » في اوروبا بكاملها » .

قبل انتصار ثورة اوكتوبر ، كان تروتسكي يقنع بنظرية « الثورة الدائمة » صراعه ضد النظرية اللينينية عن الثورة الاشتراكية ، وضد فكرة امكانية انتصار الاشتراكية في عدد من البلدان في البداية أو حتى في بلد واحد . وبعد اقامة دكتاتورية البروليتاريا في الاتحاد السوفياتي، ظن انه يستطيع بنفس الطريقة اعاقة بناء الاشتراكية فيالاتحاد السوفياتي والمساهمة فياعادةاحياء الرأسمالية . وعندما بنيت الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي ، أعاد تروتسكي نظريته للحياة ليبني على أساسها ضرورة ازالة حكومة العمال والفلاحين الاولى في العالم ، لم يعد من المشكوك به ابدا عند اي انسان بأن نظرية « الثورة الدائمة » ليست نتيجة « أخطاء » او « أضاليل » تروتسكي . فقد كانت دائما سلاح التروتسكيين الديماغوجي ضد اللينينية ، وضد الدولة السوفياتية والحركة الشيوعية العالمية .

كان النضال ضد الكاوتسكية والتروتسكية بالغ الاهمية ليس فقط من اجل تعزيز الحزب البلشفي ، بل ايضا من اجل كل الحركة العمالية والشيوعية العالمية . وكانت قطيعة البلاشفة التامة مع الانتهازيين والوسطيين مثالا احتذته عناصر اليسار في الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في الخارج : فقد انشأت احزابا شيوعية اجتمعت سنة ١٩١٩ لتشكيل الاممية الثالثة الشيوعية .

رأى لينين انه لا بد من اطلاع ممثلي الاحزاب الشقيقة على تجربة الحزب البلشفي ، وأشار بهذا الشأن الى المغزى التاريخي

---

(١١) بالم دوت ، الاممية ، ص٢٥٢ .

لنضال البلاشفة ضد الوسطية . في خطابه الذي القاه في المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية ، قال لينين : « نحن ، في روسيا ، نملك تجربة سياسية كافية من النضال ضد الوسطيين . منذ خمس عشرة سنة ، خضنا النضال ضد انتهازيينا ووسطيينا ، وكذلك ضد المناشفة ، وقد انتصرنا ليس على المناشفة فحسب ، بل أيضا على أنصاف الفوضويين .

لولا ذلك لما كان بامكاننا الحفاظ على السلطة ، لا اقول ثلاث سنوات ونصف ، بل ثلاثة اسابيع ونصف ، ولما كان بامكاننا عقد مؤتمرات شيوعية هنا »(١٢) .

ولكي يلفت انتباه ممثلي الاحزاب الشقيقة حول ضرورة النضال ضد الوسطية، ذكر لينين مندوبي المؤتمر الثالث للكومنترن بأن المؤتمرين السابقين جرت اعمالهما تحت شعارات : « لتسقط الوسطية ! » من المعلوم ان المؤتمر الثاني صدق على « ٢١ شرطا » للقبول في الاممية الشيوعية ، والتي تقفل الباب بوجه المنظمات التي يقودها وسطيون . وبفضل نضالهم العارم ضد الوسطية، قرر الاشتراكيون الديمقراطيون ذوو النظرة الثورية في فرنسا والمانيا وسواهما من البلدان ، قرروا تبني الـ « ٢١ شرطا » ، مساهمين بذلك في خلق أحزاب شيوعية في هذه البلدان .

عندما استعاد التروتسكيون وسواهم من التجمعات المعادية للحزب هجماتهم ضد خط الحزب البلشفي العام ، وقف كل الشيوعيين في كل البلدان ضد أعمالهم المعادية التي كانت تسبب ضررا بالغا في بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي ، وفي الحركة الشيوعية العالمية . وقد أعتبر الشيوعيون النضال ضد التروتسكية قضيتهم المبدئية ، وانطلاقا من وعيهم بأن انتصار التروتسكيين كان سيسبب ضررا يصعب علاجه لشيوعيي العالم بأسره ولشيوعيي روسيا في نفس الوقت .

ومشددا على الاهمية الايديولوجية والسياسية التي تنطوي عليها هزيمة التروتسكيين التي نتجت بفضل نشاط الحزب البلشفي ، كتب ويليام فوستر ، أحد الشخصيات البارزة في

---

(١٢) ف. لينين ، المؤلفات ، باريس ـ موسكو ، ج٣٢ ، ص٥٠٢ .

الحركة العمالية والشيوعية العالمية : « في المرحلة التي فصلت بين مؤتمري الاممية الشيوعية الخامس والسادس ، كانت روسيا مسرحا للنضال ضد حركة المعارضة الخطرة التي قادها تروتسكي. لقد تخطت أبعاد هذا النضال أبعاد الاضراب العام في انكلترا ، والانتفاضة في النمسا والمعارك الثورية في الصين . لأن فيها يتعلق مصير الثورة في روسيا ومستقبل كل الحركة الشيوعية في العالم . ولو حصل انتصار للتروتسكيين كان سيؤدي الى نجاحات محددة للقوى الرجعية في العالم اجمع »(١٣) .

في سنوات ١٩٢٠ ــ ١٩٣٠ ، وجهت الحركة الشيوعية والعمالية ضربة قاضية للتروتسكية . ومع ذلك يحاول بعض قادة التجمعات التروتسكية في الظروف الحالية ، وفي عدة بلدان ، لعب دور « طابور خامس » في الحركة العمالية والشيوعية . فهم يتوصلون أحيانا الى التسلل داخل الاحزاب والمنظمات الجماهيرية العمالية حيث يتصرفون كاستفزازيين ، لا بل كمساعدين للامبرياليين ؛ فهم يختلقون كل أنواع الافتراءات حول سياسة الاحزاب الشيوعية ، ويزرعون الضغينة والتشكيك تجاه الاتحاد السوفياتي . ولاستعمال تعبير السكرتير الاول للحزب الشيوعي في الاورغواي ، رودني آريسميندي ، ان التروتسكيين الجدد هم حطام كارثة جديدة ، زبد اسود في أمواج الثورة الاشتراكية العالمية(١٤) .

ان ايديولوجيي العداء للشيوعية ، الذين لا يوفرون اسلوبا في محاربة المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية والعمالية ، يودون بعث التروتسكية التي يأملون منها اعادة اعتبار عجائبية .

وقد عرفت الدعاية المعادية للشيوعية استعادة لنشاطها عندما فضح الـ حشاس عبادة الفرد . فقد أمل ايديولوجيو البورجوازية الامبريالية تحقيق كسب سياسي من هذه المناسبة وشرعوا بمحاولة جديدة لاعادة الاعتبار للتروتسكية ، وافقاد النضال الذي خاضه الحزب اللينيني سابقا قيمته ضد هذا التيار . لكن جهودهم راحت

---

(١٣) ويليام فوستر ، تاريخ الامميات الثلاثة ، ص٣٧١ .

(١٤) العداء للشيوعية ، أداة الرجعية الامبريالية ، موسكو ١٩٦٧ ، ص٢٤١ .

سدى . ان نقد عبادة الشخصية الذي قام به الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي لم تكن له اية علاقة باعادة الاعتبار للتروتسكية او بسواها من التيارات والتجمعات المعادية للينينية . فقد استحق الحزب تقديرا تاريخيا بانزال الهزيمة بالتروتسكيين وبالانتهازيين وبالتجمعات المعادية للينينية ، وهذا التقدير يقره الشعب السوفياتي ومجمل الحركة العمالية والشيوعية .

لقد قدم التوضيحات بهذا الشأن الكسي كوسيفين ، رئيس مجلس الوزراء في الاتحاد السوفياتي وعضو المكتب السياسي للجنة المركزية في الـ ح‌ش‌اس ، في مقابلة مع صحفيين في باريس في كانون الاول سنة ١٩٦٦ ، احد مراسلي وكالة « و.ب.اي » طرح هذا السؤال على الكسي كوسيفين : « الا ترى بأن تروتسكي يستحق اعادة اعتبار ورفع التهم الموجهة ضده في المرحلة الستالينية ؟ » قال كوسيفين في جوابه : « اذا أراد السائل معرفة ما هي التروتسكية وما الضرر الذي الحقته بالحركة الشيوعية لأمكننا عقد ندوة حول هذه المسألة . ان حزبنا الذي حارب التروتسكية دائما بنجاح قد أدان هذا التيار . هذا ما حصل سابقا والوضع لم يتغير »(١٥) .

لقد أعطى الحزب البلشفي، بسحقه التروتسكية على الصعيدين الايديولوجي والتنظيمي ، مثالا على الحزم وعدم المهادنة في النضال من اجل نقاوة الماركسية ـ اللينينية وأظهر وحدته التي لا تمس ، تحت راية اللينينية . ان تجربة النضال الذي خاضه الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي هي هامة لكل الاحزاب الشيوعية الشقيقة ، ولمجمل الحركة العمالية والشيوعية العالمية .

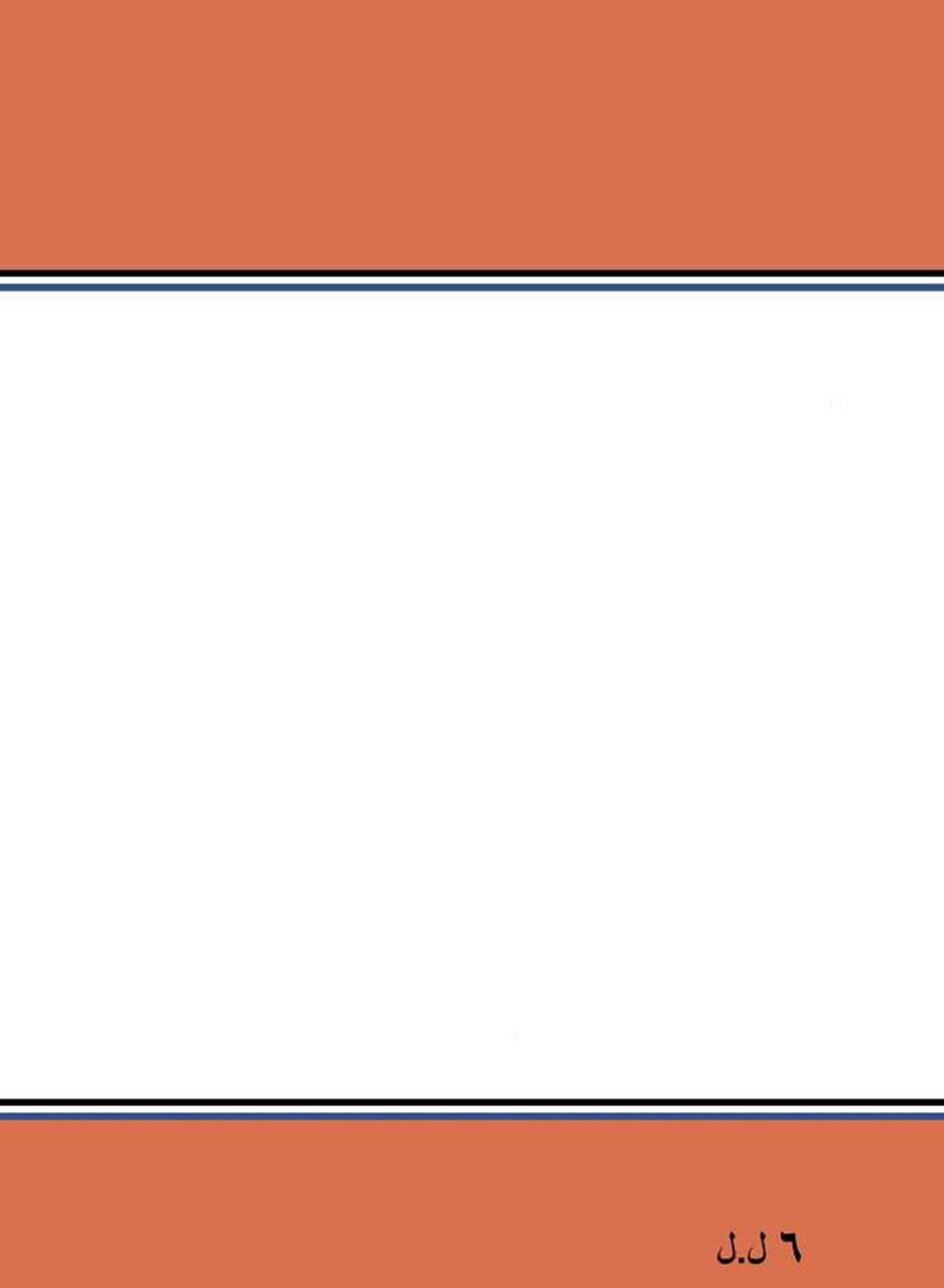
ان دراسة معمقة لتجربة حزب لينين المكدسة ، بما في ذلك تلك المتعلقة بالنضال ضد التروتسكية في المرحلة الثورية، ستساهم في فضح مكملي التروتسكية ، الذين نصادفهم هنا وهناك ، والذين يزرعون الخراب في الحركة العمالية العالمية . ان دراسة كهذه سوف تساعد على محاكمة المزيفين البورجوازيين للنضال الذي خاضه الحزب الشيوعي السوفياتي ضد التروتسكية .

---

(١٥) البرافدا ، ٥ كانون الاول ١٩٦٦ .

فهـــرس

تم طبع هذا الكتاب على مطابع تكنوبرس الحديثة ش.م.ل ـ بيروت


٦ ل.ل